كتاب

التوحيد

تأليف

الدكتورة / عفاف حسن مختار

مكتبة الرشد
ناشرون

١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م

ح مكتبة الرشد، ١٤٢٥هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

مختار، عفاف حسن

كتاب التوحيد. / عفاف حسن مختار. - الرياض، ١٤٢٥هـ

٢٣٦ ص، ١٧ × ٢٤ سم

ردمك: ٨ - ٣٩٢ - ٠١ - ٩٩٦٠

١ - التوحيد أ - العنوان

ديوي ٢٤٠ ١٤٢٥/٥١٧٤

رقم الإيداع: ١٤٢٥/٥١٧٤

ردمك: ٨ - ٣٩٢ - ٠١ - ٩٩٦٠

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م

مكتبة الرشد
ناشرون
المملكة العربية السعودية
الرياض
شارع الأمير عبد الله بن عبد الرحمن
(طريق الحجاز)
ص.ب: ١٧٥٢٢ - الرياض
١١٤٩٤ هاتف: ٤٥٩٣٤٥١
فاكس: ٤٥٧٣٣٨١

E-mall : alrushd@alrushdryh.com
www. rushd.com

فروع المكتبة داخل المملكة

- الرياض: فرع طريق الملك فهد - غرب وزارة الشئون البلدية والقروية هاتف: ٢٠٥١٥٠٠
- فرع مكة المكرمة: شارع الطائف مقابل مستشفى علوي التونسي: هاتف: ٥٥٨٣٥٠٦-٥٥٨٤٠١
- فرع المدينة المنورة: شارع أبي ذر الغفاري: هاتف: ٨٣٤٠٦٠٠
- فرع جدة: مقابل ميدان الطائرة: هاتف: ٦٧٧٦٣٣١
- فرع القصيم: بريدة - طريق المدينة: هاتف: ٣٢٤٢٢١٤
- فرع أبها: شارع الملك فيصل: هاتف: ٢٣١٧٣٠٧
- فرع الدمام: شارع ابن خلدون: هاتف: ٨٢٨٢١٧٥

وكلاؤنا في خارج المملكة

- الكويت: مكتبة الرشد - حولي: هاتف: ٢٦١٢٣٤٧
- القاهرة: مكتبة الرشد - مدينة نصر: هاتف: ٢٧٤٤٦٠٥
- بيروت: دار ابن حزم: هاتف: ٧٠١٩٧٤
- المغرب: الدار البيضاء / مكتبة العلم: هاتف: ٣٠٣٦٠٩
- تونس: دار الكتب الشرقية: هاتف: ٨٩٠٨٨٩
- اليمن: صنعاء: دار الآثار: هاتف: ٦٠٣٢٥٦
- البحرين: مكتبة الفيروز: هاتف: ٩٥٧٨٣٣
- الإمارات: الشارقة - مكتبة الصحابة: هاتف: ٥٦٣٣٥٧٥
- سوريا: دمشق - دار الفكر: هاتف: ٢٢١١١٦
- قطر: مكتبة ابن القيم: هاتف: ٤٨٦٣٥٣٣
- الأردن: عمان - دار الفكر: هاتف: ٤٦٥٤٧٦١

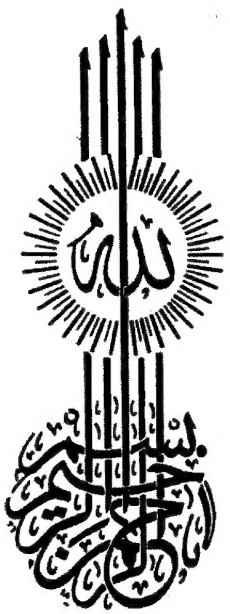

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فهو المهتدي ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشدا وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ.

أما بعد

فإن البحث المتعلق بالتوحيد لمن أهم مباحث الاعتقاد إذ بمعرفته يتوصل للسعادة الحقة من الله تعالى التي هي أفضل ما يرجوه العبد في الأولى والآخرة، ولما كانت أمور الناس مبناها على سلامة التوحيد وحسن الاتجاه وددت أن أساهم بجهد المقل ببيان التوحيد وأقسامه ونواقضه التي قد تلتبس على بعض الناس، حيث إن المتأمل في أحوال العالم الإسلامي يجد حشداً هائلا من الأفكار والاتجاهات بعضها مما يدخل في دائرة الإسلام وبعضها مما يخرج عنها حتى أصبح الناس فرقاً وأحزاباً، وكل يدعي أنه على الحق.

هذا وأسأل الله أن يعصمني من البدع في الدين، وأن يجعلني من المتبعين لسنة سيد المرسلين محمد بن عبدالله ﷺ.

د / عفاف حسن مختار

خطة البحث :
يقع البحث في مقدمة وخمسة فصول :

❑ **الفصل الأول :** التوحيد والأمور المتعلقة به وفيه ثلاثة مباحث :

○ **المبحث الأول :** تعريف التوحيد في اللغة والاصطلاح .

○ **المبحث الثاني :** الأمور المتصلة بعلم التوحيد وفيه أحد عشر مطلباً :

- المطلب الأول : فضل علم التوحيد .
- المطلب الثاني : أهمية علم التوحيد .
- المطلب الثالث : واضع علم التوحيد .
- المطلب الرابع : مصدر علم التوحيد .
- المطلب الخامس : موضوع علم التوحيد .
- المطلب السادس : أداب طلب علم التوحيد .
- المطلب السابع : كيفية طلب علم التوحيد .
- المطلب الثامن : أدلة وجوب علم التوحيد .
- المطلب التاسع : حكم تعلم علم التوحيد .
- المطلب العاشر : أهداف العقيدة الإسلامية .
- المطلب الحادي عشر : آثار وفوائد علم التوحيد .

○ **المبحث الثالث :** أسماء علم التوحيد

❑ **الفصل الثاني :** الدين مفطور عليه الخلائق وفيه أربعة مباحث :

○ **المبحث الأول :** التوحيد دين الفطره .

○ **المبحث الثاني :** النظريات الخاطئة في علم التوحيد .

○ **المبحث الثالث :** بداية الانحراف عن التوحيد .

○ **المبحث الرابع :** منهج القرآن الكريم في تقرير التوحيد .

❑ **الفصل الثالث :** التوحيد وأنواعه وفيه سبعة مباحث :

- **المبحث الأول :** التوحيد الذي دعت إليه الرسل .
- **المبحث الثاني :** تعريف الربوبية في اللغة والاصطلاح .
- **المبحث الثالث :** الأدلة على توحيد الربوبية .
- **المبحث الرابع :** توحيد الربوبية مفطور عليه الخلائق .
- **المبحث الخامس :** توحيد الربوبية يستلزم توحيد الألوهية .
- **المبحث السادس :** علاقة توحيد الربوبية بتوحيد الأسماء والصفات .
- **المبحث السابع :** الإلحاد في توحيد الربوبية .

❑ **الفصل الرابع :** توحيد الألوهية وفيه سبعة مباحث :

- **المبحث الأول :** تعريف الألوهية في اللغة والاصطلاح .
- **المبحث الثاني :** أسماء توحيد الألوهية .
- **المبحث الثالث :** الأدلة على توحيد الألوهية .
- **المبحث الرابع :** علاقة توحيد الألوهية بتوحيد الربوبية والأسماء والصفات .
- **المبحث الخامس :** التوحيد الذي جاء به الرسل .
- **المبحث السادس :** الإلحاد في توحيد الألوهية .
- **المبحث السابع :** الأسماء الخاطئة لتوحيد الألوهية .

❑ **الفصل الخامس :** توحيد الأسماء والصفات وفيه سبعة مباحث :

- **المبحث الأول :** تعريف الاسم والصفة .
- **المبحث الثاني :** الأدلة على توحيد الأسماء والصفات .
- **المبحث الثالث :** قواعد عامة في الصفات .
- **المبحث الرابع :** أنواع الصفات .
- **المبحث الخامس :** موقف الناس من الأسماء والصفات .
- **المبحث السادس :** الإلحاد في الأسماء والصفات .
- **المبحث السابع :** قواعد المنهج السلفي .

الفصل الأول

التوحيد والأمور المتعلقة

به وفيه ثلاثة مباحث :

- **المبحث الأول :** تعريف التوحيد في اللغة والاصطلاح .
- **المبحث الثاني :** الأمور المتصلة بعلم التوحيد وفيه أحد عشر مطلباً :
  - المطلب الأول : فضل علم التوحيد .
  - المطلب الثاني : أهمية علم التوحيد .
  - المطلب الثالث : واضع علم التوحيد .
  - المطلب الرابع : مصدر علم التوحيد .
  - المطلب الخامس : موضوع علم التوحيد .
  - المطلب السادس : أداب طلب علم التوحيد .
  - المطلب السابع : كيفية طلب علم التوحيد .
  - المطلب الثامن : أدلة وجوب علم التوحيد .
  - المطلب التاسع : حكم تعلم علم التوحيد .
  - المطلب العاشر : أهداف العقيدة الإسلامية .
  - المطلب الحادي عشر : آثار وفوائد علم التوحيد .
- **المبحث الثالث :** أسماء علم التوحيد

الفصل الأول

التمهيد :

إن علم التوحيد من أفضل العلوم وأشرفها على الأطلاق وذلك لأن شرف العلم بشرف المعلوم، والتوحيد هو معرفة الله وأسمائه وصفاته وربوبيته وألوهيته مع القيام بالعبادة له سبحانه وتعالى، فلذا كان من أشرف العلوم، وقبل أن نتعلم العلم في أي فرع من فروع العلم فلا بد من تعلم أمور منها :

(١) معنى علم التوحيد في اللغة والاصطلاح.
(٢) فضل علم التوحيد.
(٣) واضع علم التوحيد.
(٤) مصدر علم التوحيد.
(٥) موضوع علم التوحيد.
(٦) أهمية علم التوحيد.
(٧) آداب طلب علم التوحيد.
(٨) كيفية طلبه.
(٩) أدلة وجوبه.
(١٠) حكم تعلمه.
(١١) أهدافه.
(١٢) آثاره وفوائده.
(١٣) أسماء علم التوحيد.

المبحث الأول

الفصل الأول

التوحيد ومتعلقاته وفيه ثلاثة مباحث

المبحث الأول

تعريف التوحيد في اللغة والاصطلاح

التوحيد في اللغة :

التوحيد:

مصدر وحد من الوحدة، وهي الانفراد والواحد في الحقيقة هو الشيء الذي لا جزء له البته ثم أطلق على كل موجود حتى أنه ما من عدد إلا ويصح أن يوصف به فيقال عشرة واحدة، ومائة واحدة ، وألف واحد، والفرق بين الواحد والأحد أن الأحد بني لنفي ما يذكر معه من العدد تقول: ما جاءني أحد، والواحد: اسم بني لافتتاح العدد، تقول: جاءني واحد من الناس، ولا تقول: جاءني أحد، فالواحد متفرد بالذات في عدم المثيل والنظير، والأحد: المتفرد بالمعنى. وقيل الواحد هو الذي لا يتجزأ ولا يثنى ولا يقبل الانقسام ولا نظير له ولا مثيل، ولا يجتمع هذان الوصفان إلا لله عز وجل، والتوحيد على وزن التفعيل وهو مصدر وحدته توحيدا، والمعنى جعلته منفردا عما يشاركه أو يشابهه في ذاته وصفاته، والتشديد فيه للمبالغة: أي بالغت في وصفه بذلك، تقول العرب: واحد وأحد ووحد ووحيد أي متفرد، فالله تعالى واحد: تفرد عن الأنداد والأمثال في جميع الأحوال[1]. فمادة وحد تدور حول انفراد الشيء بذاته أو صفاته أو أفعاله وعدم وجود نظير له فيما هو واحد فيه.

---

(١) معجم مقاييس اللغة ٦ / ٩٠- ٩١، الحجة في بيان المحجة - تحقيق المدخلي - جزء (١) ٣٠٥-٣٠٦ ، لوامع الأنوار البهية جزء (١) / ١ – ١٠ .

التوحيد في الاصطلاح:

عرف التوحيد في الاصطلاح بعدة تعاريف منها.

(١) هو أفراد الله سبحانه وتعالى بالربوبية والألوهية والأسماء والصفات[١].

(٢) هو إفراد الله تعالى بالربوبية والطاعة أو العبادة ويشمل ذلك أنواع التوحيد الثلاثة الألوهية والربوبية والأسماء والصفات، وهي متلازمة مترابطة لا يصح إيمان المرء ولاتوحيده ما لم يأت بها كاملة، فالله تعالى المنفرد بالخلق والإحياء والإماتة والتدبير، وله صفات الكمال والعظمة والجلال فهو المتفرد كذلك بالأمر والنهي والطاعة .

(٣) إن الله تعالى واحد لا من طريق العدد ولكن من طريق أنه لا شريك له، ولا يشبهه شيء من خلقه، لم يزال بأسمائه وصفاته الذاتية والفعلية[٢].

(٤) إنه علم يبحث عن وجود الله، وما يجب أن ينسب له من صفاته وما يجوز أن يوصف به، وما يجب أن ينفى عنه، ويبحث عن الرسل لإثبات رسالتهم، وما يجب أن يكونوا عليه، وما يجوز أن ينسب إليهم، وما يمتنع أن يلحق بهم[٣] .

والذي أراه أن التعريف الأول والثاني هما تعريفان صحيحان للتوحيد، لأن العبد إذا أفرد الله عز وجل بالربوبية فتيقن بأن الله الرازق، والنافع، المحي، المميت بيده كل شيء ثم عبده بالإخلاص والمتابعة مع اعتقاده الجازم بأسمائه الحسنى وصفاته العلى مع قيامه بما تضمنتها تلك الأسماء والصفات صار موحدا الله عز وجل.

---

(١) التحفة المهدية للمهدي ٢٥٩، فتح رب البرية للعثيمين ٥٤ – ٥٥.

(٢) ينسب هذا التعريف للإمام أبي حنيفة في كتابه الفقه الأكبر، والراجح أن هذا الكتاب لاتصح نسبته إليه لما فيه من الركاكة في العبارات وعدم التناسق بينها، مع وجود مسائل اعتقاديه تخالف أهل السنة والجماعة. انظر الفقه الأكبر بشرح علي القاري / ١٣، براءة الأئمة الأربعة للحميدي.

(٣) رسالة التوحيد - لمحمد عبده ٥/ ٨، لوامع الأنوار- للسفاريني ١/ ٥٧.

أما التعريف الثالث وإن كان منسوبا لإمام[1] من أئمة أهل السنة والجماعة فالراجح بأن هذا التعريف لا ينسب إليه، فالتعريف يقول: (والله تعالى واحد لا من طريق العدد ولكن من طريق أنه لا شريك له) والواحد من أسماء الله تعالى يراد به معنيان:

المعني الأول: هو الفرد الذي لا ثاني له، وهذا من ناحية العدد، قال الإمام الطبري[2] يرحمه الله في تفسير قول الله تعالى: ﴿ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴾ [يوسف : ٣٩]

(الواحد الذي لا ثاني له) [3]

والمعني الثاني: أن الواحد هو الذي لا شريك له ولا مثيل ولاشبيه قال الإمام الطبري في تفسير قوله تعالى ﴿ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴾ [ص: ٦٥] (الواحد الذي لا ينبغي أن يكون له في ملكه شريك. وهو الواحد الذي لا شريك له في ملكه وسلطانه، والواحد: الذي لا مثيل له ولا شبيه)[3] .

فمما تقدم يظهر أن اسم الواحد في أسماء الله تعالى يراد به معنيان:

فمن ناحية العدد: فالله واحد لا ثاني له، ومن ناحية المثلية والمشاركة: فالله واحد لا مثيل له ولا شريك.

---

(١) هو الإمام أبو حنيفة يرحمه الله.

(٢) الإمام الطبري: محمد بن جرير بن يزيد الطبري، أبو جعفر، ولد في طبرستان سنة ٢٢٤هـ الإمام، الحافظ، المفسر، الفقيه، له عدة مؤلفات منها: جامع البيان في تأويل آي القرآن، أخبار الرسل والملوك، اختلاف الفقهاء، توفي سنة ٣١٠هـ. انظر الإعلام ٦/ ٦٩، تذكرة الحفاظ ٢/ ٣٥١، طبقات الشافعي ٢/ ١٣٥-١٤٠، السير ١٤/ ٢٦٧.

(٣) الفقه الأكبر ٣٠١، جامع البيان ١٢/ ١٢٩-١٣٥.

أما التعريف المنقول من كتاب الفقه الأكبر، فإنه يظهر فيه قصر معنى الواحد على معنى انه لا شريك له فحسب، ونفى أن يكون واحداً من ناحية العدد وهو الذي لا ثاني له وهذا خلاف معنى الواحد لغة وشرعاً ويستحيل أن يكون إماماً من أئمة أهل السنة والجماعة ممن له باع طويل في اللغة العربية ان يجهل تلك المعاني.

ومما يؤكد على أن هذا التعريف لم يقل به أبو حنيفة[1] أن التعريف قد قسم صفات الله عز وجل إلى قسمين ذاتية وفعلية، والمدقق في كلام السلف في الصفات في الفترة التي عاش فيها الإمام أبو حنيفة والفترة السابقة له، بل والتي تليه أيضاً لا يجد أثراً لوجود هذا التقسيم للصفات إلى ذاتية وفعلية ، بل كان أئمة السلف في القرن الأول والثاني يتكلمون في إثبات الصفات من باب واحد، وإنما هذا التقسيم حدث بعد ذلك لما ظهرت تعمقات المتكلمين[2] والفلاسفة[3]. ومما يدل على أن

---

(١) أبو حنيفة : النعمان بن ثابت بن زوطي التميمي الكوفي، الإمام. الفقيه، عالم العراق، قال ابن معين: كان أبو حنيفة ثقة لا يحدث بالحديث إلا بما يحفظ ولد سنة ٨٠هـ توفي شهيداً سنة ١٥٠هـ ، انظر السير ٦/ ٣٩٠، فهرست ابن النديم ٢٨٤.

(٢) المتكلمون : هم كل من تكلم في الله أو في العقيدة الإسلامية بما يخالف الكتاب والسنة وهم الذين ذمهم السلف يرحمهم الله، يقول شيخ الإسلام: (فالسلف ذموا أهل الكلام الذين هم أهل الشبهات والأهواء، ولم يذموا اهل الكلام الذين هم أهل كلام صادق، يتضمن الدليل على معرفة الله تعالى وبيان ما يستحقه وما يمتنع عليه) وعلى هذا يدخل في أهل الكلام كل من سلك المنهج الكلامي في أبواب العقيدة كالجهمية والمعتزلة والأشاعرة ونحوهم. انظر درء تعارض العقل والنقل ١/ ١٧٨ – ٧/ ١٨٣، النبوات لابن تيمية ١٥٦، الفتاوى ٤/ ٩٥.

(٣) الفلاسفة : هي الفرقة التي تأخذ من كل ما يعجبها ويروق لها، وعقلائهم يوجبون إتباع الأنبياء وشرائعهم وبعضهم لا يوجب ذلك ولا يحرمه، وسفلتهم وسفهاؤهم يمنعون ذلك، وهم فرقة نظرت في كتب الفلاسفة كأرسطو وأفلاطون الإسكندري، فآمنوا بما فيها من خزعبلات ظناً منهم أن هؤلاء الفلاسفة لا يخطئون، لأنهم يجرون في بحثهم على مقتضى البرهان، ثم حاولوا عبثاً وتملقاً إلى المسلمين، وسترا لزندقتهم أن يوفقوا بين الفلسفة وعقائد الدين فأخذوا يتلاعبون بالنصوص بما يوافق فلسفتهم العفنة، فضلوا وأضلوا وقد انبرى كثير من العلماء للرد عليهم والكشف عن تلبيساتهم ولا سيما ابن تيمية. انظر إغاثة اللهفان ٢ / ٦١٦-٦٢٦، اعتقادات =

هـذا التعـريف لم يقـل به الإمام أبو حنيفة يرحمه الله أن الشيخ ابن عثيمين[1] يرحمه الله ذكر أن هذا التعريف ينسب إلى المتكلمين فقال:

(وبعـض المتكلمين قالوا: التوحيد أن تؤمن أن الله واحد في أفعاله لا شريك له واحد)[2] .

وأمـا التعـريف الـرابع فهـو منسـوب إلى المـتكلمين، ولـيس لأهـل السـنة والجماعـة، فأهـل السـنة والجماعـة لا يديـنون إلا بمـا دان بـه السلف الصالح من الصـحابة والـتابعين، لأن الحـق الـذي لا شـك فيه ولا شبهه هو ما كان عليه خير القـرون، ثـم الـذين يلـونهم، أمـا قـول المتكلمين : ما يجب على الله وما يجوز وما يستحيل فهي مصطلحات جاء بها المتكلمون ويستدلون بها في التوحيد، فهي طريقة خاطئة لم يقل بها الصحابة ولا من خلفهم من أهل السنة والجماعة فالعقل البشري الضـعيف لـيس مـن حقه أن يجيز على الله، بل ما أوجبه الله على نفسه وما أجازه فهو الحق الذي نأخذ به، وهو ما جاء في الكتاب والسنة[3]

= فرق المسلمين والمشركين / ١٢٦، تهافت الفلاسفة ٣٩- ١٢٠، تهافت التهافت ٢٧- ١٥٤ معالم أصول الدين / ٤١ .

(١) ابـن عثـيمين : هو ابو عبدالله محمد بن صالح بن محمد بن عثيمين الوهيبي التميمي، ولد عام ١٣٤٧هـ، حفـظ القـرآن الكـريم صـغيراً ثـم اتجـه إلى طلب العلم فتعلم الخط والحساب والأدب والفرائض والفقه والتوحـيد والتفسـير والحـديث، تنقل في عدة وظائف ومهمات وكان عضواً في هيئة كبار العلماء بالمملكة العـربية السـعودية، ولـه نشـاط كـبير في الدعـوة إلى الله، وتـوفي سـنة ١٤٢١هـ لـه عدة مؤلفات منها: مصـطلح الحـديث، الأصـول من علم الأصول. شرح لمعة الاعتقاد، عقيدة أهل السنة والجماعة، وغيرها كثير. انظر شرح لمعة الاعتقاد ١٣ – ١٦ ، مجموع فتاوى ابن عثيمين.

(٢) شرح لمعة الاعتقاد ١٣٠ .

(٣) كشف الشبهات عن المتشبهات ٩٢، المواقف في علم الكلام / ٣٢.

المبحث الثاني

المبحث الثاني

الأمور المتعلقة بعلم التوحيد وفيه أحد عشر مطلبا

المطلب الأول

فضل علم التوحيد

فضل علم التوحيد

إن علم التوحيد من أشرف العلوم على الإطلاق وذلك لأن شرف العلم من شرف المعلوم، والتوحيد : هو معرفة الله وأسمائه وصفاته وربوبيته وألوهيته وهذا من أشرف العلوم فهو الفقه الأكبر بالنسبه لفقه الفروع وحاجة العباد إليه فوق كل حاجه.[1]

ولا ريب أن العلم به وبأسمائه وصفاته وأفعاله أجل العلوم وأفضلها ونسبته إلى سائر[2] العلوم كنسبة معلوماته إلى سائر المعلومات، وكما أن العلم به أجل العلم وأشرفها فهو اصلها كلها، وضرورتهم إليه فوق كل ضرورة، لأنه لا حياة للقلوب ولا نعيم ولا طمأنينة إلا بأن تعرف ربها ومعبودها وفاطرها بأسمائه وصفاته وأفعاله، ويكون مع ذلك كله أحب إليها مما سواه ويكون سعيها فيما يقربها إليه دون غيره من سائر خلقه.

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية - تحقيق التركي والأنؤرط ١/ ٥-٦.

(٢) مفتاح دار السعادة ١/ ١٤.

المطلب الثاني
أهمية علم التوحيد

إن علم التوحيد هو العلم العظيم القدر الذي ينبغي ويجمل، بل يجب لكل شخص عاقل من ذكر وأنثى، أن يدأب في تحصيله، وإدراك معرفته، والاتصاف[1] به ليكون في دينه على بصيرة، فالتوحيد مهم لكل مخلوق من الإنس والجن، حيث إن الله لم يخلقهم إلا لعبادته وبذلك يتحقق التوحيد الصحيح كما قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات : ٥٦].

المطلب الثالث
واضع علم التوحيد

هو الله عز وجل إذ هو المشرع قال تعالى: ﴿ وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ [المائدة:٣] ، ﴿ ۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا ﴾ [الشورى: ١٣] .

المطلب الرابع
مصدر علم التوحيد

هو كلام الله وكلام رسوله ﷺ والإجماع المبني عليهما، يقول شيخ الإسلام[2] (في أحاديث كثيرة وآثار ..... نتبين أن وسائل العقيدة من أول ما يعلمه

---

(١) حاشية الدرة المضيئة في عقيدة الفرقة المرضية / ١٤.

(٢) ابن تيمية : هو أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن محمد بن تيمية الدمشقي، شيخ الإسلام أبو عباس، ولد سنة ٦٦١هـ كان المدافع القوي عن العقيدة الإسلامية وتصدى لأهل البدع حتى سجن عدة مرات إلى أن توفي بقلعة دمشق سنة ٧٢٨هـ. انظر فوت الوفيات ١ / ٣٤ المنهل الصافي ١ / ٣٣٦. النجوم الزاهرة ٩ / ٢٧١، الكامل في التاريخ ١٢ / ١٧١.

النبي ﷺ لأمته وفي سنته ما يقطع الحجة، ويوضح المحجة ويوفى على الغاية هداية وشفاء للصدور وبيان للحق[1]) .

المطلب الخامس
موضوع علم التوحيد

العقائد الدينية وهي الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقضاء والقدر وما يتبع ذلك من أعمال القلوب مثل: الخوف والرجاء والعبادات الظاهرة نحو الصلاة والزكاة، فموضوع علم التوحيد موضوع شامل كامل لم يترك جانب من جوانب الحياة الفردية والاجتماعية إلا وقد نظمه تنظيماً دقيقاً شاملاً لجميع النواحي، فهو علم يقوم على عقيدة شاملة فيما ترتكز عليه من أركان الإيمان وقواعده وما يتفرع عن ذلك، وشاملة في نظرتها للوجود كله، تعرفنا عن الله والكون والحياة والإنسان معرفة صحيحة شاملة[2]. فيدرك الهداية ولذا يقول الله تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ ﴾ [الحشر: ١٩] .

فالمتأمل لهذه الآية يجد فيها معنى شريفاً عظيماً، وهو أن من نسي ربه انساه ذاته ونفسه، فلم يعرف حقيقته ولا مصالحه، بل نسي ما به صلاحه وفلاحه في معاشه ومعاده، فصار معطلاً مهملاً بمنزله الأنعام السائبة، بل ربما كانت الأنعام اخبر بمصالحها منه لبقائها، هداها الذي أعطاها إياه خالقها، وأما هذا فخرج عن فطرته التي خلق عليها فنسى ربه فانساه نفسه وصفاته وما تكمل به، وتزكو به

(١) درء تعارض العقل والنقل ١ / ٧٢ – ٧٥، الفتاوى ٣ / ٢٩٥، الأحكام في أصول الأحكام لابن حزم ١/ ٨٧ –٩٣.

(٢) مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية ، عثمان جمعه ضميرية٣٩٢.

وتسعد به في معاشها ومعادها. قال تعالى: ﴿ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴾ [الكهف: ٢٨][1].

المطلب السادس
آداب طلب علم التوحيد

إن من آداب طلب العلم الشرعي أن يتحلى طالبه بالنية الصادقة والإخلاص في طلبه مع الصبر في تحصيل العلم والاستزادة منه ولذا قيل عندما تطلب العلم لابد لك من ست:

ألا لن تنال العلم إلا بستة ... سأنبيك عن تعدادها ببيان
ذكاء وحرص واجتهاد وبلغة ... وصحبة أستاذ وطول زمان

المطلب السابع
كيفية طلبه

إن طلب علم التوحيد لابد أن يكون من اصحابه الجهابذة الذين قضوا أعمارهم في خدمة الدين والشرع، فيؤخذ التوحيد الصحيح من علماء أهل السنة والجماعة الذين يدعون إلى الله على بصيرة، وينزهون الله عما لا يليق به، ويتبرءون من المشركين وأصحاب البدع والضلالات كما قال تعالى في بيان سبيل دعوته: ﴿ أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [يوسف: ١٠٨] .

(١) مفتاح دار السعادة ١ / ١٦٤.

المطلب الثامن
أدلة وجوبه

إن الله عز وجل لم يخلق العباد إلا لعبادته، والعبادة هي التوحيد فقد قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات : ٥٦] .

وبهذا النفي في أول الآية والاستثناء في آخرها يحصر الله تعالى مهمة الإنس والجن ويقصرها على وظيفة واحدة ومسؤولية واحدة هي عبادة الله تعالى وحده فليس لهم وراء ذلك وظيفة أو غاية وما ينبغي أن يكون!!

المطلب التاسع
حكم تعلمه

فرض عين على كل مسلم ومسلمة فلا يعبد العبد ربه عبادة صحيحة إلا عن طريق العلم بتلك العبادة فلذا قال الله تعالى في كتابه: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [محمد : ١٩] .

ولذا قال الإمام البخاري[1] يرحمه الله في كتابه عند تفسيره لهذه الآية: (باب العلم قبل القول والعمل) [2]. ولذا قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ [الكهف: ١٠٧]. فالإيمان أولاً ثم العمل.

---

(١) البخاري : هو أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، نسبة إلى بخارى، البلد المعروف بما وراء النهر، صاحب الصحيح، إمام الدنيا في فقه الحديث، قال عن نفسه: خرجت كتابي هذا من زهاء ستمائه ألف حديث وما وضعت فيه حديثاً إلا وصليت ركعتين وصنفته في ست عشرة سنة، وعدد أحاديثه بدون المتكرر أربعة آلاف حديث كما قال الإمام النووي، وقال الحافظ إن مجرد عدد ما فيه بدون المكرر والموقوف والمعلق: ٢٧٦ حديثاً، مات سنة ٢٥٦هـ. انظر تاريخ بغداد ٢/ ٤ الأنساب ٢/ ١٠٠، الكاشف ٢/ ١٩، التقريب ٢٠٩، معجم البلدان ١/ ٣٥٣.

(٢) فتح الباري ١/ ١٩٢ط الريان.

المطلب العاشر
اهداف العقيدة الإسلامية

(١) إخلاص العبادة لله ، لأن الله هو الخالق المدبر لا شريك له فيجب أن توجه له العبادة، والإخلاص هو معنى شهادة أن لا إله إلا الله أي لا معبود بحق إلا الله قال تعالى: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ [البينة : ٥].

(٢) الوصول إلى سعادة الدارين بصلاح الأفراد والمجتمعات قال تعالى: ﴿ مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗ ﴾ [النحل : ٩٧].

(٣) بعث الراحة والطمأنينة في نفس المؤمن، قال تعالى: ﴿ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴾ [الرعد : ٢٨]. وقال الرسول عليه الصلاة والسلام : (عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله خير أن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له، وإن أصابته سراء شكر فكان خيراً له) (١).

(٤) صون الفكر والعقل البشري من الغي والضلال، لأن التدين غريزة فمن خلا قلبه من العقيدة الصحيحة فلا يخلو من أمرين إما أن يكون فارغ القلب من كل عقيدة وحينئذ يكون عابداً للمادة الحسية لأنه حيواني أخلد إلى الأرض وإما أن يكون على عقيدة فاسدة.

(٥) العزم والجد في الأمور بحيث لا يفوت فرصة للعمل الصالح إلا استعملها رجاء للثواب ولا يرى موقع إثم إلا ابتعد عنه خوفاً من العقاب، يقول الله تعالى: ﴿ وَلِكُلّٖ دَرَجَٰتٞ مِّمَّا عَمِلُواْۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعۡمَلُونَ ﴾ [الأنعام : ١٣٢] .

---

(١) مسلم في كتاب الزهد – باب المؤمن أمره كله خير ٤/ ٥٩٢٢ ، ١١ / ٢٦٦٤ .

ويقول الرسول عليه الصلاة والسلام : (المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف)[1].

المطلب الحادي عشر
آثار وفوائد هذا العلم

(١) تصحيح العقيدة الإسلامية وتنقيتها من الشوائب والشركيات والخرافات وغير ذلك مما يفسد التوحيد، أو ينفي كماله ويخدشه، والانتقال بالمسلم من طريق التقليد إلى طريق الحجة والبرهان .

(٢) حفظ العقيدة الإسلامية من الضياع والدفاع عنها باللسان والقلم .

(٣) إرشاد المسترشدين إلى الطريق المستقيم وهداية الضالين بالأدلة المقنعة الواضحة المستمدة من كتاب الله وسنة الرسول عليه الصلاة والسلام، وما أجمع عليه السلف الصالح وما دل عليه العقل السليم والفطرة القويمة حيث لا تعارض بين تلك الأدلة، فالعقل والفطرة السليمة يدركان الحق عن طريق الأدلة، أما التفاصيل فمن طريق الوحي، ولذا فقد ألف العلماء كتباً لتوضيح تلك المسألة ومن أهمها كتاب : درء النقل والعقل لابن تيمية .

(٤) الفوز بسعادة الدارين في الدنيا الراحة النفسية، وفي الآخرة حسن المآب، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ [فصلت : ٣٠] وقال تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [النحل : ٩٧].

---

(١) البخاري كتاب القدر – باب في الأمر بالقوة وترك العجز، ٢٦٦٤.

(٥) إحياء القلوب وإنارة النفوس كما قال تعالى: ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ﴾ [الأنعام : ١٢٢] .

(٦) إخراج الناس من الظلمات إلى النور كما قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾ [البقرة: ٢٥٧] .

(٧) تفسير نشأة العبد وسر وجوده والغاية التي يسعى من أجلها وتحديد مصيره ونهايته، مع توضيح المنهاج المستقيم لحياته في الدنيا والآخرة وهناك العديد والعديد من الفوائد والآثار النافعة التي يحصل عليها من جراء الاعتقاد الصحيح.

المبحث الثالث

المبحث الثالث

أسماء علم التوحيد

إن علم التوحيد من العلوم العظيمة ولذا أتسم بعدة أسماء منها:

١ - **الفقه الأكبر :** [١]

الفقه في اللغة[٢]: الفهم والعلم بالشيء، أو فهم غرض المتكلم خاصة، أو فهم وعلم الأمور الخفية الدقيقة التي تحتاج إلى النظر والاستدلال.

الفقه في الشرع[٣]: الفهم بعلم الدين أو العلم بأحكام الشريعة كلها، وهذا المعنى الشرعي العام هو الذي كان معروفاً عند السلف في العصر الأول ، قبل أن يخصصه المتأخرون بمعرفة الأحكام التشريعية العملية المكتسبة من أدلتها التفصيلية كما هو المشهور عند الفقهاء والأصوليين.

ولعدم الالتباس والخلط بين استعمال الفقه في السابق واللاحق، استخدم لفظ الفقه الأكبر للاعتقاديات لأنه أكبر بالنسبة للأحكام العملية التي تسمى الفقه الأصغر، ولأن شرف العلم وعظمته بحسب المعلوم، ولا معلوم أكبر من ذات الله تعالى وصفاته الذي يبحث فيه هذا العلم، لذلك سمي الفقه الأكبر.

وقد قيل إن أول من استخدم مصطلح الفقه الأكبر هو الإمام أبو حنيفة يرحمه الله، وإن كان الإمام أبو حنيفة أطلق على علم التوحيد مسمى الفقه الأكبر

---

(١) يسمى العقد الأكبر أيضاً، انظر الفتاوي ١١ / ٣٣٦.

(٢) معجم مقاييس اللغة ٤/ ٢٤٢، لسان العرب ١٣/ ٥٢٢، الكليات ٣/ ٣٤٤، المفردات ٣٨٤.

(٣) كشاف اصطلاحات الفنون ١/ ٤٢، الكليات٢٤٥٣ ، الفتاوى ٥/ ٤٦ ، درء تعارض العقل ٦/ ٢٦٣-٢٦٤.

حتى يميزه عن فقه الأحكام الشرعية العملية، فالراجح أن الرسالة التي تنسب إليه بمسمى الفقه الأكبر ليست من تأليفه وذلك لأسباب عديدة منها:

(١) الطعن في السند من بدايته إلى نهايته.

(٢) ركاكة العبارات وعدم التناسق بينها.

(٣) خلو الرسالة من أي أدلة تفصيلية من كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام.

(٤) اشتمال الرسالة على ما ليس له علاقة بأصول الدين ومسائل الاعتقاد.

(٥) تضمن الرسالة لمسائل تخالف معتقد أهل السنة والجماعة في الصفات والأسماء والقرآن الكريم، بل توافق أقوال ومعتقدات الجهمية[١].

فالناظر المدقق في تلك الرسالة يجدها تحتوي على عدد من المسائل الغريبة على منهج السلف وأهل السنة في الاعتقاد، فهل يعقل أن تكون من تأليف إمام عظيم من الأئمة المتقدمين الذين أدركوا بعض الصحابة وكبار التابعين؟

وإنه لمن حق الإمام[٢] أبي حنيفة يرحمه الله علينا أن ندفع عنه نسبة هذا الكتاب إليه، وأن نبرئه مما حواه من مسائل مخالفة لمنهج السلف في الاعتقاد[٣].

---

(١) الجهمية : أتباع جهم بن صفوان الذي قال: إن العبد مجبور على فعله لا قدرة له البتة، وإن الإيمان هو المعرفة بالله فقط، والكفر هو الجهل به فقط ومن ضلالاته إنكار الأسماء والصفات والقول بفناء الجنة والنار، وإن كلام الله مخلوق. انظر المقالات ١/ ٣٣٨، الفرق بين الفرق ٢١١- ٢١٢، الفصل في الملل ٤/ ٢٠٤، التبصير في الدين ١٠٧- ١٠٨، الملل والنحل ١/ ٨٦- ٨٨ اعتقاد فرق المسلمين ٨٩ -٩٣.

(٢) إن شيخ الإسلام يرحمه الله ذكر في ثلاثة مواقع من كتبه بأن كتاب الفقه الأكبر قد ألفه أبو مطيع الحكم بن عبد الله البلخي . انظر تعارض العقل ٦/ ٢٦٣.

(٣) براءة الأئمة الأربعة ٦٦.

٢ - الإيمان :

الإيمان في اللغة : آمن : الهمزة والميم والنون أصلان متقاربان : احدهما الأمانة التي هي ضد الخيانة، ومعناها سكون القلب، والأخر: التصديق والمعنيان متدانيان، وقد جاء ذكرهما في القرآن الكريم فقال تعالى: ﴿ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا ﴾ [يوسف: ١٧] . أي بمصدق. وقال تعالى: ﴿ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ﴾ [قريش: ٤] . أي سكون القلب والشعور بالاطمئنان[١].

الإيمان في الاصطلاح: الإيمان عند أهل السنة والجماعة هو التصديق بالجنان والقول باللسان والعمل بالأركان.

ولذا فلا عبرة لمن عرف الإيمان في الاصطاح بأنه التصديق، أو المعرفة أو التصديق والإقرار، فإن المذهب الحق هو ما ذهب إليه أهل السنة والجماعة في تعريف الإيمان في أنه قول وعمل وتصديق[٢].

فالإيمان اسم من أسماء التوحيد ولذا نجد كثيراً من علماء السلف قد سمى علم التوحيد بمسمى الإيمان وقد ألفوا كتباً في ذلك مثال: كتاب الإيمان لشيخ الإسلام ابن تيمية يرحمه الله وغيره[٣].

---

(١) لسان العرب ٣/ ٢١-٢٢، الإيمان لابن تيميه / ١٦

(٢) حادي الأرواح / ٢٤٥، مختصر الصواعق المرسلة / ٣٠٩، الإيمان لأبى عبيد، ٩ - ١٠، الإبانة الكبرى لابن بطه ١/ ٧٦٠.

(٣) من الأئمة الذين ألفوا كتباً في التوحيد وأطلقوا عليها مسمى الإيمان الإمام أبي عبيد القاسم بن سلام البغدادي الهروي، الحافظ أبي بكر عبد الله بن شيبة العبسي، الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، الحافظ محمد بن إسحاق يحيى بن منده.

٢ - **السنة:**

السنة في اللغة: الطريقة المسلوكة محمودة كانت أو مذمومة، والسنة أيضاً هي العادة[١].

السنة في الاصطلاح: إن السنة في الشرع تطلق على معان منها:

(١) **السنة عند الفقهاء:** الطريقة المسلوكة في الدين من غير افتراض ولا وجوب والمراد بالطريقة المسلوكة في الدين، ما سلكها رسول الله ﷺ وغيره ممن لهم علم في الدين كالخلفاء الراشدين[٢] وأصحابه رضي الله عنهم لقول الرسول عليه الصلاة والسلام: (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي)[٣].

(٢) **السنة عند علماء أصول الفقه:** هي ما يصدر عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خلقية أو خلقية أو سيرة مطلقاً وهي بهذا مرادفة لمعنى الحديث[٤].

(٣) **السنة عند علماء أهل السنة والجماعة:** هي الطريق الذي كان عليه الرسول عليه الصلاة والسلام وأصحابه رضوان الله عليهم، لذا نجد إن اصطلاح السنة قد أطلق على علم التوحيد، وألفت مؤلفات في ذلك منها على سبيل المثال السنة للإمام أحمد بن حنبل الشيباني[٥] وغيره.

---

(١) معجم مقاييس اللغة ٣/ ٦٠-٦١،لسان العرب ١٣/ ٢٢٠-٢٢٨، النهاية في غريب الحديث والأثر ٢/ ٤٠٩-٤١٣.

(٢) جامع العلوم والحكم ٢٤٣-٢٤٤، الأحكام في أصول الأحكام ١/ ٦٩.

(٣) أبو داود في السنة ٧/ ١١، ١٢، والترمذي في العلم ٧/ ٤٣٨-٤٤١ وقال حديث حسن صحيح.

(٤) لسان العرب ٨/ ١٧٦، معجم مقاييس اللغة، ٣/ ٣٦٢، المفردات ٢٥٨.

(٥) أحمد بن حنبل : أبو عبد الله بن حنبل هلال الذهلي الشيباني المرزوي الشيباني البغدادي، الإمام حقاً وشيخ الإمام صدقاً، قال قتيبة بن سعيد (أحمد بن حنبل إمامنا ومن لم يرض به فهو مبتدع) أحد الأئمة الرواسي حفظ الله به السنة توفي عام ٢٤١هـ. انظر السير ١١/ ١٧٧، حلية الأولياء ٩/ ١٦١، صفات الحنابلة ١/ ٤، فهرست ابن النديم ٣٠٢، الأعلام ٢٠٣، مناقب الإمام أحمد بن حنبل.

٤ - علم التوحيد :

إن علم التوحيد هو الوحدانية[١]، وقد كانت الوحدانية أهم مقاصد الرسل من أولهم إلى أخرهم. وقد ألف عدد من علماء السنة مؤلفات باسم التوحيد منها على سبيل المثال:

كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد للإمام محمد بن عبد الوهاب[٢] وغيره[٣].

٥ - الشريعة:

الشريعة في اللغة: الدين والمنهاج والطريق والسنة[٤].

الشريعة في الاصطلاح: على عدة معان ومنها :

(١) تطلق الشريعة على ما خص الله تعالى به كل نبي من الأحكام وما سنه لأمته مما يختلف من دعوة نبي لآخر في المناهج وتفصيل العبادات والمعاملات، ولذا يقال: إن الدين في أصله واحد والشرائع متعددة كما في قوله تعالى: ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾[٥] [المائدة: ٤٨] .

---

(١) لسان العرب ٣/ ٤٥٠-٤٥١، معجم المقاييس ٦/ ٩٠-٩١.

(٢) محمد بن عبد الوهاب : هو الإمام محمد بن الوهاب بن سليمان بن علي بن محمد، ويرجع نسبه إلى معد بن عدنان، ولد سنة ١١١٥هـ في العيينة من بلاد نجد، ونشأ في بيت علم ودين، فقد كان أبوه عبد الوهاب قاضي العيينة وفقيهها، أتهمه أهل الزيغ والضلال بفساد المعتقد، له عدة مؤلفات منها : كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد، كشف الشبهات، الأصول الثلاثة وغيرها، توفي سنة ١٢٠٦هـ. انظر عنوان المجد في تاريخ نجد ١/ ٨٩-٩٦، علماء نجد خلال ستة قرون ١/ ٢٥-٤٨، الإمام محمد بن عبد الوهاب مصلح مظلوم.

(٣) من الكتب التي ألفها علماء أهل السنة كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل لابن خزيمة، كتاب التوحيد ومعرفة أسماء الله عز وجل وصفاته لا بن منده، الحجة في بيان المحجة وشرح التوحيد للأصبهاني.

(٤) لسان العرب ٨/ ١٧٦، معجم مقاييس اللغة ٣/ ٣٦٢، المفردات ٢٥٨.

(٥) لوامع الأنوار ١/ ٥٧، رسالة التوحيد لمحمد عبده، ١/ ٥٧، التوحيد مفتاح دعوة الرسل.

(٢) **الشريعة**: هي العقائد التي يعتقدها أهل السنة والجماعة من الإيمان مثل: اعتقادهم أن الإيمان قول وعمل، وأن الله موصوف بما وصف به نفسه ووصفه به رسوله عليه الصلاة والسلام، وأن القرآن الكريم كلام الله غير مخلوق، وأن الله خالق كل شيء ونحو ذلك من عقود أهل السنة والجماعة[١] فالشريعة كالسنة. ولذا نجد أن علماء السلف قد ألفوا مؤلفات في التوحيد باسم الشريعة ككتاب الشريعة للفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة للإمام أبي عبد الله عبيد الله العكبري[٢] يرحمه الله.

٦ - العقيدة:

العقيدة في اللغة: الشدة والوثوق، الوجوب، الإبرام، الثبات، الصلابة الدين، الحكم الذي لا يقبل الشك[٣].

العقيدة في الاصطلاح: هي الأمر الذي يجب أن يصدق به قلبك، وتطمئن إليه نفسك، ويكون عندك يقيناً لايمازجه ريب ولايخالفه شك[٤].

ولقد عرف الشيخ ابن عثيمين يرحمه الله العقيدة بقوله (الحكم الذهني الجازم فإن طابق الواقع فصحيح وإلا ففاسد)[٥].

---

(١) الفتاوى ١٩/ ٣٠٦ – ٣٠٧ .

(٢) العكبري : هو الإمام عبد الله بن محمد عيسى بن إبراهيم بن عتبة بن فرقد ، وعتبة بن فرقد صاحب رسول الله ﷺ ، أهتم بالعلم من الصغر وتنقل من مصر إلى مصر آخر في طلبه كان عابداً صالحاً مستجاب الدعوة قواماً قال عنه الذهبي : (كان صاحب أحوال وإجابة دعوة رضي الله عنه) له عدة مؤلفات منها : كتابى الشرح والإبانة ، رسالة في إبطال الحيل توفي سنة ٣٨٧هـ. انظر البداية والنهاية ١١-٣٢١ ، تاريخ دمشق ١٠/ ٣٦٨ ، ميزان الاعتدال ٣-١٢٢ ، لسان الميزان ٤/ ١١٢ .

(٣) معجم مقاييس اللغة ٤/ ٨٦ – ٨٧ ، لسان العرب ٣/ ٢٩٦ – ٣٠٠ ، الصحاح ٢/ ٥١٠ .

(٤) مجموعة الرسائل المنيرية – مجموعة من العلماء ٣٧٩ .

(٥) شرح لمعة الاعتقاد ، لابن عثيمين / ٢٩ .

لقد ألف عدد من علماء أهل السنة مؤلفات في علم التوحيد باسم العقيدة مثال: كتاب شرح أصول اعتقاد أهل السنة. والجماعة للإمام أبي القاسم هبة الله بن الحسن اللالكائي[١]، وكتاب عقيدة السلف أصحاب الحديث للإمام أبي عثمان الصابوني[٢] وغيرها من الكتب[٣].

إن من الأولى والأفضل عدم استخدام لفظ العقيدة منفرداً حيث إنه في العصر الحاضر في ظل التفاعل الفكري مع الثقافة الغربية أصبحت لفظة العقيدة تستعمل تعريباً للفظة الإنجليزية DOGMA والفرنسية DOGMA. ومعنى هذين اللفظين في مصطلح الثقافة الغربية الحديثة هو : المبدأ، أو المسائل التي يؤمن صاحبها بصوابها ويستسلم لها. وربما يحاول فرضها على اللآخرين دون الاستناد إلى بينه أو دليل أو تمحيص علمي كاف. ولذا كان من الأفضل أن نستخدم مصطلح العقيدة مقيداً بالإسلامية حتى يصبح المقصور بها العقيدة المستمدة من الكتاب والسنة[٤].

---

(١) اللالكائي : أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الشافعي اللالكائي ، أفاد أهل بغداد في وقته . درس الفقه الشافعي وبرع فيه ، له مصنفات من أشهرها شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ، وهي من أفضل الكتب التي ألفت في مجال العقيدة من حيث عرض أصول أهل السنة والجماعة ، وقد حقق الكتاب الدكتور أحمد سعد حمدان . توفي سنة ٤١٨هـ . انظر السير ١٧/ ٤١٩ ، شذرات الذهب ٣/ ٢١١ ، تاريخ بغداد ١٤/ ٧٠ ، تذكرة الحفاظ ٣/ ١٠٨٣ ، البداية والنهاية ٢/ ٢٤ .

(٢) الصابوني : أبو عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن بن أحمد بن إسماعيل بن عابد الصابوني ، تولى الوعظ وهو في العاشرة من عمره . كان بالغا في العفاف والسداد وصيانة النفس ، معروفا بحسن الصلاة وطول القنوت واستشعار الهيبة ، كان سيف السنة وأفعى على أهل البدعة ، من مصنفاته الفصول في الأصول ، الانتصار . عقيدة السلف . توفي سنة ٤٤٩هـ . انظر الأنساب ٨ / ٢٤٧ – ٢٤٨ ، طبقات الشافعية ٤/ ٢٧١ – ٢٩٢ ، البداية والنهاية ١٢/ ٧٦ ، شذرات الذهب ٣/ ٢٨٢ – ٢٨٣ .

(٣) من الكتب التي ألفت بهذا الاسم كتاب الاعتقاد على مذهب السلف أهل السنة والجماعة للإمام أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي .

(٤) المعجم الفلسفي ٢/ ٩٢ .

(٧) أصول الدين :

تعريف الأصل في اللغة: الأساس أو ما بينى عليه غيره[١].

تعريف الأصل في الاصطلاح :

(١) **يطلق الأصل في الاصطلاح على الدليل:** يقال الأصل في هذه المسألة الكتاب والسنة.

(٢) القاعدة الكلية التي تشتمل على جزئيات موضوعها كقاعدة لا ثواب إلا بنية.

(٣) **الراجح والأحرى يقال:** الأصل في الكلام الحقيقة لا المجاز فالأصل في الدين التوحيد[٢].

فأصول الدين: هي ما يقوم الدين عليه ويعتبر أصلاً له[٣].

لقد ألف عدد من علماء أهل السنة والجماعة كتباً باسم أصول الدين ككتاب الشرح والإبانة عن أصول السنة والديانة للعكبري ويعرف باسم الإبانة الصغرى. وكتاب الإبانة عن أصول الديانة[٤] لأبي الحسن الأشعري[٥].

---

(١) معجم مقاييس اللغة ١/ ١٠٩ .

(٢) الكليات ١/ ١٨٨ – ١٨٩ ، ٥ ، الفتاوى ١٩/ ١٣٤ ، الموسوعة الفقهية ٥/ ٥٥ – ٦١ .

(٣) لقد ألف بعض المتأخرين كتباً باسم أصول الدين وادخلوا فيها ما ليس من الدين حقيقة ولا من أصوله كنفي الصفات ، والاستدلال على حدوث العالم بحدوث الأعراض التي هي صفات للأجسام، ومن هؤلاء البغدادي في كتاب أصول الدين . الجويني في كتابه الشامل في أصول الدين .

(٤) لقد ألف الإمام أبو الحسن الأشعري كتابه الإبانة في أخر حياته عندما أعلن رجوعة إلى مذهب أهل السنة والجماعة .

(٥) أبو الحسن الأشعري : أبو علي بن إسماعيل بن إسحاق الأشعري . كان إماما متكلما ، تبحر في كلام الاعتزال أول حياته وبرع فيه ثم تركه وذمه وصنف في الرد عليه ، قضى فترة على مذهب الكلابية بعد رجوعه عن الاعتزال . ويقال إنه في آخر حياته ترك الكلام وذمه ورجع إلى مذهب السلف الصالح وأعلن تمكسه به وتخليه عما قبله . من آخر مؤلفاته على مذهب السلف الإبانة عن أصول الديانة ، يقول عنه شيخ الإسلام يرحمه الله (كانت خبرته بالكلام خبرة مفصلة، وخبرته بالسنة خبرة مجملة ، فلذلك وافق المعتزلة في بعض أصولهم التي التزموا لأجلها خلاف السنة . واعتقد أنه يمكنه الجمع بين تلك الأصول وبين الانتصار للسنة كما فعل في مسألة الرؤية والكلام والصفات الخبرية وغير ذلك) توفي سنة ٣٢٤ هـ ، انظر السير ١٥/ ٨٥ ؛ تاريخ بغداد ١١/ ٣٤٧ ؛ الفتاوى ١٢/ ٢٠٥ .

وأما ما ألفه المتكلمون من كتب وأطلق عليه اسم أصول الدين فلا تدخل تحت علم التوحيد.

من أسماء علم التوحيد الخاطئة

١ - علم الملل والنحل :

إن هذا الاسم مجانب للصواب فإن الملة تطلق على الملة الصحيحة والخاطئة وملة الإسلام ملة واحدة وهي الملة التي ارتضاها الله عز وجل لعباده فلذا فإن أي ملة أخرى لا تُقبل كما قال تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران ٨٥].

٢ - علم التصوف :

إن هذا الاسم لا يقبل به حيث إن فرقة الصوفية[١] فرقة خرجت عن الحد الأوسط الذي فرضه الله على العباد. وهي من الفرق التي خالفت أهل السنة والجماعة. فلذا لا يسمى علم التوحيد بعلم التصوف.

٣ - علم الكلام :

إن علم الكلام من الأسماء الخاطئة التي انتشرت في كثير من دول العالم الإسلامي[٢] على أنه علم التوحيد. والصحيح أن علم الكلام قد ظهر في الأمة

---

(١) الصوفية : فرقة تعتبر نفسها من أهل السنة وليسوا منهم ، قد خالفوهم في الاعتقاد والأفعال والأقوال ، أما الاعتقاد فسلكوا مسلكاً باطنيا حيث يقولون إن للقرآن ظاهرا وباطنا فالظاهر ما يعلمه العامه. والباطن ما يعتقدونه هم . ويعتقدون أن الله حال فيهم وممازج لهم . ويدعون أنهم قد ارتفعت درجتهم عن التعبدات اللازمة للعامة ولهم شطحات بعيدة عن الدين الإسلامي. انظر البرهان ١٠١ – ١٠٥ ، الأعلام ٢/ ٢٦٠ ، أضواء على التصوف ٢٨ .

(٢) تاريخ المذاهب الإسلامية – محمد أبو زهرة – ١٨٧ ، إسلام بلا مذاهب ٤٩٩ – ٥٠٠ .

الإسلامية بعد احتكاك المسلمين بالأمم المجاورة والتأثر بثقافاتها وأفكارها الدينية مع دخول كثير من أصحاب الديانات الأخرى في الإسلام[1] ولم يتخلصوا من أفكارهم ومعتقداتهم السابقة فأثاروا الشبهة في الإسلام فأخذت بعض الفرق بتلك الآراء والمعتقدات[2] وعلى رأس تلك الفرق فرقة المعتزلة[3]. فأطلقت على علم التوحيد علم الكلام فلذا فهو من الأسماء المرفوضة عند أهل السنة والجماعة، وإن زعم الزاعمون بأن هذا الاسم من أفضل الأسماء لعلم التوحيد وجعلوا لذلك أسباباً.

٤ - علم الفرق :

إن هذا الاسم لا يصح إطلاقه أبداً على علم التوحيد، فالتوحيد الصحيح هو ما كان عليه أهل السنة والجماعة والتي أخبر الرسول عليه الصلاة والسلام بقوله عنها: (افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة وافترقت النصارى على

---

(١) أعلام الموقعين ٤/ ٣١٧ ، خصائص الإسلام ١٣ – ١٩ .

(٢) شرح الكوكب المنير ٢/ ٩ .

(٣) المعتزلة : يراد بالمعتزلة عمرو بن عبيد ، وواصل بن عطاء ومن سلك سبيلهم وسموا بذلك لاعتزالهم الجماعة بعد موت الحسن البصري في أوائل المائة الثانية للهجرة ، والذي وضع أصولهم هو واصل بن عطاء وتابعة عمرو بن عبيد تلميذ الحسن البصري فلما كان زمن هارون الرشيد صنف لهم أبو هذيل العلاف كتابا في بدعتهم بنى المذهب على خمسة أصول هي :
(١) العدل : وأراد به إنكار القضاء والقدر .
(٢) التوحيد : وبناه على نفي صفات الرب وتأويلها .
(٣) إنفاذ الوعيد : وذلك بتخليد صاحب الكبيرة في النار .
(٤) المنزلة بين المنزلتين : وهو حكم على صاحب الكبيرة في الدنيا (بأنه فاسق لا مؤمن ولا كافر بل هو في منزلة بين المنزلتين) .
(٥) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر : وقصد به شق الطاعة على أمراء المسلمين . انظر المقالات ١/ ٣٣٥ – ٣٣٦ ، الفرق بين الفرق ٧٨ – ١٣٦ ، اعتقاد فرق المسلمين والمشركين ٣٣ – ٣٨ ، فجر الإسلام ١ – ٢٩٦ .

اثنتين وسبعين فرقة وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة وهي الجماعة[1]). وفي رواية : (من هي يا رسول الله قال: ما أنا عليه وأصحابي)[1] فأهل التوحيد الصحيح هم فرقة واحدة (أهل السنة والجماعة) فلذا لا يُسمى علم التوحيد بعلم الفرق. وإن تشدق المتشدقون[2] ورفعوا عقيرتهم بمحاولة الجمع بين أهل السنة والجماعة وباقي الفرق زاعمين بأن التعايش بالسلام والطمأنينة من أهم أهداف الدين الإسلامي. ومن ثم فلا غرو في تسمية علم التوحيد بعلم الفرق. فلذا يجب علينا الحذر من تلك الشعارات الزائفة التي تريد أن تجمع بين النور والظلام وبين التوحيد والشرك.

٥ - علم الغيبيات :

من الأسماء الخاطئة التي تطلق على علم التوحيد اسم علم الغيبيات حيث يزعم الزاعمون أن أمور العقيدة الإسلامية أمور غيبية ، وهذا ليس من الواقع في شيء حيث إن الدين الإسلامي ليس مبنياً على الغيبيات فقط. بل إن هناك كثيراً من الأمور العقدية لا تدخل في عالم الغيب كالإيمان بالرسل مثلاً : فلقد رأى الصحابة رضوان الله عنهم أجمعين الرسول عليه الصلاة والسلام. وكذلك رأت الأمم السابقة أنبيائها ورسلها عليهم الصلاة والسلام. ومن المعلوم أن الإيمان بالرسول ركن من أركان الإيمان. وهذا نفسه مع الركن الثالث من أركان الإيمان ألا هو الإيمان بالكتب فالكتب

---

(١) الترمذي في كتاب الإيمان – باب ما جاء في افتراق هذه الأمة ٥/ ٢٦ ، ح ٢٦٤١ ، والحاكم في المستدرك ١/ ١٢٨ ، وقال : هذا حديث صحيح على شرط البخاري ومسلم ولم يخرجاه .

(٢) من أمثال هؤلاء الذين ينادون بعملية الجمع والتقريب الدكتور حسن حنفي حسين ، أحمد أمين عبد الرحمن الشرقاوي ، الدكتور محمد أحمد خلف الله ، المستشار محمد سعيد العشماوي الدكتور : محمد غزالي ، فهمي هويدي ، الدكتور : حسن السباعي . انظر العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التقريب ١٩ – ١٣١ ، الحلول المستوردة وكيف جنت على أمتنا – الدكتور يوسف القرضاوي .

السماوية يقرأ الناس فيها ويطلعون عليها ويقومون بتفسيرها فكيف يصح أن يقال إن علم التوحيد هو علم الغيبيات فهذا الاسم لا يتفق مع علم التوحيد.

٦ - علم العقائد :

إن هذا الاسم من المسميات التي تطلق على علم التوحيد. وهو اسم مجانب للحق. حيث إن علم التوحيد أو العقيدة الإسلامية تشتمل على عقيدة واحدة هي عقيدة الإسلام التي ابتغاها الله عزوجل لخلقه[١] وارتضاها لهم مصداقا لقوله تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران : ٨٥] .

فإن هذا الإسم يستخدمه الذين ينادون بعملية التقريب بين الأديان فيزعمون أن العيسوية والموسوية والمحمدية [٢] ديانات واحدة جاءت من عند الله عز وجل فلذلك فهي عقيدة واحدة ، فلذا فإنهم يطلقون على علم التوحيد علم العقائد . ولذا فإن هذا الاسم اسم غير صحيح فإن العقائد السماوية السابقة قد نسخت بعقيدة الإسلام .

٧ . علم الإلهيات :

إن من الأسماء الخاطئة التي يسمى بها علم التوحيد علم الإلهيات وهي من الأسماء المجانبة للحق والصواب . فإن أول أركان الدين الإسلامي هي شهادة أن

---

(١) الفتاوى ١١/ ٣٦٦ .

(٢) في عام ١٩٨٧م تأسست الجامعة العالمية للمؤمنين باسم (المؤمنون متحدون) وعمل لهذه المؤسسات لوائح وأنظمة داخلية ركزت على إذابة الفوارق بين الإسلام واليهودية والنصرانية وتجريد الشخصية الإسلامية من هويتها ولذا أطلق على اليهودية الموسوية ، وعلى النصرانية العيسوية . وعلى الإسلام المحمدية ، وبما أن موسى وعيسى ومحمد رسل من عند الله فلا فرق بين الملل اليهودية والنصرانية والإسلامية ، انظر تناقض أهل الأهوا والبدع ٢/ ٧٩٧ .

لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ومعنى شهادة أن لا إله إلا الله[1] : لا معبود بحق إلا الله . فهو إله واحد معبود ، فالتوحيد[2] قائم على عقيدة التوحيد النقية الصافية التي تمثلها هذه الشهادة التي شهد الله تعالى بها لنفسه، كما شهد له بها الملائكة وأولو العلم فقد قال تعالى ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران :١٨] .

فكيف يحق بعد ذلك تسمية علم التوحيد بعلم الإلهيات؟

٨ - **التصور الإسلامي** [3] :

إن من الأسماء الخاطئة التي تسمى بها علم التوحيد . فالتوحيد والعقيدة الإسلامية توقيفية ولا مجال للتصور والخيال فيها. فهي عقيدة توقيفية، شاملة متكاملة، متوازنة، لا تحتاج إلى الخيالات والتصورات ؛ فهي كاملة من عند الله عز وجل كما وضح ذلك سبحانه وتعالى ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ ﴾ [المائدة :٣] .

٩ - **الفكر الإسلامي :**

إن هذا الاسم من الأسماء الخاطئة التي لا يصح إطلاقاً تسمية علم التوحيد بها فالدين الإسلامي ليس أفكاراً ولكنه وحي من الله عز وجل نزله على رسوله

---

(١) من هنا يتضح أن كل من فسر شهادة أن لا إله الا الله بإحدى المعاني التالية فهو خاطىء كقولهم بأن معناها : لا حاكم إلا الله ، أو لا خالق إلا الله ، ولا معبود إلا الله فكلها تفسيرات بعيدة عن الحق .

(٢) زاد المعاد ١/ ٣٤ .

(٣) أول من أستخدم هذا المصطلح هو أبو الأعلى المودودي ثم تبعه في ذلك سيد قطب . انظر خصائص التصوير الإسلامي ، مقومات التصوير الإسلامي .

عليه الصلاة والسلام، ليسير عباده عليه. فكلمة فكر الذي يقصد بها الدين يجب أن تحذف من قواميس الكتب الإسلامية، لأنها تؤدي إلى هذا المعنى الفاسد . وهو أن يقال عن الإسلام فكر ، والنصرانية فكر ، واليهودية فكر، فيؤدي إلى أن تكون هذه الشرائع مجرد أفكار أرضية يعتنقها من شاء من الناس، والواقع أن الدين الإسلامي دين سماوي من عند الله- عز وجل – يعتقده الإنسان على أنه وحي من الله يقول الشيخ ابن عثيمين يرحمه الله (فإذا قيل الفكر الإسلامي فهذا يعني أن الإسلام فكر وإذا كان القائل بهذا التعبير يريد فكر الرجل الإسلامي فليقل فكر الرجل الإسلامي أو المفكر الإسلامي وبدلاً من أن نقول الفكر الإسلامي نقول الحكم الإسلامي لأن الإسلام حكم والقرآن الكريم إما خبر وإما حكم كما قال تعالى : ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾[1]

[الأنعام :١١٥] .

١٠ - علم الخلاف :

إن من الأسماء الخاطئة لعلم التوحيد هو علم الخلاف والصحيح أن علم الخلاف يطلق على علم الفقه ، فإن علم الاختلاف هو علم باحث عن وجود الاستنباطات المختلفة من الأدلة الإجمالية أو التفصيلية ، الذاهب إلى كل منها طائفة من العلماء ثم البحث عنها بحسب الإبرام والنقض[1] .

وعُرف أيضاً بأن علم يعرف من كيفية إيراد الحجج الشرعية ودفع الشبهة وقوادح الأدلة الخلافية بإيراد البراهين القطعية[2] .

(١) مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ ابن عثيمين المجلد الخامس ١٢١ – ١٢٢ .
(٢) مقدمة ابن خلدون ٤٢١ – ٤٢٢ ، ابجد العلوم ٢/ ٢٧٨ ، الكليات ٧١٠ – ٧١١ .

والتوحيد ليس فيه اختلافات وليس فيه اجتهاد واستنباط، وليس محلا للشبهات حيث يبحث فيه العلماء والطوائف، فهو تعريف مردود ، ولعل من ينادي بهذا التعريف هم الذين ينادون بعملية التقريب بين الفرق الإسلامية لزعمهم بوجود التآلف وعدم الفرقة .

ومن الأسماء الخاطئة لعلم التوحيد تسميته بعلم المكاشفة[1] .

ولذا فيجب على المسلم أن يجتنب الأسماء القادحة في علم التوحيد، فلا يسمى التوحيد إلا بما سماه الله عز وجل ورسوله عليه الصلاة والسلام وأئمة السلف .

(١) المواقف والمخاطبات – النفري – ٢٢ – ٢٣ .

الفصل الثاني

الفصل الثاني

الدين مفطور عليه الخلائق

وفيه أربعة مباحث:

- **المبحث الأول:** التوحيد دين الفطره .
- **المبحث الثاني:** النظريات الخاطئة في علم التوحيد .
- **المبحث الثالث:** بداية الانحراف عن التوحيد .
- **المبحث الرابع:** منهج القرآن الكريم في تقرير التوحيد .

المبحث الأول

الفصل الثاني
الدين مفطور عليه الخلائق وفيه أربعة مباحث
المبحث الأول
التوحيد دين الفطرة

إن التوحيد قد فطر الله تعالى الخلق عليه وهذا ما وضحه الله عز وجل في كتابه الكريم، ونوهت به السنة الشريفة، فإن الله عز وجل قد خلق الإنسان مؤمناً بربه، يتجه إليه بفطرته بالطاعة والعبادة إذا لم يصرفه صارف من البيئة التي تحيط به وبذلك يكون الأصل في البشرية هو التوحيد ولقد جاءت الأدلة الصحيحة على ذلك ومنها على سبيل المثال لا الحصر قول الله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة :٣٠،٣٧،٣٨]

فالله عز وجل يوضح لنا في هذه الآيات بأن آدم عليه السلام هو أول البشر كان على التوحيد يتبع منهجاً إلهياً منزلاً إليه من ربه تبارك وتعالى، ثم كلما انحرفت أمة من الأمم عن هذا التوحيد بعث الله إليها رسولا يدعوها إلى التوحيد وعبادة

الله وحده، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴾ [الأعراف :١٧٢] .

فهنا يخبرنا الله عز وجل أنه استخرج ذرية بني آدم من أصلابهم شاهدين على أنفسهم أن الله ربهم ومليكهم و أنه لا إله إلا هو، وقد وردت الأحاديث من السنة المطهرة في أخذ الذرية من صلب آدم عليه السلام وتمييزهم إلى أصحاب اليمين وإلى أصحاب الشمال ومنها قول الرسول عليه الصلاة والسلام : (يقال للرجل من أهل النار يوم القيامة : أرأيت لو كان لك ما على الأرض من شيء أكنت مفتدياً به؟ فيقول : نعم فيقول : قد أردت منك أهون من ذلك قد أخذت عليك في ظهر آدم أن لا تشرك بي شيئاً فأبيت إلا أن تشرك بي)[1] .

ومنها قول الرسول عليه الصلاة والسلام : (إن الله أخذ الميثاق من ظهر آدم عليه السلام بنعمان- يعني عرفة – فأخرج من صلبه كل ذرية ذرأها، فنثرها بين يديه، ثم كلمهم قبلاً ألست بربكم ؟ قالوا بلى شهدنا)[2][3] .

فالإقرار بالتوحيد أمر فطري، والشرك حادث طارى، والأبناء تقلدوه من الأباء، فإذا احتجوا يوم القيامة بأن الآباء أشركوا ونحن جرينا على عادتهم كما

(١) البخاري في الرقاق ، باب صفة الجنة والنار ١١/ ٣٦٧ ، ومسلم في المنافقين باب طلب الكافر الفداء رقم ٢٨٠٥ .
(٢) أحمد في مسنده ١/ ٢٧٢ ، والحاكم في مستدركه ٢/ ٣٢٥ ، وقال صحيح الإسناد .
(٣) المنحة الإلهية ٤٣ – ٤٥ .

يجري الناس على عادة آبائهم في المطاعم والملابس والمساكن، يقال لهم : أنتم كنتم معترفين بالصانع، مقرين بأن الله ربكم لا شريك له، وقد شهدتم بذلك على أنفسكم، فإن شهادة المرء على نفسه هي إقراره بالشيء ليس إلا، قال الله تعالى ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ ﴾ [النساء : ١٣٥] ، وليس المراد أن يقول: أشهد على نفسي بكذا بل من أقر بشيء فقد شهد على نفسه به فلم عدلتم عن هذه المعرفة والإقرار الذي شهدتم به على أنفسكم إلى الشرك؟ بل عدلتم عن المعلوم المتيقن إلى ما لا يعلم له حقيقة، تقليداً لمن لا حجة معه بخلاف إتباعهم في العادات الدنيوية، فإن تلك لم يكن عندكم ما يعلم به فسادها، وفيه مصلحة لكم، بخلاف الشرك، فإنه كان عندكم من المعرفة والشهادة على أنفسكم ما يبين فساده وعدولكم فيه عن الصواب. (١)

من خلال هذا العرض يتضح أن البشرية الأولى كانت على الفطرة والتوحيد ثم انحرفت عن التوحيد فكان ظهور الشرك طارئاً بعد ذلك التوحيد وكان انحرافاً عنه وبذلك يظهر الحق من الباطل، فكل من زعم أن التوحيد جاء في الطور الأخير فهو كاذب في دعواه، ولابد للدعوة من دليل وأنى له بذلك!! فلو كان هناك تطور حقاً كما يقولون لكان من الطبيعي والمنطقي أن يكون هذا التطور من الوحدة إلى الكثرة، لأن الواقع يدل على ذلك فما هي إلا نظريات واهية أوهى من خيط العنكبوت.

(١) المنحة الإلهية في تهذيب شرح الطحاوية ، ٤٣ / ٤٥ .

المبحث الثاني

المبحث الثاني

النظريات الخاطئة في علم التوحيد

ومن تلك النظريات

(١) نظرية الاتجاه الإنساني أو المذهب الوضعي :

هي الاتجاه الذي يذهب إلى أن الدين مصدره فكر الإنسان، ومبعثه من نفس الإنسان، وحاجته وظروفه وبيئته ومعنى هذا أن الإنسان قد وصل إلى الدين بنفسه ولم يتلقاه من جهة خارج عالمه الحي، والإنسان في نظر هذا الاتجاه[١]. هو مصدر الدين، فهو صانع الدين وخالقه ومبتدعه وهو الذي تدين بتصرفه وفكره دون أن تكون هناك قوى خارجة عن بيئة الإنسان والإنسانية أي دون تاثير بقوى أخرى.

فأصحاب هذا الاتجاه يذهبون إلى أن الدين بدأ في صورة الخرافة والوثنية وأن الإنسان أخذ يترقى في دينه على مدى الأجيال، حتى وصل إلى الكمال فيه بالتوحيد، كما تدرج نحو الكمال في علومه وصناعاته حتى زعموا أن عقيدة الإله الواحدة عقيدة جد حديثة وأنها وليدة عقلية خاصة بالجنس السامي، فهذه النظرية تقوم على أساس مذهب التطور والقول بتطوير الدين من الخرافة إلى التوحيد[٢].

(٢) المذهب الطبيعي :

يرى أصحاب هذه النظرية أن الدين أول محاولة قام بها العقل الإنساني لتفسير ظواهر الطبيعة وخصوصاً تلك الظواهر التي تثير في النفس العجب والدهشة أو الخوف والرهبة.

---

(١) مقارنة الأديان ٤٢ ـ ٤٣ .
(٢) مقارنة الأديان ٤٢ – ٤٣ .

أن أصحاب نظرية عبادة مظاهر الطبيعة أو المذهب الطبيعي فريقان :

(١) فريق يرى أن العامل الأول في إثارة الفكرة الدينية، كان هو النظر في مشاهدة الطبيعة، ولاسيما الأفلاك والعناصر، ذلك أن التأمل في هذا المجال يجعل الإنسان يشعر بأنه محاط من كل جانب بقوة ساحقة غلابة قوة مستقلة عن إرادة البشر، يخضع الجميع لتأثيرها، ولا قدرة لهم على تحويل سيرها، أو تعديل نظامها فيجتمع له من ذلك شعور مؤلف من دهشة وإعجاب، ولشدة نفوذ الطبيعة وتأثيرها في نفسه نبهت فيه فكرة الدين فعبد الطبيعة.

(٢) وفريق أخر يرى أن النظر في مشاهد الطبيعة كان على الجملة هو منشأ العقيدة الإلهية، ولكنهم يقررون أن الظواهر العادية لا تكفي في إيقاظ هذه الفكرة لأنها يتكرر عرضها على الحواس، فتألفها النفس فلا تحتاج إلى التماس تفسيرها أما الحوادث الأرضية المفاجئة والعوارض السماوية النادرة التي يضطرب بها النظام العادي كالبرق والرعد والعواصف، والصواعق والخسوف، والطوفان، والزلازل فإن تأثيرها على المشاعر كتأثير دق الجرس في تنبيه الغافل، وإيقاظ النائم، ذلك أنه قد ارتكز في الغرائز البشرية والحيوية معاً استحالة أن يحدث شيء من لا شيء، حتى أن الطيور والدواب، لتقرع عند سماع صوت مزعج، وتلتفت إلى جهة الصوت، شعوراً بأن له فاعلاً فكان من الطبيعي أن هذه الحوادث الفجائية الرهيبة تزعج من يشاهدها وتحفزه إلى السؤال عن مصدرها وإذا كان لا يرى لها سبباً ظاهراً اضطر عقلياً أن ينسبها إلى سبب خفي، ذي قوة هائلة، هذه القوة هي التي تسير العالم ولابد من العمل على إرضائها بتقديم الهدايا والقرابين والأضاحي[1].

(١) تاريخ الأديان ٧١ ، الأديان دراسة تاريخية مقارنة ٣٢ .

(٣) المذهب الحيوي :

يرى المذهب الحيوي[1] المقابل للمذهب الطبيعي: إن الاعتقاد في الروح أو الأرواح الفعالة يستند إلى تجارب مباشرة في البيئة الإنسانية، فالانتقال في المذهب الطبيعي انتقال من مادة إلى روح، والانتقال في المذهب الحيوي انتقال من روح إلى روح.

إن التعبير بالروح في المذهب الحيوي ليس المقصود بها الروح مبدأ الحياة الحيوانية، التي تقوم عليها وظائف النمو، والتنفس والحس والحركة، بل المقصود نوع آخر أسمى من ذلك هو مبدأ حياة التفكير، والإرادة المنظمة والعاطفة والضمير وبالجملة مبدأ الحياة العاقلة الرفيعة.

ويزعم أصحاب هذا المذهب أن للموجودات الأخرى حيوانات كانت أم جماداً أرواحاً وأن تلك الأرواح عبارة عن كائنات تتصل بالناس وأن جميع ما يصيب النفس الإنسانية من نجاح وتوفيق أو آلام ومصائب إنما يرجع إلى تلك الأرواح أو العالم الروحي.

ولما كان لهذه الأرواح قوة وقدرة، واصبح بيدها قوى الصحة، والمرض والسعادة والشقاء أصبح الإنسان ملزما بأن يرضيها وأن يتخلص من غضبها وأن يتقرب إليها بالقرابين والأضحية والصلوات.

ويرى أصحاب هذا الرأي إن أهم مرحلة مر بها الإنسان في طريقه إلى التدين كانت هي مرحلة الإيمان بالروح، فإيمان الإنسان بالروح كان المرحلة الحاسمة في

---

(١) مقرر هذه النظرية الألماني (ماكس ميلر) وتابعة عليها الفيلسوف الإنجليزي (هربرت سبنسر) انظر الدين بحوث مهمة لدراسة تاريخ الأديان ١٢٧ – ١٢٨ .

تاريخ التدين، لأنها المرحلة التي انتقل بها من الإيمان بما يحس ويلمس، إلى الإيمان بقوى خفية وعالم غيبي لا تدركه الأبصار، ولم يكن في طاقة الإنسان أن يفهم الروح فهما أصح من هذا الفهم في ظلمات الجاهلية، وكان يرى الموتى في منامه فيحسبهم أحياء يتحركون مثله، كما تحرك بروحه وهو نائم بجسده وراقب الموتى فرأى أنهم يفقدون النفس حين يموتون فوقع في حدسه من ذاك، أن النفس هي الروح المفارقة للأجساد في حالة الموت، ومن ثم فقد وقر في ذهن الإنسان أن الأحياء حين يموتون لا يفنون بالكلية، ولا تنتهي صلتهم بهذا العالم جملة وإنما هم ينتقلون بالموت من دار إلى دار، ومن مرحلة إلى مرحلة ولذلك علل الإنسان هذه الامور العجيبة التي يراها في أحلامه بفكرة الروح، معتقداً أن هناك خلاف الجسد الذي تحيا فيه حياتنا هذه كائناً آخر، يمكن أن تزاول به أمور حياتنا هذا الكائن هو الروح[1].

(٤) المذهب الاجتماعي (أو نظام التوتيم):

هذا النظام يسمى نظام التوتيم أو اللقب الأسري، والتوتيم مأخوذ من لغة الهنود الحمر في أمريكا الشمالية وهو اسم يفسر تارة بمعنى موطن العشيرة ومستقرها وتارة بمعنى العلامة والشعار، إذاً التوتيم هو الرمز الذي تتخذه العشيرة لنفسها سواء أكان مستمداً من المملكة الحيوانية أم النباتية أم القوى الطبيعية أم الجماد، وأهم العناصر في التوتمية أن أفراد العشيرة يعتقدون أنهم منحدرون فعلاً من هذا التوتم فهو الأصل في وجودهم ويترتب على ذلك أن الأفراد الذين ينتمون إلى نفس التوتم يعتبرون أنفسهم أقارب فيما بينهم.

---

(١) تاريخ الأديان ٧٢ ، الأديان دراسة تاريخية مقارنة ٣٠ – ٣٥ ، بحوث مهمة لدراسة تاريخ الأديان ١٢٧ – ١٢٨ .

ونظام التوتم معروف في الشعوب القديمة المصرية، والأثيوبية، والعربية واليونانية والرومانية وتوجد آثار منه في الأساطير الشعبية في أوروبا كما في مدينة (برن) بسويسرا حيث تعظم الفيلة وكلمة (برن) أصلها في الألمانية جمع بير بمعنى فيل.

وأصحاب هذا المعتقد يجعلون للتوتم وسماً أو وشماً ويجعلون له خصائص عجيبة فيزعمون أن الذي يحمل الوشم ينتصر في الحرب على أعدائه ويوفق في تسديد السهم إلى رميته، وإن وضعها على القروح يسرع في التئامها إلى غير ذلك[1].

(٥) المذهب النفسي :

المذهب النفسي يقوم على تجارب الإنسان النفسية، في حياته العادية المألوفة له في كل يوم وتجارب الإنسان النفسية كافية في رأي بعض العلماء لتوجيه نظره بقوة إلى تلك الحقيقة العليا.

فالعقيدة الإلهية في هذا المذهب تؤسس على بعض الملاحظات النفسية فيزعمون أن العقيدة تتولد في الإنسان، منذ نشأته على أثر شعوره بمناقضة جوهرية بين حساسيته وإرادته وهما القوتان اللتان تتألف منهما حياة النفس في أيسر مظاهرها، وأن حياة الإنسان النفسية قائمة في جوهرها على حركتين متعاكستين :

* **إحداهما :** تتجه من الخارج إلى الداخل (من المحيط إلى المركز).
* **ثانيهما :** تتجه من الداخل إلى الخارج (من المركز إلى المحيط).

---

(١) الموسوعة الميسرة ١٠٩ – ١١٠ .

فالحركة الأولى:

تمثل تأثير الأشياء على النفس بواسطة الإحساس وتلك هي حال انفعال النفس وقابليتها.

الحركة الثانية:

تمثل مجاوبة النفس على الأشياء بتوسط الإرادة وهذه هي حالة تأثير النفس وفاعليتها.

بيد أن هاتين الحركتين، لا تنطبقان تمام الانطباق وليس بينهما كمال وتناسق وتجاوب، ذلك أن الحساسية تسحق الإرادة وتكبتها، فكلما اندفعت موجة الحركة الإرادية من داخل النفس وارتطمت على صخرة الأشياء الخارجية فانكسرت عليها رجعت كئيبة مبتئسة وهذه الصدمات المتوالية وتلك المنازعات المستمرة بين النفس وبين العالم الخارجي هما السبب الأول لكل أنواع الآلام ولكنها في الوقت نفسه هي منبع النور، ومصدر الشعور حيث إن ارتداد الموجة إلى مركزها يولد في هذا المركز، حرارة تشبه الحرارة الناشئة من حرارة العجلة على محورها، ثم لا تلبث هذه الحرارة أن تبعث شرارة ضوئية تضئ جوانب الوجدان، وذلك هو الوعي وتنبه البصيرة والذي تصبح به النفس مدركة وحاكمة ومحكومة معاً، كأنها كائن مزدوج أحد شقيه هذه النفس المثالية والآخر تلك النفس المكبوتة.

فالحرب الداخلية بين ملكات النفس، توصل الإنسان إلى شعور باليأس من قيمة الحياة، من هذه الأزمة الداخلية ينشأ التدين وبهذا التدين يستضئ الإنسان بنور الشعور والإرادة المفكرة[1].

(١) الأديان دراسة تاريخية ٣٥ – ٤٠ .

وهناك العديد من النظريات التي تحدثت عن نشأة الدين وجميعها لا تقف أمام الحقيقة الواضحة التي جاءت في القرآن الكريم والسنة المطهرة ألا وهي أن الإنسان خلقه الله عز وجل أول ما خلقه ووضع له الدين السوي الذي يخرجه من الظلمات إلى النور ومن الضلال إلى الصلاح، ومن الجهل إلى العلم وهو دين التوحيد لله عز وجل.

الرد على تلك النظريات :

(١) إن مصدر الدين الحق هو الله عز وجل المحيط بكل شيء منذ أن خلق الله آدم عليه السلام والقرآن والسنة يوضحان ذلك.

(٢) إن هذه المذاهب وإن اعتقد أصحابها بها وعضُّوا عليها بالنواجذ فما هي إلا مذاهب باطلة إن صلحت في فترة فلا تصلح لفترة أخرى، وإن تمسك بها بعض الناس تركها آخرون لعدم ملاءمتها للإنسان فالإنسان خلقه الله عز وجل وجعل له ما يلائمه من الأديان.

(٣) إن مصدر العقائد الأخرى والتي يطلق عليها الدين النظري مصدرها المعتقد نفسه ولا صلة لها بالله عز وجل.

(٤) إن النظريات القائلة بعملية التطور في الأديان ما هي إلا نظريات توافق اليهود واليهودية الذين يكيدون لجميع الأمم المكائد حتى يشككونهم في دينهم ومن ثم يجعلونهم بهائماً وحيوانات يتحكمون فيهم كما يشاءون[1].

(١) الأديان دراسة تاريخية مقارنة ٣٥ .

(٥) إن الكتب التي كتبت عن تاريخ البشرية وضحت أن الإنسان الأول كان يعبد الله عز وجل.

(٦) إن الدراسات التي قام بها جملة من العلماء في قبائل استراليا الجنوبية الشرقية والقبائل الإفريقية البدائية، وبعض قبائل الهنود الأمريكيين، وبعض قبائل استراليا قد أوصلت هؤلاء العلماء وغيرهم إلى أن هذه القبائل كانت تؤمن بوجود إله واحد أعلى.[1]

(١) انظر بروتوكولات صهيون .

المبحث الثالث

المبحث الثالث

بداية الانحراف

قضت حكمة الله سبحانه وتعالى أن يخلق آدم، وأن يجعله وذريته خلفاء في الأرض، ليقوموا بعمارتها وفق منهج الله تعالى وشريعته فيحققوا بذلك قول الله عز وجل ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ الذاريات : ٥٦ ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ البقرة : ٣٠ .

ولما أهبط الله عز وجل آدم إلى الأرض لم يتركه لنفسه أو لعقله فهو يحتاج إلى عنايته ورعايته ويحتاج إلى منهج وهداية يسير هو وذريته عليه فيكون سبباً للنجاة وحاجزاً عن الضلالة والشقاء، وقد أكرمه الله تعالى بهذه الهداية الربانية والهداية الإلهية فقال تعالى **(قال اهبطوا منها جميعاً بعضكم لبعض عدو فأما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى، ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكاً ونحشره يوم القيامة أعمى)** طه : ١٢٣ – ١٢٤، .

فمنذ أن أوجد الله تعالى البشر فطرهم على التوحيد والإيمان بالله تعالى وأخذ عليهم العهد والميثاق منذ كانوا ذرية في ظهور آبائهم قال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴾ [الأعراف : ١٧٢] .

وقال رسول الله ﷺ (ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تنتج البهيمة بهمية جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء[1][2].

فكل مولود يولد في مبدأ الخلق على الفطرة، أي على الجبلة السليمة والطبع المتهيئ لقبول الدين فلو ترك عليها لاستمر على لزومها، لأن هذا الدين موجود حُسنه في العقول، وإنما يعدل عنه من يعدل إلى غيره لآفة من آفات النشوز والتقليد فلو سلم من تلك الآفات لم يعتقد غيره.

هكذا كانت البشرية الأولى قبل أن يقع الانحراف، كانت على التوحيد والإسلام، فقد كان الناس من وقت آدم عليه السلام قبل أن يقع الانحراف، كانت على التوحيد والإسلام، فقد كان الناس من وقت آدم إلى مبعث نوح عليه السلام وكان بينهما عشرة قرون، كلهم على شريعة واحدة من الحق والهدى، ثم اختلفوا في زمن نوح عليه السلام، فبعث الله إليهم نوحاً فكان أول الرسل عليهم السلام ولذا يقول الله عز وجل ﴿ وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُوا۟ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ [يونس : ١٩] .

---

(١) جدعاء : أي مقطوعة الأذن والمعنى أنها تولد لا جدع فيها أي لا قطع فيها وإنما يجدعها أهلها بعد ذلك أي ينحرفون بها عن التوحيد . فتح الباري ٣ – ٢٩٥ ط الريان .

(٢) البخاري في الجنائز ، باب ما قيل في أولاد المشركين ٣/ ١٩٢ – ١٩٤ ، ومسلم في القدر ، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة ١٦/ ٢٠٧ – ٢١٠ .

المبحث الرابع

المبحث الرابع

منهج القرآن الكريم في تقرير التوحيد

إن التوحيد أول دعوة الرسل عليهم الصلاة والسلام، وأول منازل الطريق، وأول مقام يقوم فيه العبد إلى الله عز وجل قال تعالى ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ﴾ [الأعراف : ٥٩] . ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾ . [الأنبياء : ٢٥] .

وقال ﷺ (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله) [(١)]. ولذا نجد أن غالب سور القرآن متضمنة للتوحيد، بل كل سورة من سوره فإن القرآن إما خبر عن الله وأسمائه وصفاته، وهو التوحيد العلمي الخبري وأما دعوة إلى عبادته وحده لا شريك له، وخلع ما يعبد من دونه فهو[(٢)] التوحيد الإرادي الطلبي، وأما أمر ونهي وإلزام لطاعته، فذلك من حقوق التوحيد ومكملاته، وأما خبر عن إكرامه لأهل توحيده، وما فعل بهم في الدنيا وما يكرمهم به في الآخرة، فهو جزاء توحيده وأما خبر عن أهل الشرك، وما فعل بهم في الدنيا من النكال، وما يحل بهم في العقبى من العذاب فهو جزاء من خرج عن حكم التوحيد. فلذا كان للقرآن منهج متميز في تقرير التوحيد وبيانه وضرب الأمثال له. ومن صور هذا المنهج :

---

(١) البخاري كتاب الإيمان ، باب فإن تابوا وأقاموا الصلاة ١/ ٧٠ ، ٧١ ومسلم الإيمان – باب الأمر بقتال الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ١/ ٢٠٠ .

(٢) انظر مبحث أقسام التوحيد .

(١) الاستدلال بتوحيد الربوبية على توحيد الألوهية[1] :

ومن ذلك أنه يقرر توحيد الربوبية، ويبين أنه لا خالق إلا الله، وأن ذلك مستلزم إلا يعبد إلا الله، فيجعل الأول دليلاً على الثاني إذ كانوا يسلمون بالأول وينازعون في الثاني، فيبين لهم سبحانه أنكم إذا كنتم تعلمون إنه لا خالق إلا الله وأنه هو الذي يأتي العباد بما ينفعهم ويدفع عنهم ما يضرهم، لا شريك له في ذلك فلما تعبدون غيره وتجعلون معه ألهة أخرى؟ كقوله تعالى : ﴿ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ۗ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴾ [النمل: ٥٩-٦٠] ، يقول الله تعالى في أخر كل آيه(اءله مع الله) أي أءله مع الله فعل هذا؟ وهذا استفهام استنكار، يتضمن نفى ذلك، وهم كانوا مقرين بأنه لم يفعل ذلك غير الله و كذلك قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة:٢١] وأمثال ذلك كثير .

(٢) شهادة الله سبحانه على توحيد الألوهية :

كذلك شهد الله لنفسه بهذا التوحيد، وشهدت له ملائكته وأنبياؤه ورسله قال تعالى : ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾

(١) درء تعارض العقل والنقل ٣/ ١٣٠ ، ١٨/ ٤٩١ .

[آل عمران : ١٨-١٩] . فتضمنت هذه الآية الكريمة إثبات حقيقة التوحيد، والرد على جميع طوائف الضلال فتضمنت أجل شهادة وأعظمها وأعدلها وأصدقها، من أجل شاهد، بأجل مشهود به .

وعبارات السلف في شهد تدور على الحكم،والقضاء، والإعلام ، والبيان والإخبار، وهذه الأقوال كلها حق لا تنافي بينها، فإن الشهادة تتضمن كلام الشاهد وخبره، وتتضمن إعلامه وإخباره وبيانه[١] .

فشهادة الله لنفسه بالوحدانية والقيام بالقسط تضمنت مراتب أربع، علمه بذلك سبحانه، وتكلمه به وإعلامه وإخباره لخلقه به، وأمرهم وإلزامهم به .[٢]

ووجه استلزام شهادته سبحانه لذلك : أنه شهد أنه لا إله إلا هو، فقد أخبر وبين وأعلم وقضى أن ما سواه ليس بإله، وأن إلهيه ما سواه باطلة، فلا يستحق العبادة سواه كما لا تصلح الإلهية لغيره، وذلك يستلزم الأمر باتخاذه وحده إلهاً والنهى عن اتخاذ غيره معه إلهاً، وهذا يفهمه المخاطب من هذا النفي والإثبات، كما إذا رأيت رجلاً يستفتي رجلاً أو يستشهده أو يستطبه وهو ليس أهلاً لذلك، ويدع من هو أهل له، فتقول: هذا ليس بمفت ولا شاهد ولا طبيب، المفتي فلان،والشاهد فلان، والطبيب فلان، فإن هذا أمر منه ونهي، وقد بين الله سبحانه وتعالى تلك الشهادة حيث إن الحكم والقضاء بأنه لا إله إلا هو متضمن للإلزام، ولو كان المراد مجرد شهادة لم يتمكنوا من العلم بها ولم ينتفعوا بها، ولم تقم عليهم بها الحجة بل قد تضمنت البيان للعباد ودلالتهم وتعريفهم بما شهد به، كما أن الشاهد من العباد إذا

(١) الفتاوى ١/ ٤٨ – ٤٩ ، درء تعارض العقل والنقل ٣/ ١٢٦ ، ٨ / ٣٢ .
(٢) انظر الفتاوى لابن تيمية ١/ ٤٨ – ٤٩ ، درء تعارض العقل والنفل ٣/ ١٢٦ ، ٨/ ٥٣٢، ٥٣٣ التوحيد للقاسمي / ١٩١ – ١٩٢ ، شرح العقيدة الطحاوية ١/ ٤٣ – ٤٤ .

كانت عنده شهادة ولم يبينها بل كتمها، لم ينتفع بها أحد ولم تقم بها حجة ، وإذا كان لا ينتفع بها إلا ببيانها، فهو سبحانه قد بينها غاية البيان بطرق ثلاثة السمع والبصر والعقل[1] .

(١) السمع : أما السمع فنسمع آياته المتلوة المبينة لما عرفنا إياه من صفات كماله كلها، الوحدانية وغيرها، غاية البيان، وكذلك السنة تأتي مبينة أو مقررة لما دل عليه القرآن ، لم يحوجنا ربنا سبحانه إلى رأي فلان ولا إلى ذوق فلان ووجده في أصول ديننا .

(٢) البصر : وأما آياته العيانية الخلقية، فالنظر فيها يدل على ما تدل عليه آياته القولية السمعية .

(٣) العقل : والعقل يجمع بين هذه وهذه ، ويجزم بصحة ما جاءت به الرسل فتتفق شهادة السمع والبصر والعقل والفطرة[2]

٣ . الاستدلال بأسماء الله وصفاته على توحيد الألوهية :[3]

قال الله تعالى ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾ [فصلت: ٥٣] .

أي : القرآن ، ثم قال : ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [فصلت: ٥٣] .

---

(١) مدارج السالكين ٣/ ٤٥٣ ، شرح العقيدة الطحاوية ١/ ٤٣ – ٤٩ .

(٢) جامع البيان ١١/ ٢١ – ٤٠ ، الفتاوى ١/ ٤٨ ، ١٦ ، ٣٤٠ ، درر التعارض ٨/ ٣٧٨ الصواعق المرسلة ٣/ ١١٩٧ .

(٣) التوحيد لابن خزيمة ١/ ٥٩ – ٨١ ، الرسالة التدمرية / ٢٣ ، الفتاوى ٥/ ٤٩٤ .

فيشهد سبحانه لرسوله بقوله إن ما جاء به حق، ووعد أن يُرِي العباد من آياته الفعلية الخلقية ما يشهد بذلك أيضاً، ثم ذكر ما هو أعظم من ذلك كله وأجل وهو شهادته سبحانه على كل شيء، وهذا استدلال بأسمائه وصفاته .

فإن قلت : كيف يستدل بأسمائه وصفاته فإن الاستدلال بذلك لا يعهد في الاصطلاح؟

فالجواب : أن الله تعالى قد أودع في الفطر التي لم تتنجس بالجحود والتعطيل ولا بالتشبيه والتمثيل، أنه سبحانه الكامل في أسمائه وصفاته وأنه الموصوف بما وصف به نفسه ووصفه به رسله، وما خفي عن الخلق من كماله أعظم وأعظم مما عرفوه منه ومن كماله المقدس شهادته على كل شيء وإطلاعه عليه، بحيث لا يغيب عنه ذرة في السماوات ولا في الأرض باطناً وظاهراً، ومن هذا شأنه كيف يليق بالعباد أن يشركوا به، وأن يعبدوا غيره ويجعلوا معه إلهاً آخر؟ وكيف يليق بكماله أن يقر من يكذب عليه أعظم الكذب، ويخبر عنه بخلاف مالأمر عليه، ثم ينصره على ذلك ويؤيده ويعلي شأنه ويجيب دعوته ويهلك عدوه، ويظهر على يديه من الآيات والبراهين ما يعجز عن مثله قوى البشر، وهو مع ذلك كاذب عليه مفتر؟ !والقرآن الكريم مملوء من هذه الطريق قال تعالى : ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ﴾ [الحاقة :٤٤-٤٧] .

ويستدل[1] أيضاً بأسمائه على وحدانيته وعلى بطلان الشرك، كما في قوله تعالى : ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الحشر :٢٣] .

(١) درء التعارض ٣/ ٣٠٩ ، ٨/ ٤٥٤ .

وأضعاف ذلك في القرآن، وهذه الطريقة قليل سالكها، لا يهتدي إليها إلا الخواص، وطريقة الجمهور الاستدلال بالآيات المشاهدة، لأنها أسهل تناولاً وأوسع، والله سبحانه يفضل بعض خلقه على بعض[1] .

فالمنهج الحق في تقرير علم التوحيد هو منهج الرسل الذي يتلقى منه العبد عقيدته في الله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر، ولا يخوض في هذه القضايا بعيداً عما أوحى الله إليه، وأن يترك رأيه وهواه ويحكم بما أوصاه الله، فهذا المنهج الإيماني القرآني النبوي، وعمدة هذا المنهج الأخذ بنصوص الكتاب وصحيح السنة النبوية .

ومن هنا يتضح خطأ الفلاسفة الذين رفضوا الاحتكام إلى الشرع وأصروا على أن يضربوا في بيداء شاسعة من غير دليل، فضلوا وأضلوا، لقد غفل هؤلاء عن أن العقل لا يستطيع أن يخوض في هذه الميادين بنفسه، لأنها قضايا غيبيه، لا تدخل في نطاق قدرات البشر وعقولهم، ولذلك كان المتكلمون والفلاسفة أعدى أعداء الرسل، لأنهم احتكموا إلى الموازين والمقاييس العقلية وعارضوا بها الشرع وحكموها في الشرع، وردوا بها كثيراً من الأحكام الشرعية[2] .

(١) شرح العقيدة الطحاوية ١/ ٢١ ، المنحة الإلهية ٥٥ – ٥٩ .
(٢) نحو ثقافة إسلامية أصلية للأشقر / ٨٦ .

الفصل الثالث

التوحيد وأنواعه

وفيه سبعة مباحث:

- **المبحث الأول:** التوحيد الذي دعت إليه الرسل .
- **المبحث الثاني:** تعريف الربوبية في اللغة والاصطلاح .
- **المبحث الثالث:** الأدلة على توحيد الربوبية .
- **المبحث الرابع:** توحيد الربوبية مفطور عليه الخلائق .
- **المبحث الخامس:** توحيد الربوبية يستلزم توحيد الألوهية .
- **المبحث السادس:** علاقة توحيد الربوبية بتوحيد الأسماء والصفات .
- **المبحث السابع:** الإلحاد في توحيد الربوبية .

المبحث الأول

الفصل الثالث

أنواع التوحيد وفيه سبعة مباحث

المبحث الأول

التوحيد الذي جاءت به الرسل

إن التوحيد الذي دعت إليه رسل الله ونزلت به كتبه نوعان :

١ . توحيد في الإثبات والمعرفة .

٢ . توحيد في الطلب والقصد .

فالأول : هو إثبات حقيقة ذات الرب تعالى وصفاته وأفعاله وأسمائه، ليس كمثله شيء في ذلك كله، كما أخبر به عن نفسه، وكما أخبر رسوله ﷺ، وقد أفصح القرآن عن هذا النوع كل الإفصاح، كما في أول سورة (الحديد)و(طه)وآخر (الحشر) وأول(ألم تنزيل..) السجدة، وأول (آل عمران)و(الإخلاص) بكاملها وغير ذلك .

والثاني : وهو توحيد الطلب والقصد مثل : ما تضمنته سورة ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [الكافرون : ١] ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ﴾ [آل عمران : ٦٤] ، وأول سورة (يونس) وأوسطها وآخرها، وأول سورة (الأعراف) وآخرها وجملة سورة (الأنعام) .

وغالب سور القرآن متضمنة لنوعي التوحيد، بل كل سورة في القرآن، فإن القرآن إما خبر عن الله وأسمائه وصفاته، وهو التوحيد العلمي الخبري، وإما دعوة

إلى عبادته وحده لا شريك له، وخلع ما يعبد من دونه، فهو التوحيد الإرادي الطبي؛ وإما أمر ونهي وإلزام به في الآخرة، فهو جزاء توحيده، وإما خبر عن أهل الشرك وما فعل بهم في الدنيا من النكال، وما يحل بهم في العقبى من العذاب فهو جزاء من خرج عن حكم التوحيد، ونجد بجانب هذا التقسيم تقسيم آخر قام به علماء أهل السنه[1] والجماعة، حيث قاموا بتقسيم التوحيد إلى ثلاثة أقسام :

(١) توحيد الربوبية : وبيان أن الله وحده خالق كل شيء .

(٢) توحيد الألوهية : وهو استحقاقه سبحانه وتعالى أن يعبد وحده لا شريك له .

(٣) الكلام في الصفات أو توحيد الأسماء والصفات .

وليس هذا التقسيم منافياً لما سبق من تقسيم التوحيد إلى نوعين اثنين.

فإن توحيد المعرفة والإثبات يشمل توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات، فكلاهما إخبار عن الرب سبحانه وتعالى، وأما توحيد القصد والطلب فهو توحيد الإلهية،وهذا ما وضحه شيخ الإسلام يرحمه الله، فلذا فإن من قسم التوحيد إلى قسمين، أو قسمه إلى ثلاثة أقسام لم يخرج عن القرآن والسنة، ومن هنا يتضح كذب وزعم من يقول: إن من يقسم التوحيد إلى ثلاثة أقسام فإنه ثلث في العقيدة وشابه النصارى بالقول بالتثليث الذين يقولون بالأب والابن وروح القدس، فإن تقسيم التوحيد قد قال به جمهور أهل السنة والجماعة قاطبة ولم يخالفهم في ذلك سوى المبتدعة الضلال[2].

---

(١) من العلماء الذين قالوا بتقسيم التوحيد إلى ثلاثة أقسام ابن تيمية – ابن القيم – الشنقيطي – بكر أبو زيد – ابن عثيمين – ابن بطة – ابن منده – ابن يوسف – أبي حنيفة – الطحاوي .

(٢) انظر كتاب الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ٢/ ٩٠ – ٩١ ، مدارج السالكين ٣/ ٤٤٩ – ٤٥٠ ، تطهير الأعتقاد عن أدران الإلحاد / ٣٥ – ٤٠ ، المنحة الألهية / ٣٦ – ٣٧ ، القول السديد في الرد على من أنكر تقسيم التوحيد ١ – ٣ ، مجموع فتاوى ابن عثيمين ١/ ١٧ – ٣٠ .

القسم الأول
توحيد الربوبية

المبحث الثاني

القسم الأول

توحيد الربوبية

المبحث الثاني

تعريف الرب في اللغة والاصطلاح

معنى الرب في اللغة :

إن الرب في اللغة له[1] عدة معان منها إصلاح الشيء والقيام به، فالرب: المالك، المصلح، الخالق، الصاحب، اللزوم، الحبس، الضم، وكلمة الرب تطلق على الله عز وجل وعلى غيره، ولكنها لا تطلق غير مضافة إلا على الله عز وجل فيقال: الرب وتقصد بها الله سبحانه وتعالى، وإذا أطلقت الكلمة على غيره أضيفت فنقول: رب الدار، ورب الأسرة، ورب المال فإن هذا يعني أنه هو صاحب هذا الشيء الذي جعل الله تعالى له حق التملك والتصرف في ذلك الشيء المملوك وهو يصلحه وينميه ويتعهده ويقوم برعايته، ولا يتنافى ذلك مع ربوبية الله عز وجل، لأنه سبحانه وتعالى هو رب كل شيء وملكيه فهو إطلاق بمعنى خاص.

الرب في الاصطلاح :

يقول ابن القيم[2] يرحمه الله (أن يشهد صاحبه قيومية الرب تعالى فوق عرشه، يدبر أمر عباده وحده، فلا خالق ولا رازق ولا معطي، ولا مانع، ولا محي ولا مميت، ولا مدبر لأمر المملكة – ظاهراً وباطناً – غيره فما شاء كان، وما لم يشأ لم

---

(١) لسان العرب ٥/ ٩٥ ، معجم المقاييس في اللغة ٣٩٨ – ٤٠٠ .

(٢) ابن القيم : محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي المعروف بابن قيم الجوزية ، الإمام ، العلامة الحافظ ، برع في علوم كثيرة لازم شيخ الإسلام أبن تيمية مدة طويلة ، ولد سنة ٦٩١هـ ، وتوفي سنة ٧٥١هـ . انظر البداية والنهاية ١٤/ ٢٣٤ – ١٣٥ ، طبقات الحفاظ / ٥٥٠ .

يكن، ولا تتحرك ذرة إلا بإذنه، ولا يجري حادث إلا بمشيئة، ولا تسقط ورقة إلا بعلمه ولا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات، ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا احصاها علمه، وأحاطت بها قدرته، ونفذت بها مشيئته، واقتضتها حكمته.(١)

وعرفه ابن عثيمين يرحمه الله بقوله : هو إفراد الله سبحانه وتعالى بالخلق والملك والتدبير(٢) .

وعرف توحيد الربوبية بأنه هو توحيد الله بالقضاء الكوني والقضاء الشرعي.(٣)

العلاقة بين التعريف في اللغة والاصطلاح

إن العلاقة بين المعنى في اللغة والمعنى في الاصطلاح علاقة وثيقة جداً، فمن معاني الرب في اللغة الخالق الرازق، المحي المميت، المالك لكل شي وهذه المعاني وغيرها تضمنها معنى الرب في الاصطلاح.

---

(١) مدارج السالكين ٣/ ٥١٠ .

(٢) مجموع فتاوى ابن عثيمين ١/ ١٨ .

(٣) إن الإرادة في كتاب الله قسمان : إرادة قدرية كونية خلقية ، وإرادة أمرية شرعية : فالإرادة الشرعية هي المتضمنة للمحبة والرضى ، والكونية هي المشيئة الشاملة لجميع الحوادث ، فأما الإرادة الكونية ، فهي المذكورة في قول المسلمين : ماشاء الله كان ومالم يشأ لم يكن ، وهذا كقوله تعالى : ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾ الأنعام : ١٢٥ ، وقوله تعالى : ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾ البقرة ٢٥٣ ، أما الإرادة الشرعية الأمرية ، فكقولة تعالى : ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾ البقرة:١٨٥ . وقوله تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا ۝٢٧ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴾ النساء : ٢٧ – ٢٨ . فهذه الأرادة هي المذكورة في مثل قول الناس لمن يفعل القبائح : هذا يفعل مالا يريده الله : أي لا يحبه ولا يرضاه ولا يأمر به ، فيجتمع في حق المؤمن الإرادتان فقد أراد الله منه الإيمان بالمعنى الشرعي والمعنى الكوني ، أما الكافر فقد أراد الله منه الإيمان شرعاً ولم يرده كوناً انظر المنحة الأهية ٣٠٨ – ٣٠٩ ، العقيدة الطحاوية ١/ ٧٨ – ٧٩ .

المبحث الثالث

المبحث الثالث

الأدلة على توحيد الربوبية

إن الأدلة على إثبات توحيد الربوبية، تنقسم إلى أدلة نقلية، وأدلة حسية وأدلة فطرية، وأدلة عقلية.

من الأدلة النقلية :

إن المتتبع لآيات القرآن الكريم يجدها كلها تتحدث عن التوحيد بأنواعه، فإن القرآن إما خبر عن الله وأسمائه وأفعاله وأقواله، فهو التوحيد العلمي الخبري وإما دعوة إلى عبادته وحده لا شريك له وخلع ما يعبد من دونه فهو التوحيد الإرادي الطلبي، وأما أمر ونهي، وإلزام بطاعته وأمره ونهيه، فهو حقوق التوحيد ومكملاته.(١)

ومن الأدلة من القرآن الكريم التي تدل على توحيد الربوبية :

قوله تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَـٰمًا ﴾ يس : ٧١

وقوله : ﴿ تَبَـٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ الملك : ١

وقوله : ﴿ مَـٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾ الفاتحة : ٤

وقوله : ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ الملك : ١٤

وقوله : ﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَـٰلِقُونَ ۝٣٥ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴾ الطور : ٣٥ – ٣٦ .

---

(١) الفتاوى ١/ ٤٨ – ٤٩ ، درء التعارض ٣/ ١٢٦ ، بهجة قلوب الأبرار / ٦٤ .

وقوله : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٥٩ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ءَإِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ۝٦٠ أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ءَإِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝٦١ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ءَإِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ۝٦٢ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ءَإِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٦٣ أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ءَإِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ النمل : ٥٩ – ٦٤ .

وأما السنة الشريفة فقد جاءت بالأدلة العديدة على إثبات توحيد الربوبية ومنها على سبيل المثال لا الحصر :

دعاؤه عليه الصلاة والسلام الذي هو سيد الاستغفار فهو يمثل توحيد الربوبية أفضل تمثيل. (اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني، وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك علي وأبوء بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت) (١)

(١) البخاري كتاب الدعوات باب فضل الاستغفار ١١/ ٨٣ .

فهذا اعتراف من العبد بذله وانكساره بين يدي ربه وخالقه ورازقه، وهو الذي بيده ملكوت السماوات والأرض فهو إقرار بتوحيد الربوبية.

ومن السنة قول الرسول ﷺ (اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت وإليك أنبت، وبك خاصمت، اللهم أني أعوذ بعزتك، لا إله إلا أنت أن تضلني أنت الحي الذي لا يموت والجن والإنس يموتون) (١)

وقوله عليه السلام (لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا) (٢)

ومن السنة قول الله تعالى في الحديث القدسي: (يا عبادي لو أن أولكم وأخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر) (٣)

ومن هنا يتضح أن المتكلمين الذين يزعمون أن دليل التمانع هو معنى قوله تعالى ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ الأنبياء : ٢٢ ليس في محله لاعتقادهم أن توحيد الربوبية الذي قروره هو توحيد الإلهية الذي دعت إليه الرسل، ونزلت به الكتب هو توحيد الألوهية المتضمن توحيد الربوبية، وهو عبادة الله وحده لا شريك له، فإن المشركين من العرب كانوا يقرون بتوحيد الربوبية، وأن

---

(١) البخاري كتاب التوحيد – باب قوله تعالى : ﴿ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ ٩/ ١٤٣ – ١٤٤ ، مسلم في الذكر والدعاء ، باب التعوذ من شر ما عمل ٤/ ٢٧١٧ .

(٢) الترمذي في الزهد – باب التوكل على الله ٤/ ٥٧٢ رقم ٢٢٤٤ وقال حديث حسن صحيح .

(٣) مسلم في البر والصلة – باب تحريم الظلم ٤/ ١٩٩٤ .

خالق السموات والأرض واحد كما أخبر الله تعالى عنهم بقوله: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾ لقمان : ٢٥ . ﴿ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ المؤمنون : ٨٤ – ٨٥ .

والمقصود بدليل التمانع هو : أنه لو كان للعالم صانعان[1] فعند اختلافهما مثل: أن يريد إحداهما تحريك جسم والآخر تسكينه، أو يريد أحداهما إحياءه والآخر إماتته، فإما يحصل مرادهما أو إحداهما أو لا يحصل مراد واحد منهما والأول ممتنع، لأنه يستلزم الجمع بين الضدين، والثالث ممتنع، لأنه يلزم خلو الجسم عن الحركة والسكون، وهو ممتنع، ويستلزم أيضاً عجز كل منهما والعاجز لا يكون إلهاً، وإذا حصل مراد أحدهما دون الآخر، كان هذا هو الإله القادر، والآخر عاجزاً لا يصلح للإلهية.

فالمتكلمون يستدلون على توحيد الألوهية بالتوحيد الذي يقربه جميع الخلائق وهو استدلال خاطئ.[2]

الأدلة الحسية :

إن الأدلة الحسية التي يراها العبد ويسمعها لهي من أكبر الأدلة على إثبات توحيد الربوبية، ولعل من أقربها إلينا صلاة الاستسقاء حيث نجد المصلين وهم يدعون الله عز وجل بنزول الغيث يبدأ المطر يتساقط وهم في لحظة الدعاء وهذا

(١) المنحة الإلهية / ٣٩ – ٥١ .
(٢) شرح جوهره التوحيد / ٣٧ ، والإنصاف / ٣٣ .

نفسه ما حصل مع الأعرابي الذي دخل على الرسول عليه الصلاة والسلام وهو يخطب يوم الجمعة فاستقبل رسول الله ﷺ قائما فقال: (يا رسول الله هلكت المواشي، وانقطعت السبل فأدع الله يغيثنا، فرفع رسول الله ﷺ يديه)[1] فقال: (اللهم اسقنا، اللهم اسقنا، اللهم اسقنا)[2] . فدعى الرسول عليه الصلاة والسلام فلم يخرج الصحابة رضوان الله عنهم أجمعين من المسجد إلا وكان المطر ينهمر انهماراً، وما زالت إجابة الداعين أمراً مشهوداً إلى يومنا هذا لمن صدق اللجوء إلى الله تعالى وآتى بشرائط الإجابة.

الأدلة الفطرية :

إن الله سبحانه وتعالى منذ أن خلق البشر فطرهم على التوحيد والإيمان بالله تعالى، خالقهم ومعبودهم، وقد أخذ عليهم العهد والميثاق مذ كانوا ذرية في ظهور آبائهم، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴾ الأعراف : ١٧٢ – ١٧٣ .

فكل مولود يولد على الإقرار، وهو الحنيفية التي وقعت الخلقة عليها ولذلك يقول سبحانه وتعالى: ﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ﴾ الروم :٣٠ .

---

(١) الفتاوى ١/ ٤٨ ، ٩/ ١٤٢ ، ٣٣٥ – ٣٣٦ .

(٢) البخاري كتاب الاستسقاء – باب من تمطر في المطر ٢/ ٢٢ ، ومسلم كتاب الاستسقاء – باب الدعاء في الاستسقاء ٢/ ٦١٢ .

ويقول عز وجل في الحديث القدسي:(خلقت عبادي حنفاء فاجتالتهم الشياطين) [1] وقال الرسول ﷺ-:(كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه) [2] .

فالحديث دل بمنطوقة على أن المولود يولد على الفطرة السوية وهي دين الإسلام كما قال بذلك العلماء[3] .

الأدلة العقلية :

إن الأدلة النقلية التي جاءت في الكتاب والسنة تدل على ما دل عليه العقل الصحيح، فلذا نجد أن الكتاب الكريم قد وردت فيه أدلة عقلية تخاطب العقول لإثبات توحيد الربوبية ومن ذلك قول الله تعالى: ﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴾ الطور:٣٥.

فالناظر في هذا الدليل يجد الحصر المتضمن لإقامة الحجة بأقرب طريق وأفصح عبارة، فيقول الله تعالى هؤلاء مخلقون بعد أن لم يكونوا، فهل خلقوا من غير خالق خلقهم؟ فهذا من المحال الممتنع عند كل من له فهم وعقل أن يكون مصنوع من غير صانع ومخلوق من غير خالق، ولو مر رجل بأرض قفر لا بناء فيها ثم مر بها فرأى فيها بنياناً وقصوراً وعمارات محكمة لم يخالجه شك ولا ريب أن صانعاً صنعها وبناء بناها .

---

(١) مسلم في كتاب الجنة - باب صفات الذين يعرف بهم أهل الدنيا ١١/ ٩٩ .

(٢) البخاري كتاب الجهاد باب ما قيل في أولاد المشركين ٣/ ١٩٢ - ١٩٤ ، مسلم في القدر - باب كل مولود يولد على الفطرة ١٦/ ٢٨٠ .

(٣) درء التعارض ٣/ ٨ ، ١٢٦/ ٥٢٣ - ٥٣٣ ، دلائل التوحيد / ١٩١ - ١٩٢ .

ثم أخبر متسائلا أم هم الخالقون؟

وهذا أيضاً من المستحيل أن يكون العبد موجداً خالقا لنفسه فإن من لا يقدر أن يزيد في حياته بعد وجوده وتعاطيه أسباب الحياة ساعة واحدة ولا إصبعاً ولا ظفراً ولا شعرة كيف يكون خالقاً لنفسه في حالة عدمه؟

إذا بطل القسمان تيقن أن لهم خالقاً خلقهم وفاطراً فطرهم فهو الإله الحق الذي يستحق منهم العبادة والشكر، فكيف يشركون به إلهاً غيره وهو وحده الخالق لهم[1].

ويسمى هذا الدليل بدليل السبر والتقسيم. فالسبر: اختبار الفروض بالتعرف على الفاسد منها من الصحيح، والتقسيم : الحصر لها بحيث لا يبقى مزيد قطعاً أو ظنا[2].

ومن الأدلة التي جاءت في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴾ (النمل : ٦٠) .

فهنا يخبرنا الله عز وجل في الآية (أءله مع الله) أي أءله مع الله فعل هذا؟ وهذا استفهام إنكار، يتضمن نفي ذلك، وهم كانوا ؛ مقرين بأنه لم يفعل ذلك غير الله، فاحتج عليهم بذلك، وليس المعنى استفهام هل مع الله إله، كما ظنه بعضهم

(١) درء تعارض العقل ١/ ٥-٦ ، مناهج الجدل في القرآن الكريم . ٣/ ١٠٩ ، ٨/ ٤٥٤ – ٦٤٨ .
(٢) المدخل لدراسة العقيدة الإسلامية ٨٨ .

لأن هذا المعنى لا يناسب سياق الكلام، والقوم كانوا يجعلون مع الله آلهة أخرى كما قال الله تعالى: ﴿ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ ۚ قُل لَّآ أَشْهَدُ ۚ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾ الأنعام: ١٩. وكانوا يقولون كما أخبر القرآن الكريم عنهم ﴿ أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴾ص:٥ . ولكنهم ما كانوا يقولون ((إن معه إلاها جعل الأرض قرارا أو جعل خلالها أنهاراً وجعل لها رواسي وجعل بين البحرين حاجزاً كما قال تعالى ﴿ أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ ﴾ النمل : ٦١ . بل هم مقرون بأن الله وحده فعل هذا، وهكذا سائر الآيات[1] فالعقل يدل على وجود الله عز وجل وعلى أنه الصانع الخالق لجميع المخلوقات، ولذا فإن الأعرابي الأمي أدرك بعقله السليم على خلق الله للمخلوقات فقال(البعر ة تدل على البعير والأثر يدل على المسير، سماء ذات أفلاك، وأرض ذات فجاج، ألا يدل ذلك على العزيز الجبار)، ولذا ورد عن الأئمة الأربعة أنهم كانوا يجادلون أهل الكلام بالأدلة العقلية عند الحاجة الماسه لذلك ، ومنها ما يحكى عن الإمام أبي حنيفة يرحمه الله أنه قال لهم: أخبروني قبل أن نتكلم في هذه المسألة – عن سفينة في دجلة، تذهب فتمتلىء من الطعام والشراب والمتاع بنفسها، فترسى بنفسها، وتتفرغ وترجع، كل ذلك من غير أن يدبرها أحد؟!

فقالـوا محـال لا يمكن أبداً !! فقال لهم : إذا كان هذا محالاً في سفينة، فكيف في هذا العالم كله علوه وسفله[2] ؟

(١) آداب المناظرة ١/ ٦٢ .
(٢) ابن حزم وموقفة من الإلهيات ١٥٨ – ١٥٠ شرح العقيدة الطحاوية ١/ ٣٥ – ٣٦ .

المبحث الرابع

المبحث الرابع

توحيد الربوبية مفطور عليه الخلائق

إن توحيد الربوبية مفطور عليه جميع الخلائق، ولهذا لم يذهب إلى نقيضه طائفة معروفه من بني آدم، بل القلوب مفطورة على الإقرار به أعظم من كونها مفطورة على الإقرار بغيره من الموجودات، كما قالت الرسل عليهم السلام كما أخبرنا القرآن عنهم: ﴿ ۞ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ إبراهيم: ١٠[1]

فإن حكمة الله عز وجل قضت بخلق آدم عليه السلام وبجعله وذريته خلفاء في الأرض، ليقوموا بعمارتها وفق منهج الله تعالى وشريعته، فلذا لما أهبط الله آدم إلى الأرض لم يتركه لنفسه أو لعقله، فهو يحتاج إلى عناية ورعاية ويحتاج إلى هداية يسير هو وذريته عليها فتكون سبباً للنجاة وحاجزاً عن الضلالة والشقاء، فلذا أكرمه الله بهذه الهداية فقال تعالى: ﴿ قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ البقرة: ٣٨-٣٩

(١) درء التعارض ٣/ ١٢٦، ٨/ ٥٣٢-٥٣٣.

وقال ﴿ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴾ طه ١٢٣-١٢٧[1] .

ولذا نجد أن الله عز وجل قد أمر الخلق بأن يقيموا وجوههم لله، وأن يخلصوا الدين له، لأنه سبحانه وتعالى قد فطرهم على ذلك فقال تعالى ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ الروم :٣٠ .فكل مولود يولد على هذا الإقرار، وهو الحنيفية التي وقعت الخلقة عليها، فلو ترك عليها لاستمر على لزومها، وإنما يعدل عنه إلى غيره لآفة من آفات التنشئة والتقليد، كما قال الرسول عليه الصلاة والسلام(كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه)[2].

فالصحيح الذي لا مراء فيه أن البشرية الأولى كانت على التوحيد والإسلام من وقت آدم إلى مبعث نوح عليهما الصلاة السلام حيث كان الناس كلهم على

(١) تفسير ابن كثير ٣/ ٣٣٢ – ٣٣٣ ، الفتاوى ١٦/ ٣٣٥ – ٣٣٦ .
(٢) سبق تخريجة .

شريعة واحده من الحق والهدى، ثم اختلفوا في زمن نوح عليه السلام، فبعث الله إليهم نوحاً رسولاً كما قال تعالى ﴿ وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾ نوح : ٢٣[١]

فهذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم : أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها إنصاباً وسموها بأسمائهم ففعلوا ولم تعبد، حتى إذا هلك أولئك ونسي العلم عبدت[٢]، ولذا أخبرنا الله عز وجل في كتابه: ﴿ وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُوا۟ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ يونس :١٩

وبذلك يتضح خطأ النظريات الكاذبة القائلة بالتدرج حتى الوصول إلى مرحلة التوحيد، فهناك نفر من الغربيين ومن تابعهم من المسلمين[٣] ، الذين درسوا تاريخ الأديان وتتلمذوا على أيدي المستشرقين[٤] ، يزعمون أن البشرية لم تعرف

---

(١) ود: اسم صنم مصور لقبيلة كلب بدومه الجندل ، وسواع : صنم مصور لقبيلة هذيل ، ويغوث : صنم مصور لقبيلة مراد ثم لبني غطيف بالجرف عند سبأ ، ويعوق : صنم مصور لقبيلة همدان ونسر : صنم مصور لقبيلة حمير لآل ذي الكلاع ، انظر فتح المجيد / ٢٢٠ .

(٢) فتح الباري ٨/ ٥٣٥ – ٥٣٦ .

(٣) كعباس محمود العقاد في كتابه (الله) .

(٤) المستشرقون : هم من ينتسبون إلى الاستشراق وهو تعبير يدل على الاتجاه نحو الشرق ، ويطلق على ما يبحث في أمور الشرقيين وثقافتهم وتاريخهم ويقصد به ذلك التيار الفكري الذي يتمثل في إجراء الدراسات المختلفة عن الشرق الإسلامي ، والتي تشمل حضارته وأديانه وأدابه ولغاته وثقافته ، لأهداف منها : التشكيك في صحة رسالة النبي ﷺ ، والزعم بأن الحديث النبوي إنما هو من عمل المسلمين خلال القرون الثلاثة الأولى ، والتشكيك في صحة القرآن والطعن فيه والتقليل من قيمة الفقه الإسلامي وغير ذلك كثير . انظر الاستشراق : إدوارد سعيد – ترجمة كمال أبو ديب ، المستشرقين – نجيب العفيفي – مصطفى السباعي .

عقيدة التوحيد إلا بعد أن تطورت ومرت بمراحل، فكانت تعرف الشرك وتعدد الألهة أولاً ثم ترقت من التعدد إلى التوحيد متأثرين بذلك بنظرية التطور في أصل الأنواع التي أبتدعها دارون[1] ، ثم نقلوا الفكرة ذاتها إلى الدين فأصبحوا يقولون بالتطور فيه[2] .

(١) دارون : شارلز دارون ، ولد سنة ١٨٠٩م ، هو باحث إنجليزي نشر في سنة ١٨٥٩م كتاب أصل الأنواع ، وقد ناقش فيه نظريته في النشوء والارتقاء معتبراً أصل الحياة خلية كانت في مستنقع أسن قبل ملايين السنيين وقد تطورت هذه الخلية ومرت بمراحل منها ، مرحلة القرد ، انتهاء بالإنسان ، وهو بذلك ينسف الفكرة الدينية التي تجعل الإنسان منتسباً إلى أدم وحواء ابتداء . انظر: أصل الأنواع – تشارلز داروين – ترجمة إسماعيل مظهر ، سلسلة تراث الإنسانية – مجموعة من الأساتذة – الهيئة العامة للكتاب – مصر .

(٢) الفتاوى ٢٠/١٠٦ – ١١٢ ، ٢٨/٦٠٣ – ٦٠٥ ، الدين – بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان ١٠٦ – ١٠٧ .

المبحث الخامس

المبحث الخامس

توحيد الربوبية يستلزم [1] توحيد الألوهية

أن توحيد الربوبية يستلزم الألوهية، حيث إن العبد لو أقر بأن الله خالقاً ورازقاً مالكاً بيده ملكوت السماوات والأرض فإنه يتوجه بالعبادة له سبحانه وتعالى، ولذا فإن الله عز وجل يقول في كتابه :﴿ وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي ﴾ يس :٢٢ .

وقال :﴿ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدۡنِ ٱلرَّحۡمَٰنُ بِضُرّٖ لَّا تُغۡنِ عَنِّي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا يُنقِذُونِ ﴾ يس : ٢٣

وقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ۝ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾ البقرة : ٢١-٢٢

---

(١) اللازم في اللغة : التبعية ، عدم المفارقة ، يقال : لزم فلان بيته إذا لم يفارقه فلازم الشيء : أي أن أحدهما عله الآخر .
أما تعريفه في الاصطلاح فله عدة تعريفات منها : ما يمنع انفكاكه عن الشيء ، أو كون الحكم مقتضياً لحكم آخر بأن يكون إذا وجد المقتضي وجد المقتضى وقت وجوده أو هو عبارة عن امتناع الانفكاك عن الشيء وما يمتنع انفكاكه عن الشيء يسمى لازما وذلك الشيء ملزوما والتلازم : عبارة عن عدم الانفكاك من الجانبين ، انظر المصباح المنير ٦٦٩٠ ، المفردات / ٦١٩ ، التعريفات / ١٩٩ ، الكليات / ٧٩٥ – ٧٩٦ ، شرح الكوكب المنير ٤/ ٢٠٤ ، كشاف اصطلاحات الفنون / ١٣٠٤ .

وقال : ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَـٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓا۟ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣٤﴾ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ ۗ أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ ۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾ يونس : ٣١-٣٥

فإذا كان الرب سبحانه وتعالى هو الخالق الرازق المحي المميت المدبر الهادي فكيف لا تصرف العبادة له وحده، فهو السيد المطلق الذي بيده ملكوت كل شيء في السماء والأرض، فمن التفاهة والحمق أن يعبد العبد إلهاً غير الله سبحانه وتعالى ولذا فإن إبراهيم عليه السلام كان يحج أباه بالحجة والبرهان القاطع حيث إنه كان يعبد أوثاناً لا تسمع ولا تبصر ولا تنفع ولا تضر فقال لأبيه: ﴿ يَـٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ يَـٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَـٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَـٰنَ ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَـٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَـٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَـٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَـٰنِ وَلِيًّا ﴾ مريم : ٤٢-٤٥

فكل عاقل مفكر إذا أدرك أن الله عز وجل هو مسدي النعم جميعها لزمه أن يعبد الله وحده لا شريك له، ولذا كان الشرك بالله من أعظم الذنوب كما جاء في حديث ابن مسعود [1] رضي الله عنه عندما سأل الرسول عليه الصلاة والسلام أي الذنب أعظم؟ قال : أن تجعل لله نداً وهو خلقك [2] .

(١) عبد الله بن مسعود : ابو عبد الرحمن بن مسعود بن غافل بن حبيب بن شمخ بن فال بن مخزوم بن قرار المكي المهاجري البدري ، صحابي من كبار الصحابة فضلاً وقرباً من رسول الله ﷺ هاجر الهجرتين ، وشاهد المشاهد كلها ، ولي قضاء الكوفة وبيت مالها في خلافة عمر رضي الله عنه ، ثم رجع إلى المدينة وتوفي بها سنة ٣٢هـ . انظر الإصابة ٢/ ٣٦٨ ، السير ١/ ٤٦١ ، الأعلام ٤/ ١٣٧ .

(٢) البخاري كتاب التفسير – باب قوله تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ﴾ ٨/ ٣٧٨ مسلم في كتاب الإيمان – باب كون الشرك أقبح الذنوب ١/ ٨٦ .

المبحث السادس

المبحث لسادس
علاقة توحيد الربوبية بتوحيد الأسماء والصفات

إن علماء أهل السنة والجماعة قد قسموا التوحيد إلى قسمين :

توحيد في المعرفة والإثبات، وتوحيد في الطلب والقصد .

فالأول : هو إثبات حقيقة ذات الرب تبارك وتعالى وصفاته، وأفعاله وأسمائه، وعلوه فوق عرشه[1] وتكلمه بكتبه وتكليمه لمن شاء من عباده، وإثبات عموم قضائه وقدره وحكمه، فتوحيد الربوبية هو الايمان بأن الله هو الخالق المحيي المميت النافع الضار، أي هو : توحيد الله بأفعاله مثل: الرزق والخلق والأحياء والأماته، فهذه الأفعال لله عز وجل هي صفات له سبحانه فأرتبط توحيد الربوبية بتوحيد الأسماء والصفات، فالأفعال صفات له عز وجل، وأما العلاقة بين الربوبية والأسماء فإن من أسماء الله عز وجل الخالق الرازق المحيي المميت، فظهرت العلاقة بينهما .

فعلاقة توحيد الربوبية بالأسماء والصفات إن توحيد الأسماء والصفات يقوم على إفراده سبحانه وتعالى بكل ماله من الأسماء الحسنى والصفات العليا التي لا تنبغي إلا له سبحانه وتعالى، ومن جملتها كونه رباً واحداً لا شريك له في ربوبيته فاسم الرب لا ينصرف عند الإطلاق إلا إليه فهو صاحب الربوبية المطلقة .

---

(١) أجمع السلف على اثبات استواء الله على عرشه فيجب إثباته من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل وهو استواء حقيقي معناه العلو والاستقرار على وجه يليق بالله تعالى . انظر شرح لمعة الاعتقاد / ٣٦ .

إن كل إسم من أسماء الله عز وجل يدل على ذات الله وعلى الصفه التي تضمنها، وعلى الأثر المترتب عليه إن كان متعديا ولا يتم الإيمان بالاسم إلا بإثبات ذلك كله .

مثال ذلك في غير المتعدي: العظيم : فلا يتم الإيمان به حتى تؤمن بإثباته اسماً من أسماء الله دالاً على ذاته تعالى وعلى ما تضمنه من الصفه وهي العظمة .

وفي مثال ذلك من المتعدي: الرحمن : فلا يتم الإيمان به حتى تؤمن بإثباته اسماً من أسماء الله دالاً على ذاته تعالى وعلى ما تضمنه من الصفه وهي الرحمه وعلى ما ترتب عليه من أثر وهو أنه يرحم من يشاء، ورحمته تلك تدخل ضمناً في توحيد الربوبية فظهرت العلاقه بين توحيد الربوبية والأسماء والصفات[1].

(١) شرح لمعة الإعتقاد / ٩٩ .

المبحث السابع

المبحث السابع

الإلحاد في توحيد الربوبية

الإلحاد في اللغة: لحد. اللام والحاء والدال أصل يدل على ميل عن استقامة يقال: ألحد الرجل إذا مال عن طريق الحق وإلايمان .، وسمى اللحد لأنه مائل في أحد جانبي القبر، والملتحد: الملجأ سمي بذلك لأن اللاجىء يميل إليه[1]

الإلحاد اصطلاحاً : الميل بنصوص الكتاب والسنة عن الحق الثابت لها[2] .

أقسامه[3] :

أ: إلحاد في الآيات الشرعية، كتأويل آي الصفات .

ب: إلحاد في الآيات الكونية، كنسبتها إلى غير خالقها سبحانه وتعالى كنسبة نزول المطر للنجم فيقال مثلاً : مطرنا بنجم كذا.

الإلحاد جهالة وضلالة .

إن الله عز وجل خلق الأنسان على الفطرة و الأقرار بوجود الله تعالى ووحدانيته، و كل الأدلة النقلية و العقلية والحسية تدل على ذلك. ومع كل ذلك نجد بعض الناس من يكون في غايةالسخافة والضلال والعناد فيغمض عيينيه تعمداً وتعنتا بأن يجعل عليها غشاؤة لئلا يبصر الحق ويهتدي إليه ، أو أن يلغي عقله

(١) الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى ١/ ٦٥ – ٢٠٠ .
(٢) معجم المقاييس في اللغة / ٩٤٩ .
(٣) الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى ١/ ٦٥ – ٢٠٠ .

ويطمس فطرته فينكر وجود الله سبحانه وتعالى وينسب الخلق إلى ما أسماه بعضهم الطبيعة أو الصدفة وغير ذلك .

بعض صور الإلحاد في توحيد الربوبية .

إن توحيد الربوبية يخل به ويخالفه وينافيه أمور عدة من أهمها :

الشرك في توحيد الربوبية : وهو أن يجعل لغير الله تعالى معه تدبيراً ما، كقول الله تعالى في الحديث القدسي (أصبح من عبادي قوم مؤمن بي وكافر، فأما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافراً بالكواكب، وأما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا وكذا كافر بي مؤمن بالكواكب)[1] .

فهنا يوضح الحديث أن من نسب إنزال المطر إلى النجم فهو مشرك كافر وهو أعظم الذنوب على الاطلاق فهو الذنب الوحيد الذي نفى الله مغفرته له فقال تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾النساء ٤٨

وقال الرسول عليه الصلاة والسلام (من لقي الله لا يشرك به شيئاً دخل الجنة ومن لقيه يشرك به شيئاً دخل النار)[2] فالشرك أظلم الظلم و التوحيد أعدل العدل فما كان أشد مناقاة لهذا المقصود فهو أكبر الكبائر وما كان أشد موافقة لهذا المقصود فهو أوجب الواجبات وأفرض الطاعات .

فلما كان الشرك بالله منافياً بالذات لهذا المقصود، كان أكبر الكبائر على الإطلاق، وحرم الله الجنه على كل مشرك وأباح دمه وماله وأهله لأهل التوحيد

---

(١) البخاري كتاب الصلاة - باب يستقبل الأمام الناس إذا سلم ٢/ ٢٧٧ ، مسلم كتاب الإيمان - باب كفر من تمطر بالنوء رقم ٧١ .

(٢) مسلم كتاب الإيمان باب من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة ومن مات مشركاً دخل النار . رقم / ٧١ .

وأن يتخذوهم عبيداً لهم، لما تركوا القيام بعبوديته، وأبي الله سبحانه وتعالى أن يقبل من مشرك عملاً أو يقبل فيه شفاعة أو يستجيب له في الأخرة دعوة ، أو يقبل له فيها رجاء فإن المشرك أجهل الجاهلين بالله، حيث جعل له من خلقه نداً وذلك غاية الجهل به[1].

الشرك في الربوبية له ضروب متعددة منها :

(١) شرك التعطيل: كشرك فرعون الذي أدعى الربوبية والالوهية كما وضح لنا القران الكريم قال تعالى على لسان فرعون ﴿ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ النازعات ٢٤، وقال ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى ﴾ القصص٣٨ وفي الحقيقة كان فرعون مقراً بوجود الله وربوبيته، ولكنه كان مكابراً غير معتقد بما يقول وهذا ما بينه الله عز وجل في كتابه بقوله عز وجل ﴿ وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ ﴾ النمل ١٤ ، وقال موسى عليه السلام لفرعون فيما قال الله عنه ﴿ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴾ الاسراء ١٠٢

(٢) إنكار ربوبيه الله تعالى: كما وقع فيه شرذمة من الملاحدة[2] قديماً وحديثاً .

---

(١) الداء والدواء ، ابن القيم الجوزية ١٩٧ ، الجواب الكافي ١٧٢ – ١٧٣ .

(٢) الملاحدة : هم الذين يعتقدون بأن الكون وجد بلا خالق وأن المادة أزلية أبدية وهي الخالق والمخلوق في نفس الوقت ، فالالحاد مذهب فلسفي يقوم على فكرة أساسها إنكار وجود الله الخالق سبحانة وتعالى ، وقد انتشر المذهب الإلحادي بين المسلمين في الوقت الحاضر وخاصة بعد نشر اليهود لنظريات ماركس في الأقتصاد والتفسير المادي للتاريخ ونظريات فرويد في علم النفس ونظريات دور كايم في علم الاجتماع وكل هذه النظريات من أسس الإلحاد في العالم . انظر الموسوعة الفلسفية المختصرة صراع مع الملاحدة ، الإلحاد وعلاقته باليهود والنصارى .

(٣) القول بوحدة الوجود[١] وهم الذين يزعمون أن الله تعالى هو عين الخلق تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً .

(٤) شرك المجوس[٢] الذين يقولون بإسناد حوادث الخير إلى النور وحوادث الشر إلى الظلمة.

(٥) شرك القدرية[٣] الذين يقولون بأن العبد هو الذي يخلق أفعال نفسه، وأنها تحدث بدون مشيئة الله وقدرته وإرادته .

(٦) شرك الصابئة[٤] الذين يدعون أن الكواكب العلوية تدبر أمر العالم السفلي .

---

(١) وحدة الوجود : عقيدة إلحادية هندية قال بها فلاسفة اليونان القدماء وتبعهم عليها بعض المذاهب الفلسفية المعاصرة وغلاة الصوفية وتقوم هذه المقالة على الوحدة الذاتية لجميع الأشياء مع تعدد صورها في الظاهر فالعالم بما فيه إنما هو التجلي الإلهي الدائم الذي كان ولايزال فالموجود واحد وهو الله واجب الوجود الأزلي عين المخلوقات فكل شيء هو الله واختلاف الموجودات هو اختلاف في الصور والصفات مع توحد الذات وهي بذلك امتداد لعقيدة الحلول وقد تأثر بعقيدة وحدة الوجود غلاة الصوفية أمثال : الحلاج وابن الفارض وإن أخطر ما تصل إليه هذه العقيدة القول بوحدة الأديان وإسقاط التكاليف انظر الموسوعة الميسرة ٢/ ١١٧٨ – ١١٧٩ .

(٢) المجوس : هم القائلون بالنور والظلمة وان النور مصدر الخيروالظلمة مصدر الشر فأثبتوا إلهين وهم عدة فرق ومن عقائدهم عبادة النار والصلاة إلى الشمس وعدم دفن الموتى في الأرض تعظيما لها ولا يغتسلون بالماء تقديساً لها إلا أن يستعملوا قبله بول البقر ونحوه ، ولايرون قتل الحيوانات ولا ذبحها ويستحلون فروج المحارم ، ومسائل المجوس كلها تدور على قاعدتين : إحداهما : بيان سبب امتزاج النور بالظلمة ، والثانية : بيان سبب خلاص النور من الظلمة ، وجعلوا الامتزاج مبدأ الخلاص . انظر الملل والنحل ١/ ٣٣ التبصير في الدين / ١٥٠ ، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين / ١٢٠ ، تلبيس إبليس / ٧٨ .

(٣) القدرية : هم القائلون بأن العبد يحدث فعل نفسه وإن أفعال العبد مقدرة لهم على جهة الاستقلال وكان الأوائل منهم ينكرون علم الله السابق ، فلذا كفرهم السلف ، لها عدة فرق ومن أشهرها المعتزلة ، انظر المقالات ١/ ٢٩٨ ، الملل والنحل ١/ ٤٣ ، لوامع الأنوار وسواطع الاسرار الأثرية ١/ ١٨٠ – ١٨١ نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام / ٤٠٤ .

(٤) الصابئه : هم طائفة يقدس أصحابها الكواكب والنجوم ويعظمونها ويعتبر الاتجاه نحو نجم القطب الشمالي وكذلك التعميد في المياه الجارية من أهم معالم الديانه التي يجيز أغلب فقهاء المسلمين أخذ الجزية من معتنقيها أسوة بالكتابين من اليهود والنصارى ، ولقد حقق شيخ الإسلام ابن تيمية حقيقة الصابئة كما وردت في القرآن الكريم فقال ما حاصله : (إن الصابئة نوعان : صابئة حنفاء وصابئة مشركون أما الصابئه الحنفاء فهم بمنزلة من كان متبعاً لشريعة التوراه والانجيل قبل النسخ والتحريف والتبديل من اليهود والنصارى وهؤلاء حمدهم الله واثنى عليهم . أما الصابئة المشركون : فهم يقرون بعبادة الملائكة ويقرؤن الزبور ويصلون ، فهم يعبدون الروحانيات العلوية ، وعلى ذلك ممن دان من الصابئة بدين أهل الكتاب فهو من أهل الكتاب ، ومن لم يدن بدين أهل الكتاب فهو مشرك ومثالهم من يعبد الكواكب) انظر الرد على المنطقين / ٤٥٤ ، الموسوعة الميسرة ٢/ ٧٢٤ – ٧٢٥ .

(٧) شرك الصوفية الذين يظنون أن أحداً من البشر، كالأقطاب[١] والأبدال[٢] لهم نوع من القدرة والتصرف في هذا الكون أو أن هذا الكون يحفظ بهم أو أن الأولياء[٣] في قبورهم يستطيعون النفع والضر .

ثانياً : القول بقدم العالم :

حقيقة القول بقدم العالم : أن العالم لم يزل موجوداً مع الله تعالى، غير متأخر عنه بالزمان وهو قول باطل، يقول شيخ الاسلام يرحمه الله (القول بقدم العالم قول اتفق جماهير العقلاء على بطلانه، فليس أهل الملة وحدهم يبطله بل أهل الملل

---

(١) الأقطاب : هم أحد مراتب الترتيب الطبقي للأولياء عند الصوفية ويعرفها مؤسس التيجانية (بأنها الخلافة عن الحق مطلقاً فلا يصل إلى شيء من الله إلا بحكم القطب) فالصوفية تزعم أن الأقطاب هم الدعائم التي عليها صرح الوجود وهم الواسطة بين عالم الأمر وعالم الخلق والأقطاب عندهم على نوعين : نوع ظاهر مسئول له مقاليد الأمور السياسية فيصبح عصره نورانيا أي عصر أزدهار وتقدم ، ونوع آخر خفي خامل الذكر ليس له أي تأثير في الشئون الزمانية وعند ذلك تخلو الأرض من التدبير الألهي وتغلب عليها الظلمات أي التأخر والانحطاط ويستخلف القطب بدلاً عنه في حال موته). انظر الموسوعة الميسرة ٢/ ٩٧٩ – ٩٨٠ ، تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي ، محمد أحمد لوح ١/ ٩٣ – ٩٩ .

(٢) الأبدال : جمع بدل والأبدال أحد مراتب الترتيب المنطقي للأولياء عند الصوفية ولا يعرفهم عامة الناس ويزعمون أن لهم اقتداراً له أثره في حفظ نظام الكون وسموا البدلاء لأن البدل إذا ما فارق مكانه خلفه فيه شخص آخر على صورته حيث لا يشك الرائي أنه البدل ، كما زعموا أن لهم القدرة على التطور والتشكيل في أشكال عديدة حتى أشكال بعض الحيوانات . انظر الموسوعة الميسرة ٢/ ٩٥٠ ، تقديس الاشخاص ١/ ١٠٠ – ١١٢ .

(٣) الولي : عند أهل السنة والجماعة هو العالم بالله تعالى المواظب على طاعته ، مع كمال المحبة والرضى لما يحب ويرضى ، والسخط والبغض لما يسخط ويبغض ، وهو المحب الموالى لأوليائه والمبغض المعادي لأعدائه ، وعند الصوفيه : هو من تولاه الخالق سبحانه لظهور أسمائه وصفاته عليه علماً وعيناً وحالاً وأثره لذة وتصرف فلا يرى في نظره غير الفاعل الحقيقي (الله تعالى) والولي عندهم أيضاً هو من تولاه الله بكثير مما تولى به النبي من حفظ وتوفيق وتمكين واستخلاف وتصريف ، بل الغلاة منهم يجعلون الولي أفضل من النبي ، لأن مقام النبوة ينقطع بانقطاع الحياة الدنيا بينما مقام الولى عندهم لا ينقطع أبداً . انظر فصوص الحكم ، الموسوعة الميسرة ٢/ ١١٨٢ – ١٨٣ تقديس الأشخاص ١/ ١/ ٥٥ – ٦٠ .

كلهم، وجمهور من سواهم من المجوس و أصناف المشركين : مشركي العرب ومشركي الهند، وغيرهم من الأمم، وجماهير أساطين الفلاسفة كلهم معترفون بأن هذا العالم محدث كائن بعد أن لم يكن بل وعامتهم معترفون بأن الله خالق كل شيء[1] .

ولاشك أن القول بقدم العالم من أكبر أنواع الالحاد في توحيد الربوبية وذلك من عدة اعتبارات :

(١) إن القول بقدم العالم يتضمن تعطيلا للرب سبحانه وتعالى، وإنكاراً للخالق عز وجل .

(٢) إن القول بقدم العلم يؤدي إلى القول بأن هذا العالم تولد عن الرب عز وجل، فخلقوا له بنين وبنات بغير علم، قال تعالى ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ ۖ وَخَرَقُوا۟ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَـٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٠٠﴾ بَدِيعُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَـٰحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ الأنعام ١٠٠-١٠١

ولذا يقول شيخ الإسلام يرحمه الله عن القول بقدم العالم (إنما هو قول بتولدها عن الله، وهو مما رده الله ونزه نفسه عنه، وكذب قائله، وبين كذبه بقوله ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ الإخلاص ٣-٤ وقال تعالى ﴿ أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ ﴿١٥٢﴾

(١) الصفدية ١/ ١٣ ، الفتاوى ٥/ ٥٦٥ .

أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾ أَمْ لَكُمْ سُلْطَٰنٌ مُّبِينٌ ﴿١٥٦﴾ فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾
الصافات ١٥١-١٥٧[1])

(٣) إن القول بقدم العالم يتضمن شتم الله عز وجل وتكذيبه كما أخبرنا الله عز وجل في الحديث القدسي (يشتمني ابن آدم وما ينبغي له ذلك، ويكذبني ابن آدم وما ينبغي له ذلك فأما شتمه إياي فقوله (إني اتخذت ولداً وأنا الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد وأما تكذيبه إياي فقوله : لن يعيدني كما بدأني وليس أول الخلق بإهون علي من إعادته) [2] ولذا يقول القاضي عياض[3] يرحمه الله (كل مقاله صرحت بنفي الربوبية أو الوحدانية أو عبادة أحد غير الله أو مع الله فهي كفر ... أو ادعى له ولداً أو صحابة أو والدة، أو أنه متولد من شيء، أو كائن منه أو أن معه في الأزل شيئاً قديماً غيره، أو أن ثم صانعاً للعالم سواه أو مدبراً ... فذلك كله كفر بإجماع المسلمين)[4]

(١) الفتاوى ٤/ ١٠٧ ، الصفدية ١/ ٨ .
(٢) البخاري كتاب بدء الخلق - باب ما جاء في قوله تعالى (وهو الذي يبدؤ الخلق) ٦/ ٢٨٧ .
(٣) القاضي عياض : هو عياض بن موسى بن عياض بن عمرو اليحصبي أبو الفضل ، أحد علماء المغرب وإمام أهل الحديث في وقته ، لقي كثيراً من علماء بلده وأخذ عنه العديد ولد في سنة ٤٧٦هـ وتولى القضاء فيها ، من مؤلفاته الشفاء بتعريف حقوق المصطفى وشرح صحيح مسلم ، توفي سنة ٥٤٤هـ انظر سير أعلام النبلاء ٢/ ٢١٢ - ٢١٨ ، وفيات الأعيان ١٣/ ٤٨٣ - ٤٨٥ شجرة النور الزكية / ١٤٠ - ١٤١ ، طبقات الشافعية / ٤٦١ - ٤٦٢ .
(٤) الشفا بتعريف حقوق المصطفى ٢/ ٦٠٤ - ٦٠٦ .

فنفي الربوبيه إلحاد، فمن نفى شيئاً من الربوبيه فهو ملحد ساباً الله عز وجل وسب الله عز وجل من أكبر نواقض الإيمان ولذا يقول شيخ الإسلام يرحمه الله فيمن سب الله عز وجل (فإن كان مسلماً وجب قتله بالإجماع لأنه بذلك كافر مرتد وأسوأ من الكافر، فإن الكافر معظم الرب، ويعتقد أن ما هو عليه من الدين الباطل ليس بإستهزاء بالله ولا مسبةً له) [1] ومن هنا يتضح أن من أنكر فعلا من أفعال الرب سبحانه وتعالى فقد ألحد في توحيد الربوبيه.

(١) الصارم المسلول على شاتم الرسول / ٥٤٦ .

القسم الثاني
توحيد الألوهية

الفصل الرابع

الفصل الرابع

توحيد الألوهية

وفيه سبعة مباحث:

- **المبحث الأول:** تعريف الألوهية في اللغة والاصطلاح .
- **المبحث الثاني:** أسماء توحيد الألوهية .
- **المبحث الثالث:** الأدلة على توحيد الألوهية .
- **المبحث الرابع:** علاقة توحيد الألوهية بتوحيد الربوبية والأسماء والصفات .
- **المبحث الخامس:** التوحيد الذي جاء به الرسل .
- **المبحث السادس:** الإلحاد في توحيد الألوهية .
- **المبحث السابع:** الأسماء الخاطئة لتوحيد الألوهية .

المبحث الأول

القسم الثاني

توحيد الألوهية

الفصل الرابع

توحيد الألوهية وفيه سبعة مباحث :

المبحث الأول

تعريف الألوهية في اللغة والاصطلاح

تعريف الألوهية في اللغة :

الإلـه في اللغـة: الهمـزة والـلام والهـاء أصـل واحد، وهو التعبد، فالإله هو المعـبود والمطـاع ولا يكون إلها حتى يكون لعباده خالقاً ورازقاً ومدبرا وعليه مقتدر فمن لم يكن كذلك فليس بإله، والإله: بمعنى المعظم، التحير، اللجوء، الجزع، والإله في اللغـة يطلق على الله عز وجل وعلى ما يعبد من غيره والجمع آلهة، أما اسم الله فلا يطلق إلا على الله عز وجل ، فالألوهية تدور معانيها في اللغة حول: التعظيم- العبادة- اللجوء-الجزع لله عز وجل [1].

تعريف الألوهية اصطلاحاً :

هو توحيد الله بأفعال العباد، وذلك بأن تصرف جميع أنواع العبادة لله وحده لا شريك له.

يقول شيخ الإسلام يرحمه الله معرفاً هذا التوحيد بقوله (هو عبادة الله وحده لا شريك له، كما بين ذلك بقوله ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ

(١) معجـم المقاييس في اللغـة / ٨٥-٨٦، لسـان العـرب ١/ ١٨٨، ١٩١، الموسوعة العربية العالمية ٢/ ٦١٩ - ٦٢٠.

﴿ ٱلرَّحِيمُ ﴾ البقرة : ١٦٣ فأخبر أن الإله إله واحد ولا يجوز أن يتخذ إله غيره فلا يعبد إلا إياه[١].

فمعنى توحيد الألوهية هو : إفراد الله سبحانه وتعالى بالعبادة بمعنى: أن يعبد الله سبحانه وتعالى وحده ولا يشرك معه بعبادته أحد من خلقه، لأنه المستحق لأن يعبد، وهو مبني على إخلاص العمل كله والتوجه به لله سبحانه وتعالى وحده دون سواه، سواءً كان هذا العمل من أعمال القلوب أو من أعمال الجوارح، وهذا النوع من التوحيد هو الذي تضمنه قوله تعالى: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾[٢] الفاتحة : ٥.

فلا يحقق العبد هذا التوحيد إلا بالتوحيد لله تعالى وحده، وإفراده بكل أنواع العبادة، والبراءة من كل ما يعبد من دون الله، فينبغي للعبد أن يتجه بالعبادة كلها له وحده سبحانه، سواءً كانت عبادة اعتقادية أو قلبية أو مالية، وأن يخلصها كلها لله سبحانه وتعالى.

وبذلك يظهر خطأ المتكلمين الذين عرفوا توحيد الألوهية بالإقرار بأن الله خالق كل شيء، وأنه ليس للعالم صانعان متكافئان في الصفات والأفعال، ومن ثم فهو الغاية عند كثير من أهل النظر والكلام وطائفة من الصوفية .

---

(١) التسعينية / ٢٠٨.
(٢) انظر العبودية لشيخ الإسلام .

فكل من عرف توحيد الألوهية بتعريف يخالف التعريف السابق فهو مجانب للحق والصواب ولذا يقول ابن القيم يرحمه الله (وقد تقسمت الطوائف في التوحيد وسمي كل طائفة باطلهم توحيداً فانباع أرسطو[1] وابن سينا[2] والطوسي[3] عندهم التوحيد : إثبات وجود مجرد عن الماهية والصفة، بل هو وجود مطلق، لا يعرض لشيء من الماهيات، ولا يقوم به وصف ولا يتخصص بنعت، بل صفاته كلها سلوب واضافات، فتوحيد هؤلاء، هو غاية الإلحاد والكفر، والجحد والكفر، وفروع هذا التوحيد: إنكار ذات الرب والقول بقدم الأفلاك، وأن الله لا يبعث من في القبور، وأن النبوة مكتسبة، وأنها حرفة من الحرف، كالولاية والسياسة. وأن الله لا يعلم عدد الأفلاك ولا الكواكب، ولا يعلم شيئاً من الموجودات المعينة ألبتة، وأنه لا يقدر على قلب شيء من أعيان العالم ولا شق الأفلاك ولا خرقها، وأنه لاحلال ولا حرام، ولا أمر ولا نهي، ولا جنة ولا نار فهذا توحيد هؤلاء[4] .

---

(١) أرسطو : هو الفيلسوف اليوناني أرسطو طاليس ولد في أسطا جيرا سنة ٣٨٤ . قبل الميلاد ، تتلمذ على أفلاطون ، والأسكندر الأكبر كان يحاضر ماشيا فسمى هو وأتباعه المشائين ، وله مؤلفات منها: السماع الطبيعي ، الكون والفساد ، النفس، هلك سنة ٣٢٢ قبل الميلاد . انظر تاريخ الفلسفة اليونانية/ ١١٢ – ٢٠٩ ، الموسوعة العربية الميسرة ٩٢ – ١١٧ ، موسوعة العلوم السياسية / ٣٢٢ – ٣٢٤ .

(٢) ابن سينا : الحسين بن عبد الله بن الحسين بن علي بن سينا ولد سنة ٣٧٠هـ ، كان يقول بأن الرسل عليهم الصلاة والسلام أظهروا للناس في الإيمان بالله واليوم الآخر خلاف ما الأمر عليه في نفسه لينتفع الجمهور ، وإن خاصة النبوة مجرد تخيل الأمور المعقولة في الصور المحسوسة ، من آثاره : الشفاء والنجاة ، والإشارات والتنبيهات ، ومنطق المشرقين والقانون وغيرها ، توفي سنة ٤٢٨هـ انظر نظرية المعرفة عند ابن سينا ٢١٠ – ٢١١ الفلسفة الإسلامية في المشرق/ ٢٧٣ .

(٣) النصير الطوسي : هو محمد بن الحسن نصير الدين الطوسي الفيلسوف الرياضي الفلكي والمتكلم، ولد سنة ٥٩٧هـ في طوس ، وكان يعرف بالخواجة نصير ، ومات ببغداد سنة ٦٧٢هـ كان مستشاراً لهولاكو ، من مؤلفاته : شرح الإشارات والتنبيهات ، وتجريد العقائد والفصول أساس الاقتباس في المنطق . انظر فوات الوفيات ٢/ ١٤٩ – ١٥٢ ، البداية ١٣/ ٢٦٧ – ٢٧٨ الأعلام ٧/ ٢٥٧ – ٢٥٨ .

(٤) مدارج السالكين ٣/ ٤١٥ – ٤١٧ .

وأما الاتحادية فالتوحيد عندهم :

أن الحق المنزه هو عين الخلق المشبه، وأنه سبحانه هو عين وجود كل موجود وحقيقته وماهيته، وأنه آية كل شيء وله فيه آية تدل على أنه عينه .. فالتعدد بوجود اعتبارات وهمية، لا بالحقيقة والوجود، فهو عندهم عين الناكح وعين المنكوح وعين الذابح وعين المذبوح وعين الآكل وعين المأكول .

وأما الجهمية فالتوحيد عندهم :

إنكار علو الله على خلقه بذاته واستوائه على عرشه، وإنكار سمعه وبصره وقوته وحياته، وكلامه وصفاته وأفعاله ومحبته ، ومحبة العباد له، فالتوحيد عندهم: هو المبالغة في إنكار التوحيد الذي بعث الله به رسله وأنزل به كتبه .

وأما القدرية فالتوحيد عندهم:

هو إنكار قدر الله، وعموم مشيئته للكائنات، وقدرته عليها، ومتأخروهم ضموا إلى ذلك توحيد الجهمية فصار حقيقة التوحيد عندهم: إنكار القدر، وإنكار حقائق الأسماء الحسنى والصفات العلى...

وأما الجبرية[1] فالتوحيد عندهم:

هو تفرد الرب تعالى بالخلق والفعل، وأن العباد غير فاعلين على الحقيقة، ولا محدثين لأفعالهم، ولا قادرين عليها، وأن الرب تعالى لم يفعل لحكمة، ولا غاية

---

(١) الجبرية : أحد الفرق الكلامية المتحرفة التي تقول بالجبر ، بمعنى أن العباد يجبرون على أعمالهم ، وأن الله تعالى يخلق أفعالهم على الحقيقة ، ولا دور لهم فيها وإنما تضاف إليهم على سبيل المجاز ، وأول من قال بهذه المقالة الجعد بن درهم وأخذها عن بيان بن سمعان اليهودي ، وأول من أظهرها تلميذة الجهم بن صفوان في أوائل المائة الثانية للهجرة ، والجدير بالذكر هنا أن لفظ الجبر لفظ حديث لم يرد في النصوص الشرعية لما يتضمنه من معاني العجز ، حيث إن العاجز هو الذي يجبر غيره تعالى الله وتقدس على أن يجبر أحداً ،وإنما خلق الله تعالى الفعل وجعل للعبد إرادة ومحبة واختياراً جعلها الله مناط التكليف فالجبر لفظ بدعي . انظر المقالات ١/ ٣٣٨ ، الفرق بين الفرق ٢١١ – ٢١٢ ، الفصل بين الملل والأهواء والنحل ٤/ ٢٠٤ ، التبصير في الدين / ١٠٧ – ١٠٨ ، الملل والنحل ١/ ٨٦ – ٨٨ .

تطلب بالفعل، وليس في المخلوقات قوى وطبائع وغرائز وأسباب، بل ما ثم إلا بمشيئة محضة ترجح مثلاً على مثل من غيرمرجح ولا حكمة ولا سبب ألبته[1]).

فالمتكلمون يجعلون توحيد الألوهية هو توحيد الربوبية[2] وهذا خطأ فاحش فتوحيد الربوبية لا يدخل العبد في الإسلام، فالمشركون كانوا مقرين بتوحيد الربوبية ولم يدخلهم ذلك الإسلام، ولذلك قاتل الرسول عليه الصلاة والسلام المشركين مع أنهم كانوا مقرين بأن الله تعالى وحده الخالق الرازق المتصرف بالأمر كله ، قال الله تعالى : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ الزخرف:٨٧. وقال: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ ﴾ العنكبوت : ٦١. وقال ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ يوسف : ١٠٦. فإن الإيمان الذي أثبته الله لهم في هذه الآية، هو قولهم إن الله يخلقنا ويرزقنا ويحيينا ويميتنا، فهذا إيمان مع شرك لعبادتهم غيره، فهم يقرون ويعترفون بالله وبربوبيته وملكه وقهره، ومع ذلك كانوا يعبدون ويخلصون له أنواعاً من العبادات كالحج والصدقة والذبح والنذر، والدعاء وقت الاضطرار[3] يقول الرسول عليه الصلاة والسلام: (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دمائهم إلا بحق الإسلام)[4].

---

(١) مدارج السالكين ٣/ ٤١٥ – ٤١٧ .

(٢) هذا ما تقرره كل الكتب التي تُدرس في المعاهد الدينية في البلاد الإسلامية إلا القليل النادر بينما ينظر جمهورهم إلى كلام السلف بعين المقت والازدراء فيزعمون أن مذهب السلف أسلم ومذهب الخلف أعلم بالله وأسمائه وصفاته كبرت كلمة تخرج من أفواههم أن يقولون إلا كذبا . انظر اقتضاء الصراط المستقيم/ ٤٦٠ .

(٣) تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد / ٤١ – ٤٢ .

(٤) البخاري في الإيمان ، باب فإن تابوا وأقاموا والصلاة ١/ ٧٠ – ٧١ ، ومسلم في الإيمان باب الأمر بقتال الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ١/ ٢٢ .

المبحث الثاني

المبحث الثاني

أسماء توحيد الألوهية

إن الله عز وجل خلق العباد لعبادته وطاعته كما قال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ الذاريات : ٥٦ وعبادته وطاعته هي توحيد الألوهية ولذا فإن توحيد الألوهية من أهم أنواع التوحيد ولذلك كانت له عدة أسماء منها :

(١) توحيد العبودية أو العبادة[١] :

باعتبار وجوب ملازمة وصف العبودية بكل معانيها للعبد بإخلاص العبادة لله تعالى وتحقيقها في العبد أن يكون عارفاً بربة مخلصاً له جميع عباداته ولا يصرفها لغيره البته ، يقول ابن القيم يرحمه الله (فالسجود والتوكل والإنابة والتقوى والخشية والتحسب والتوبة والنذر والحلف والتسبيح والتكبير والتهليل والتحميد والاستغفار وحلق الرأس خضوعاً وتعبداً والطواف بالبيت والدعاء كل ذلك محض حق الله لا يصلح ولا ينبغي لسواه من ملك مقرب ولا نبي مرسل)[٢] .

(٢) توحيد الإرادة والطلب :

لأن العبد عندما يقوم بأي عمل من الأعمال الظاهرة والباطنة فإنه يريد بذلك وجه الله عز وجل حيث إن العمل لا يقبل إلا بركني القبول وهما الإخلاص والمتابعة ، فإرادة وجه الله هو المراد بالإخلاص فلا يقبل العمل إلا إذا أخلص

---

(١) يقال له توحيد العبادة باعتبارين : فباعتبار اضافته إلى الله يسمى توحيد الألوهية وباعتبار إضافته إلى الخلق يسمى توحيد العبادة ، انظر المفيد على كتاب التوحيد العثيمين/ ١٦ .

(٢) الجواب الكافي ١٨٠ – ١٨١ .

العبد فيه يقول الله تعالى : ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَـٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ۝١٥ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَـٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ هود ١٥ – ١٦ وقال : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ النساء : ١١٦ . فالعبد لا يكون موحداً إلا إذا أراد بعمله المثوبة من الله ومن ثم سمي توحيد الألوهية بتوحيد الإرادة والطلب[1] .

(٣) توحيد القصد :

حيث إن العبد عندما يقوم بأي عمل من الأعمال فأنه يقصد بذلك وجه[2] الله ورضاءه [3] عز وجل وطاعته فالمقصود بالعبادة هو الله عز وجل، لأن العبد لا يستطيع أن يعيش بدون الله، فلذا هو يقصده في كل الحوائج و الملمات، لذا يقول الله تعالى ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ۝١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ الأنعام: ١٦٢.

---

(١) مجموع فتاوى العثيمين مجلد ١/ ٢١ .

(٢) إن صفة الوجة ثابته لله عز وجل نثبتها كما جاءت في الكتاب والسنة من غير تحريف ولا تمثيل ولا تكيف ولا تعطيل ، وهو مذهب أهل السنة والجماعة قال تعالى : ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَـٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾ الرحمن : ٢٧ انظر فتاوى العثيمين ٣/ ٢٣٤ .

(٣) من مذهب أهل السنة والجماعة إثبات صفة الرضا لله عز وجل كما يليق بجلالة ، فالله عز وجل يرضى عن الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، يقول تعالى : ﴿ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ﴾ البينه : ٨ . انظر فتاوى العثيمين ٣/ ٢٣٤ .

يقول ابن القيم يرحمه الله (اعلم أن حاجة العبد إلى أن يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئاً في محبته، ولا في خوفه، ولا في رجائه، ولا في التوكل عليه، ولا في العمل له، ولا في الحلف به، ولا في النذر له، ولا في الخضوع له، ولا في التذلل والتعظيم، والسجود، والتقرب أعظم من حاجة الجسد إلى روحه، والعين إلى نورها بل ليس لهذه الحاجة نظير تقاس به، فإن حقيقة العبد روحه وقلبه، ولا صلاح لها إلا بإلهها الذي لا إله إلا هو، فلا تطمئن الدنيا إلا بذكره، وهي كادحة إليه كدحا فملاقيته ولابدَّ لها من لقائه، ولا صلاح لها إلا بمحبتها وعبوديتها له، ورضاه وإكرامه لها)[1] فلذلك فإن العبد يقصد الله عز وجل بالأعمال جميعها ظاهرها وباطنها أولها وآخرها.

(٤) توحيد العمل أو توحيد الله بأفعال المكلفين :

حيث إن العبادة لا بد أن تكون تشتمل على عمل من الأعمال سواء كانت أعمال مادية أو معنوية ، ظاهرة أو باطنه ، ولا يوحد الله عز وجل إلا المكلف[2] ومن هنا يتضح صحة مذهب أهل السنة والجماعة في تعريفهم للإيمان : بأنه قول باللسان وتصديق بالجنان وعمل بالأركان[3] فالقول باللسان عمل، والتصديق بالجنان عمل، والاعتقاد بالقلب عمل، والأعمال التي يقوم بها العبد عمل وجميعها تصدر من العبد لله عز وجل.

---

(١) طريق الهجرتين وباب السعادتين ٥٧ – ٥٨ .

(٢) التكليف في اللغة : الأمر بما يشق ، عدم الطاقة ، وفي الاصطلاح فإن الحكم التكليفي عند الأصوليين هو خطاب الله المتعلق بأفعال المكلفين بالاقتضاء أو التخيير ، وعند الفقهاء : هو الوصف الشرعي للأفعال الصادرة من المكلفين بناء على طلب الشارع فعلها أو تركها ، أو تخييره بين الفعل والترك . انظر التوضيح لصدر الشريعة ١/ ١٤ ، السبب عند الأصوليين – الدكتور : عبد العزيز بن عبد الرحمن بن علي الربيعة – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية المملكة العربية السعودية – ١/ ٢٧ .

(٣) الإيمان لأبي عبيد القاسم / ٥٦ – ٥٧ ، الإيمان لابن أبي شيبة / ٤٦ .

(٥) توحيد الرسل :

إن توحيد الألوهية هو أصل الدين، ومن أجله أُرسلت الرسل وأُنزلت الكتب يقول شيخ الإسلام يرحمه الله (أما التوحيد الذي ذكره الله في كتابه، وانزل به كتبه وبعث به رسله، واتفق عليه المسلمون من كل ملة فهو كما قال الأئمة: شهادة أن لا إله إلا الله، وهو عبادة الله وحده لا شريك له، كما يبين ذلك قول الله تعالى ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴾البقرة : ١٦٣. فأخبر أنه لا إله إلا إله واحد ولا يجوز أن يتخذ إله غيره فلا يعبد إلا إياه ... وقال تعالى ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى[1] اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ ۚ ﴾ النحل: ٣٦، فبين

---

(١) الهداية لها أربع مراتب وهي مذكورة في القرآن الكريم :

المرتبة الأولى : الهداية العامة ، وهي هداية كل مخلوق من الحيوان والأدمي لمصالحه التي بها قام أمره قال تعالى : ﴿ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ۝ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴾ الأعلى:١-٣، وهذه المرتبة اسبق مراتب الهداية وأعمها .

المرتبة الثانية : هداية البيان والدلالة التي أقام بها حجته على عبادة وهذه لا تستلزم الاهتداء التام ، قال تعالى : ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ ﴾ فصلت : ١٧ يعني بينا لهم ودللناهم وعرفناهم فأثروا الضلالة والعمى .

المرتبة الثالثة : هدى التوفيق والإلهام قال تعالى : ﴿ وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ يونس : ٢٥ ، فعمم بالدعوة خلقه وخص بالهداية من شاء منهم وقال ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ ﴾ القصص : ٥٦ ، مع قوله : ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ الشورى : ٥٢ ، فأثبت هداية الدعوة والبيان ونفى التوفيق والإلهام ، وهذه الهداية الموجبه المستلزمة للاهتداء .

المرتبة الرابعة : الهداية في الآخره إلى طريق الجنة والنار ، قال تعالى : ﴿ ۞ احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ۝ مِن دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْجَحِيمِ ﴾ الصافات : ٢٣ . انظر مفتاح السعادة ١/ ١٦١ – ١٦٤.

سبحانه أنه بهذا التوحيد بعث جميع الرسل، وأنه بعث لكل أمة رسولاً به، وهذا هو الإسلام الذي لا يقبل الله لا من الأولين ولا من الآخرين ديناً غيره[1]) .

يقول الشيخ ابن عثيمين يرحمه الله (الدعوة إلى الله هي سبيل الرسل وآخرهم محمد ﷺ يقول الله تعالى جلَّ وعلا " وقل هذه سبيلي أدعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين" ويقول أيضا عن توحيد الألوهية وهو الذي بُعثت به الرسل وأنزلت به الكتب مع أخويه توحيدي الربوبية، والأسماء والصفات، ولكن أكثر ما يعالج الرسل أقوامهم على هذا النوع من التوحيد وهو توحيد الألوهية بحيث لا يصرف الإنسان شيئاً من العبادة لغير الله سبحانه وتعالى) [2] .

(٦) توحيد الأمر والنهي والإلزام :

حيث إن العبادة هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة، فطاعة الله عز وجل لا تتم إلا بإتباع الأوامر واجتناب النواهي التي نهانا الله عز وجل عنها، حتى نلتزم بما جاء في الكتاب والسنة، فمن اتبع الأوامر واجتنب النواهي والتزم بمنهج القرآن والسنة فقد حقق توحيد الألوهية.

(١) انظر مفتاح دار السعادة ١/ ١٦١ – ١٦٢ التسعينية ضمن الفتاوى / ٢٠٩ .
(٢) مجموع فتاوى ابن عثيمين ١/ ٢٠ – ٢١ ، فتاوى اللجنة الدائمة ٣/ ٢٧٣ .

المبحث الثالث

المبحث الثالث

الأدلة على توحيد الألوهية

قد وردت في القرآن الكريم أدلة تقر بتوحيد الألوهية باحسن تقرير وبأقوى حجة لا يمكن دفعها أبداً، ويمكن حصر هذه الأدلة في خمسة أنواع :

النوع الأول : إلزام المشركين باعترافهم بتوحيد الربوبية ليقروا بتوحيد الألوهية الذي ينكرونه.

النوع الثاني : بيان حال الآلهة التي تُعبد من دون الله في الدنيا والآخرة بصفة تقرر عدم استحقاقها للعبادة.

النوع الثالث : تذكير المشركين بما يكمن في نفوسهم من التوحيد وأنه لا برهان لهم ولا حجة في شركهم.

النوع الرابع : بيان أن الحكم لله وحده شرعاً وجزاءً.

النوع الخامس : إجماع الكتب السماوية على استحقاق الله للعبادة وحده.

النوع الأول : إلزام المشركين باعترافهم بتوحيد الربوبية ليقروا بتوحيد الألوهية الذي ينكرونه : لقد تكرر في القرآن الكريم بيان أن الخالق هو الذي يستحق أن يعبد، وأن المنفرد بالنعم الظاهرة والباطنة هو الذي يستحق أن يعبد دون سواه، فظهر من هذا أن هذا النوع من الأدلة يكون في مسألتين:

المسألة الأولى : العلم بأن الله المنفرد بالخلق والتدبر.

المسألة الثانية : العلم بأنه المنفرد بهذه النعم الظاهرة والباطنة[1]. قال الله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝٢١ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ البقرة : ٢١-٢٢ فقد نهاهم الله تعالى أن يشركوا به شيئاً وأن يعبدوا غيره أو يتخذوا له نداً وعدلاً في الطاعة فبين : (كما لا شريك لي في خلقكم وفي رزقكم الذي أرزقكم وملكي إياكم ونعمتي التي انعمتها عليكم فكذلك فأفردوا لي الطاعة وأخلصوا لي العبادة ولا تجعلوا لي شريكاً وندا من خلقي فإنكم تعلمون أن كل نعمة عليكم مني)[2] ولذلك قررهم الله عز وجل بهذا النوع من التوحيد – أي إذا كنتم أيها المشركين تقرون لله بأنه خالق كل شيء ورازقه فعليكم أن تقروا كذلك لله تعالى بالألوهية وحده وتتقوه ولا تعبدوا غيره – قال تعالى ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ۝٣١ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴾ يونس: ٣١ – ٣٢)[2].

(١) القواعد الحسان لتفسير القرآن – للسعدي / ١٩٣ – ١٩٤ ، تفسير السعدي ١/ ٢٦ .
(٢) جامع البيان ١/ ١٦٣ .

قال ابن جرير[1] يرحمه الله عند قوله (أفلا تتقون) أفلا تخافون عقاب الله على شرككم وادعائكم ربا غير من هذه الصفة صفته وعبادتكم معه من لا يرزقكم شيئاً ولا يملك لكم ضراً ولا نفعاً)[2].

النوع الثاني: بيان حال الآلهة التي تعبد من دون الله في الدنيا والآخرة بصفة تقرر عدم استحقاقها للعبادة:

إن هذا النوع من الأدلة يبين الله جل وعلا فيه أن ما دونه مخلوق مربوب له وأنهم لا يخلقون شيئاً، ولا يملكون شيئاً ومن كانت هذه صفتة فإنه لا يستحق العبادة أبداً، ويبين الله تعالى عدم نفع ما يعبد من دونه من المخلوقات في الدنيا ولا في الآخرة ليؤكد أنها لا تستحق العبادة ويمكن حصر هذا النوع من الأدلة في ثلاثة مسائل :

المسألة الأولى: معرفة ما يعبد من دون الله من المخلوقات وبيان نقصها من جميع الوجوه.

المسألة الثانية : تعجيز المسؤولين من دون الله.

المسألة الثالثة : الإخبار عن التعادي الحاصل بعد البعث.

المسألة الأولى: معرفة ما يعبد من دون الله من المخلوقات وبيان نقصها من جميع الوجوه :[3] قال تعالى ﴿ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ

---

(١) ابن جرير : محمد بن جرير بن يزيد الطبري ، أبو جعفر ، ولد في طبرستان سنة ٢٢٤هـ الإمام الحافظ ، المفسر ، الفقيه ، له عدة مؤلفات منها جامع البيان عن تأويل آي القرآن أخبار الرسل والملوك ، اختلاف الفقهاء ، توفي سنة ٣١٠هـ . انظر الأعلام ٦/ ٩٦ ، تذكرة الحفاظ ١٢/ ٣٥١، طبقات الشافعية ٢/ ١٣٥ – ١٤٠ ، السير ١٤/ ٢٦٧ .

(٢) جامع البيان ٧/ ١١/ ١١٤ .

(٣) القواعد الحسان / ١٧ ، ١٩٤ .

﴿ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ﴾ الفرقان:٣ .ففي هذه الآية تقريع للمشركين بعبادتهم ما دون الله وتنبيه لهم على موضع خطأ فعلهم ببيان أن آلهتهم التي يعبدونها لا تخلق شيئاً بل هي مخلوقة ومع ذلك فهي لا تملك دفع ضر عن نفسها ولا جلب منفعة إليها ولا تملك إماتة ولا إحياء ولا بعثاً فهذه هي صفتها لا تستحق العبادة[1].

ومن الآيات التي تبين ضعف ما يعبدون من دون الله وأنه لا يخلق شيئاً فلا يستحق أن يعبد قوله تعالى ﴿ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴾ يونس: ٣٤

فاتضح أن من يعبد شيئاً مع الله لا يكون قد قدر الله تعالى حق قدره، وفي هذا الدلالة الواضحة على أن الله تعالى ذكر الحجج الدالة على توحيده وصرف العبادة إليه وحده لا شريك له: وأن غيره لا يخلق شيئاً وأنه ضعيف مربوب لله فوجب ألا يصرف إليه شيء من العبادة .

المسألة الثانية : تعجيز المسؤولين من دون الله :[2]

وهذه المسألة وإن كانت داخلة في عموم المسألة قبلها إلا أنه قد ورد إفرادها بالذكر في القرآن الكريم وترد كذلك مرتبطة مع تلك المسألة .

ومن هذه الآيات قولة تعالى ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴾ الإسراء : ٥٦ .

(١) جامع البيان ١٠/ ١٨٠ / ١٨١ .
(٢) رسالة الشرك ومظاهره / ١٩٣ .

في هذه الآية تعجيز للمدعوين من دون الله سواء كانوا ملائكة أو جنا أو إنساً أو أصناماً أو غير ذلك إذا أراد الله إنزال ضر أن يدفعوه أو يحولوه إلى نفع أو يحولوا الضر إلى آخرين[1] ولا شك أن المدعوين من دون الله عاجزون عن ذلك إذ المقدر هو الله تعالى، فلا يقدر أحد أن يغير ما قدره الله، وبهذا يعلم أن أولئك لا يجوز صرف شيء من العبادة إليهم إذ المستحق لأن يعبد هو الذي لا يعجزه شيء وهو الله سبحانه وتعالى.

وقد يذكر الله عز وجل أن التعجيز يقع في الآخرة أيضاً، فمن ذلك قول الله تعالى ﴿ وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا۟ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ﴾ الكهف : ٥٢ .

ومن الآيات الجامعة في هذا الباب قول الله تعالى ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ﴾ سباء : ٢٢-٢٣ فهنا يأمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يقول للمشركين ادعوا الذين زعمتموهم شركاء الله ليجلبوا لكم نفعاً أو يدفعوا عنكم ضراً فإنهم لا يستطيعون ذلك وهذا يفيد عدم استحقاقهم للعبادة[2].

المسألة الثالثة : الإخبار عن التعادي الحاصل بعد البعث :

(١) جامع البيان ٩/ ١٥/ ١٠٣ ، تفسير ابن كثير ٣/ ٤٦ ، أضواء البيان ٣/ ٥٩٨ – ٥٩٩ .
(٢) جامع البيان ١٢/ ٢٢/ ٨٨ – ٨٩ ، الصواعق المرسلة ٢/ ٤٦١ – ٤٦٢ .

وهذا من تمام عدم نفع ما يعبدون من دون الله، وفيه حسم لمادة الشرك بالله إذ أنه مع عدم نفعه يضر صاحبه في الآخرة، فإن من يعبد غير الله تعالى يتبرأ منه معبوده يوم القيامة وينقلب ضدا له وتنقطع بينهما أسباب المودة مع استحكام العداوة ولعن بعضهم بعضاً قال تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ۝١٣ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾ فاطر : ١٣-١٤

فالآيات أفادت عدم نفع ما يعبد من دون الله، بل أفادت وقوع العداوة والبغضاء مما يدل على بطلان عبادتها، وأن المستحق لأن يعبد هو الله وحده ولا شريك له.

النوع الثالث : تذكير المشركين بما يمكن في نفوسهم من التوحيد وأنه لا حجة ولا برهان لهم في شركهم .

فهذا النوع فيه مسألتان :

المسألة الأولى : تذكير المشركين بما يمكن في نفوسهم من التوحيد.

المسألة الثانية : بيان أن لا حجة للمشركين ولا برهان لهم في شركهم.

المسألة الأولى : [1] تذكير المشركين بما يمكن في نفوسهم من التوحيد :

فهذا يحدث في أوقات الشدة، فإن المشركين كانوا إذا ركبوا في الفلك واشتدت الرياح هيجانا وتلاطمت الأمواج وأوشكوا على الغرق أيقنوا أنه لا

(١) رسالة الشرك ومظاهره / ١٩٤ .

ينجيهم إلا الله، فعند ذلك يتركون أصنامهم ويلجئون إلى الله وحده، فيحتج الله عليهم بأنه يجب أن يفردوه بالدعاء وحده في السراء والضراء فمن ذلك قوله تعالى ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم ۖ مَّتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ يونس : ٢٢ – ٢٣ .

إن الله ذم الكفار وعاتبهم بأنهم في وقت الشدائد والأهوال خاصة يخلصون العبادة له وحده ولا يصرفون شيئاً من حقه لمخلوق[1]، وفي وقت الأمن والعافية يشركون به غيره في حقوقه الواجبة له وحده التي هي عبادته وحده في جميع أنواع العبادة ويعلم من ذلك أن بعض المتسمين بالإسلام أسوأ حالاً من عبدة الأوثان فإنهم إذا داهمتهم الشدائد وغشيتهم الأهوال والكروب التجئوا إلى غير الله ممن يعتقدون فيه الصلاح، في الوقت الذي يخلص فيه الكفار العبادة لله، مع أن الله جل وعلا أوضح في غير موضع أن إجابة المضطر وإنجاءه من الكرب من حقوقه التي لا يشاركه فيها غيره[2].

(١) أضواء البيان ٣/ ٦١٤ – ٦١٥ .
(٢) فتح القدير ٢/ ٤٣٥ .

المسألة الثانية : بيان أن لا حجة للمشركين ولا برهان لهم في الشرك:[1].

فهذا نوع من الأدلة العامة التي تبطل على المشركين عبادتهم لغير الله وتلزمهم بإفراد العبادة لله جل وعلا، فإن المشركين قد طُلبوا بإقامة الدليل والبرهان على شركهم فعجزوا عن ذلك وأخبر الله أنهم يستندون في ذلك على تقليد آبائهم الضالين ويتبعون الظن الذي لا يدل على الحق بأي حال، ثم إن الله تعالى يخاطب المشركين بأسلوب فيه ترهيب عسى أن يعودوا إلى صوابهم فيخبرهم أنهم سيسألون بالحجة والبرهان على شركهم يوم القيامة فيعجزون هناك، ويعلمون علم اليقين أنهم كانوا على باطل ويندمون على شركهم وتعنتهم ولآت حين مندم. فمن الآيات الدالة على أنه لا حجة للمشركين في شركهم سوى الظن قول الله تعالى ﴿ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ ۗ وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾ يونس :٦٦ .

فأخبر الله تعالى أن له ملك السموات والأرض وأن المشركين يعبدون الأصنام وهي لا تملك شيئاً ولا ضراً ولا نفعا ولا دليل لهم على عبادتها بل إنما يتبعون في ذلك ظنونهم وتخرصهم وكذبهم وإفكهم[2] ، ومن هذه الآيات ما قصه الله عز وجل عن أصحاب الكهف فقال ﴿ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍ ۖ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴾

(١) أضواء البيان ٤/ ٣٠ – ٣٢ .
(٢) تفسير ابن كثير ٢/ ٤٢٤ .

الكهف :١٥٠، قال ابن جرير يرحمه الله في قوله آلهة لو لا يأتون عليهم بسلطان بين (هلا يأتون على عبادتهم أياها بحجة بينة) [١] (فلولا) في هذه الآية الكريمة للتحضيض وهو الطلب بحث وشدة والمراد بهذا الطلب التعجيز لأنه من المعلوم أنه لا يقدر أحد أن يأتي بسلطان مبين على جواز عبادة غير الله تعالى، والمراد بالسلطان البين : الحجة الواضحة [٢] .

النوع الرابع : بيان أن الحكم لله وحده شرعاً وجزاءً:

من أنواع الأدلة لتقرير توحيد الألوهية بيان أن الحكم لله تعالى دون سواه وحكمه تعالى شامل للحكم الشرعي الأمري، والحكم الجزائي القضائي وهذا من ربوبية الله تعالى، فإنه جل وعلا قد حكم شرعا قأمر أن تكون العبادة له وحده دون سواه، ونهي عن عبادة غيره، وبين بطلان عمل المشركين وصحة عمل الموحدين، وقد بين الله حكمه الجزائي القضائي من نصره لأوليائه الموحدين في الدنيا وإثابتهم في الآخرة، وعذابه الدنيوي و الآخروي لأعدائه المشركين به، وكل ذلك للتنفير من عبادة غيره وإفراده وحده بالعبادة فتبين من هذا العرض أن هذا النوع شامل لمسائل:

المسألة الأولى من حكم الله الشرعي [٣] : الأمر بعبادته وحده لا شريك له وتوجيه المشركين إلى سؤاله وحده .

المسألة الثانية من حكمه الشرعي [٤]: حكمه ببطلان عمل المشركين وصلاح عمل الموحدين.

---

(١) جامع البيان ٩/ ١٥/ ٢٠٨ .
(٢) أضواء البيان ٤/ ٣١ .
(٣) القواعد الحسان للسعدي / ١٨ ، رسالة الشرك ومظاهره / ١٩٥ .
(٤) القواعد الحسان / ١٧ .

المسألة الثالثة من حكمه الجزائي القضائي [1]: إثابته لأوليائه الموحدين ونصرهم في الدنيا والآخرة وحكمه بنقيض ذلك على المشركين .

أما المسألة الأولى[2] : وهي الأمر بعبادة الله جل وعلا وتوجيه المشركين إلى سؤاله وحده، فإن الله تعالى قد قال ﴿ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ يوسف٤٠، وقال الله تعالى ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٦٩﴾ وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ القصص:٦٨-٧٠.

فبين الله تعالى أن له الخلق و الاختيار، فهو يخلق ما يشاء، ولا أحد يشاركه في ذلك، ولذلك نزه نفسه عن شرك المشركين[2] ، ثم بين الله تعالى انفراده بالحكم وهو شامل لكل قضاء يقضيه فالحلال ما أحله تعالى والحرام ما حرمه والدين ما شرعه والقضاء ما قضاه[3]. وأن مما قضاه الله تعالى وصية وأمراً: عبادته وحده لا شريك له كما قال تعالى ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾ الإسراء:٢٣

(١) مدارج السالكين ٣/ ٤٥٦ ، القواعد الحسان للسعدي / ١٩٥ .
(٢) تفسيرابن كثير ٣/ ٣٩٧ .
(٣) أضواء البيان ٤/ ٨٢ .

المسالة الثانية: ومن حكمه الشرعي حكمه ببطلان عمل المشركين وصلاح عمل الموحدين فمن حكم الله الشرعي حكمه بصلاح عمل الموحدين وحسنه وذلك يوجب تقديمه على كل عمل، فمن الآيات في هذا الباب قول الله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴾ النساء:١٢٥.

قال ابن جرير يرحمه الله(وهذا قضاء من الله جل ثناءه للإسلام وأهله بالفضل على سائر الملل غيره وأهلها)[1].

وقد حكم الله بضلال المشركين وعملهم فبين أنه لأأضل من المشركين، ولا ضلال أبعد من ضلال عملهم، فهذا حكم شرعي يوجب ترك الشرك فقال ﴿ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴾ النساء: ١١٦، وقال تعالى ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴾ الأحقاف : ٥.

المسألة الثالثة : ومن حكمه الجزائي إثابته لأوليائه الموحدين ونصرهم في الدنيا والآخرة والعمل بنقيض ذلك مع المشركين .

فإن الله تعالى حكى عن إهلاكه للمشركين المكذبين للرسل وإنجائه لأوليائه من الموحدين من الرسل وأتباعهم، وأبقى لنا وسائل لنتعرف على صدق ذلك بما

(١) جامع البيان ٤/ ٥/ ٢٩٧ .

نراه ونسمعه بطرق قطعيه، ثم يذكر أن في ذلك آيه أي علامة على صحة استحقاقه للعبادة وأن عبادة غيره باطلة لا نفع فيها بل ضرر .

وقد قص الله عز وجل في سورة الشعراء قصص الرسل مع أقوامهم وأنهم جاءوهم بالتوحيد، فيقع التكذيب من أكثر الناس فينزل الله عليهم عذابه بسبب ذلك ويذكر انجائه للموحدين ثم يقول إن في ذلك لآية وما كان أكثر هم مؤمنين ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ الشعراء:١٩١، والآية: العلامة أي علامة واضحة على صحة استحقاقه العبادة وبطلان عبادة غيره .

النوع الخامس : إجماع الكتب السماوية على استحقاق الله للعبادة وحده :[1]

فإن الرسل جميعهم قد جاءوا بإخلاص الدين كله لله واتفقوا على ذلك وهذه حجة بر هانيه في أن الله هو المستحق لأن يعبد وحده لا شريك له، وأنه لا منازع له في ذلك، ولذلك يطالب المشركين بأن يذكروا ما عندهم من براهين توجب العبادة لغير الله سواء كانت سمعية أو عقلية، فلم يستطيعوا إثبات ذلك .

أما الآيات في هذه المسالة فمنها قول الله تعالى ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ النحل: ٣٦، وقال ﴿ وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴾ الزخرف: ٤٥، وهذا يوضح بطلان ما عليه المشركون من الشرك بالله تعالى، فإنه لا مستند لهم في إشراكهم بالله غيره من دليل سمعي ولا عقلي، بل الأدلة كلها السمعية والعقلية

(١) تفسير ابن كثير ٢/ ٤٢٤ ، أضواء البيان ٤/ ٣٠-٣٢ .

على خلاف افتراء هم وزعمهم، فالذي خلق هو الذي يعبد وهو الذي يشكر على ما أنعم، وهو الآمر الناهي فيلتزم أمره، ونهيه وذلك الذي اتفقت عليه الرسل فالرسل كلهم على تباعدهم في الأزمنة والأمكنة مع كمال صدقهم وظهور الآيات والبراهين الدالة على صدقهم، اتفقوا، على وجوب عبادة الله وحده وتحريم الشرك به، فآيات الرسل دالة على صحة دعواهم النبوة والرسالة وعلى وحدانية الله، قال الله تعالى مبينا معجزة القرآن ودلالتها ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ هود:١٣-١٤.

فبين الله أنه بالآية تثبت الرسالة والوحدانية واتفاق الرسل على هذا المبدأ دليل آخر على وجوب عبادة الله وحده وترك عبادة غيره .

وجه دلالة العقل والنقل على توحيد الألوهية :

وجه دلالة العقل على ذلك هو العلم بحسن التوحيد وقبح الشرك فالعقل يدرك حسن عبادة الله الذي خلق فأحسن خلقه مع اتصافه بصفات الكمال وتنزهه عن صفات النقص، فهو المحسن إلى خلقه بأنواع النعم والمتفضل عليهم بأنواع الفضائل، فكل ذلك يدل على حسن عبادته رغبة فيما عنده من الخير، والعقل كذلك يدرك قبح عبادة غير الله، إذ كل من هو دون الله مخلوق مر بوب فقير إلى ربه، لا يملك شيئاً، فكيف يعطى شيئاً لا يستحقه ويساوى بالخالق المنعم !، خاصة وأن النفوس مفطورة على الإقرار بالله والميل إلى ما ينفع ويرجى نفعه، وأما السمع

فأنه دال على ما تقدم من حسن التوحيد وقبح الشرك ويزيد على دلالة العقل بإثبات العقاب على ترك التوحيد والثواب على تحقيقه .

وأدلة القرآن الكريم دالة على أن العقل يعلم حسن التوحيد وقبح الشرك دون إثبات الجزاء فمن ذلك :

الأول: أنه قد ورد في القرآن ضرب الأمثلة على بطلان الشرك وهي مقاييس عقلية، فلو لم يكن العقل مدركاً لقيمة وحسن التوحيد لما ضرب الله هذه الأمثلة ولا كتفى بالأمر بتوحيده والنهى عن الشرك به .

ومن الآيات الواردة بضرب الأمثلة قول الله تعالى ﴿ ۞ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا ۖ ﴿٧٥﴾ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ ۖ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ النحل : ٧٥-٧٦، فالمثل الأول : مثل الكافر والمؤمن والثاني مثل ضربه الله ليبين عدم استحقاق غيره للعبادة بضعفه وعدم قدرته وعدم فهمه وعقله، وأما الله سبحانه فهو الذي يأمر بالعدل وهو التوحيد [١]

الثاني : ما أقامه الله من الأدلة العقلية لا ستحقاقه للعبادة وحده لا شريك له كتفرده بالخلق والتدبير والرزق [٢] وعدم استحقاق غيره لذلك[٣] .

---

(١) تفسير الطبري ٨/ ١٤/ ١٥٠ – ١٥١ ، تفسير البغوي ٥/ ٣٣ .
(٢) القواعد الحسان/ ١٩٣ ، تفسير السعدي ١/ ٢٦ .
(٣) جامع البيان ٥/ ٧/ ١٦١/ ٢٩٩ ، أضواء البيان ٧/ ٦١٨- ٦٢١ .

فلو لم يكن فيما أقامه من أدله عقلية فائدة لاكتفي بالأمر بالتوحيد والنهي عن الشرك دون أن يلزمهم باعترافهم بتوحيد الربوبية ليقروا له بتوحيد الألوهية .

وقد تقدم ما أبقاه الله من أدلة عقلية يراها ويسمعها الناس تدل على قبح الشرك من إهلاكه عادا وثمود وإنجائه للموحدين[1] كما قال تعالى ﴿ وَعَادًا وَثَمُودَاْ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمْ ﴾ العنكبوت :٣٨ ، وما ذكره بعد إهلاكه للمشركين وإنجائه للموحدين بقوله ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ الشعراء :٨-٩. والآية هي العلامة الدالة على ما هي علامة له، فهذا الخبر متضمن لدليل عقلي وهو: لو كان ما عليه المشركين صحيحاً لما أهلكهم الله، ولو كانت عبادة الآلهة التي عبدت من دون الله صحيحة لنفعت أصحابها بكف العذاب ودفعه، وقد قال الله تعالى عن إبراهيم عليه السلام ﴿ أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ الصفات : ٨٦ – ٨٧ ، إلى قوله ﴿ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ الصافات :٩٥-٩٦، فخطاب إبراهيم عليه السلام لقومه خطاب عقلي وهو: ما ظنكم بربكم إذا لقيتموه يوم القيامة وقد عبدتم غيره أن يفعل بكم، وما ظن به ظن السوء حتى عبدتم غيره مع أن الأصنام التي عبدوها لم تدفع عن نفسها ضراً إذا قام بتحطيمها، وهي كذلك مخلوقة مربوبة مثل من يعبدها بل أقل شأناً ! فكيف يستقيم عقل من يعبدها؟ يقول شيخ الإسلام يرحمه الله (فهذا كله يبين قبح

(١) اقتضاء الصراط المستقيم ١/ ٤٤٠ – ٤٤٢ ، ٢/ ٦٧٤ ، تيسر العزيز الحميد / ٢٠ .

ما كانوا عليه قبل النهي فلولا أن حسن التوحيد وعبادة الله وحده لا شريك له وقبح الشرك ثابت في نفس الأمر معلوم بالعقل لم يخاطبهم بهذا إذ كانوا لم يفعلوا شيئاً يذمون عليه)[1]

الثالث : مطالبة الله المشركين بالدليل العقلي والسمعي على شركهم وفي ذلك يقول الله تعالى ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ ۖ ٱئْتُونِى بِكِتَـٰبٍ مِّن قَبْلِ هَـٰذَآ أَوْ أَثَـٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴾ الأحقاف:٤

يقول ابن القيم يرحمه الله(فطالبهم بالدليل السمعي والعقلي)[2]، أما مطالبته إياهم بالدليل العقلي وهو في قوله "أروني ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك في السموات" دليل على أن العقل يعلم بطلان صرف شيء من العبادة لغير الله، إذ العابد إنما يرجو من يعبده نفعا أو دفع ضر عنه والذي لا يخلق ولا يملك شيئاً لا استقلالا ولا شركة ضعيف فقير عاجز لا يغني شيئاً فلم يستحق أن يعبد .[3]

ومع كل هذه الأدلة النقلية والعقلية فإن العقاب على ترك التوحيد لا يكون إلا بعد ورود الشرع، كما قال ابن القيم يرحمه الله(إن العقاب على ترك هذا الواجب يتأخر إلى حين ورود الشرع كما دل عليه قوله تعالى ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ

(١) الفتاوى ١١/ ٦٨١ – ٦٨٢ .
(٢) الصواعق المرسلة ٢/ ٤٦٥ .
(٣) قاعدة في المحبة لشيخ الإسلام ٢/ ٢٩٣ ، مدارج السالكين ٣/ ٤٥٣ – ٤٥٤ .

حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولاً ﴾ الإسراء:١٥ ، وقوله ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهۡلِكَ ٱلۡقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبۡعَثَ فِيٓ أُمِّهَا رَسُولاً يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِنَاۚ وَمَا كُنَّا مُهۡلِكِي ٱلۡقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهۡلُهَا ظَٰلِمُونَ ﴾ القصص: ٥٩ ، فهذا يدل على أنهم ظالمون قبل إرسال الرسل وأنه لا يهلكهم بهذا الظلم قبل إقامة الحجة عليهم) [١] وبهذا يتضح خطأ المعتزلة في اعتقادهم التحسين والتقبيح في الشرع .

(١) مدارج السالكين ٣/ ٤٥٣ – ٤٥٤ .

المبحث الرابع

المبحث الرابع

علاقة توحيد الألوهية بتوحيد الربوبية والأسماء والصفات

كما ذكر في السابق أن توحيد الربوبية يستلزم توحيد الألوهية كما قال تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ البقرة : ٢١-٢٢

فالله سبحانه وتعالى يستحق العبادة وحده لأنه هو الخالق وحده وبذلك يتم التلازم بين توحيد الربوبية والألوهية ، وأما توحيد الألوهية فإنه يقتضي توحيد الربوبية والأسماء والصفات ، فالربوبية هو المقدمة للألوهية والخطوة الأولى التي توصل إليه، فإن من عبد الله وحده ولم يشرك به شيئاً، لابد أن يكون قد اعتقد أنه هو ربه ومالكه الذي لا رب له غيره، ولا مالك له سواه، ومن هنا يتضح القول الفصل وهو أن توحيد الربوبية[1] لا يتضمن توحيد الألوهية بل العكس، فمن لا يقدر على أن يخلق يكون عاجزاً، والعاجز لا يكون ولا يصلح أن يكون إلهاً، قال

---

(١) إن توحيد الربوبية يستلزم توحيد الألوهية ، وتوحيد الألوهية يتضمن توحيد الربوبية عند الانفراد ، وهذا لا يمنع أن يختص كل واحد منهما بمعنى عند الاقتران كما في قوله تعالى : ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ﴾ فجمع بين الاسمين اسم الإله واسم الرب . الفتاوى ١٠/ ٢٨٤ .

تعالى ﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ النحل: ١٧، وقوله تعالى ﴿ قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴾ الإسراء :٤٢، فكفار قريش لم يقولوا إن العالم له صانعان، بل جعلوا معه آلهة اتخذوهم شفغاء وقالوا ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾ الزمر :٣. فلذلك هم يتوجهون بالنصيب الأوفر [١] من العبادة لله عز وجل [٢] لعلمهم بأنه مالك لكل شيء فالنصيب الأوفى من العبادة تكون له ولذلك كانوا يقرون ويعترفون بأنهم ما يعبدون غيره إلا لطلب القربى من الله تعالى كما قال سبحانه ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾ الزمر :٣

وأما علاقة توحيد الألوهية بالأسماء والصفات، فإن توحيد الأسماء والصفات شامل لتوحيد الألوهية، فتوحيد الأسماء والصفات يقوم على إفراده سبحانه وتعالى بكل ماله من الأسماء الحسنى والصفات العليا التي لا تنبغي إلا له ومن جملتها كونه إلهاً واحداً لا شريك له في إلهيته ، وكذلك لفظ الجلالة (الله) لا يطلق إلا عليه وحده فهو صاحب الإلهية على جميع خلقه [٣] ، ومن هنا ظهرت علاقة توحيد الألوهية بالأسماء والصفات .

وبالجملة فإن أنواع التوحيد الثلاثة مرتبط بعضها ببعض ويكمل بعضها بعضاً ولا ينفع أحدها دون الآخر [٤] .

---

(١) لذلك كانوا في التلبية يقولون : لبيك اللهم لبيك . لبيك لا شريك لك إلا شريك واحد ملكته ولم يملكك .

(٢) درء تعارض العقل والنقل ٩/ ٣٤٩ – ٣٥٠ ، زاد المسير / ٣٨ .

(٣) الفتاوى ١٠/ ٢٨٤ .

(٤) تيسير العزيز الحميد / ٣٣ .

فإن توحيد الألوهية يتضمن توحيد الربوبية قال تعالى ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ۞ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾ وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا۟ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ ۚ فَتَمَتَّعُوا۟ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا۟ بِهِۦ يُشْرِكُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا۟ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴾ الروم :٣٠-٣٦، فمن لا يقدر على أن يخلق يكون عاجزاً والعاجز لا يصلح أن يكون إلهاً، وإن من أقر بتوحيد الربوبية فإن ذلك يستلزم توحيد الألوهية فالأول دليل على الثاني قال تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾البقرة: ٤٦، وإن من علم أن الله يتصف بالأسماء الحسنى والصفات العلا فإنه هو الذي يستحق العبادة، فإذا علم العبد بأن الله هو الخالق والرازق والمحي والمميت، وأنه لا خالق إلا الله، وأنه هو الذي يأتي العباد بما ينفعهم ويدفع عنهم ما يضرهم ولا شريك له في ذلك توجه له بالعبادة، قال تعالى ﴿ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴾ النمل ٦٠[1].

(١) انظر تفسير الطبري ٢٠/ ٣-٦ ، تفسير أبي السعود ٦/ ٢٩٤ .

المبحث الخامس

المبحث الخامس

التوحيد الذي جاءت به الرسل

إن توحيد الألوهية وهو إفراد الله سبحانه وتعالى بالعبادة بأن لا يتخذ الإنسان مع الله أحداً يعبده ويتقرب إليه كما يعبد الله تعالى ويتقرب إليه، وهذا النوع من التوحيد هو الذي بُعُثت به الرسل وأُنزلت به الكتب، يقول الإمام الصنعاني[1] يرحمه الله (إن رسل الله وأنبياءه من أولهم إلى أخرهم بعثوا لدعاء العباد إلى توحيد الله بتوحيد العبادة، وكل رسول أول ما يقرع به أسماع قومه (يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره) (أن لا تعبدوا إلا الله) (أن اعبدوا الله واتقوه واطيعون) وهكذا الذي تضمنه قول لا إله إلا الله، فإنما دعت الرسل أممها إلى قول هذه الكلمة واعتقاد معناها لا مجرد قولها باللسان، ومعناها هو إفراد الله بالألوهية والعبادة، والنفي لما يعبد من دونه والبراءة منه، وهذا الأصل لامريه فيما تضمنه، ولا شك فيه وفي أنه لا يتم إيمان أحد حتى يعلمه ويحققه[2]) فهذا التوحيد هو أول الدين وآخره، وباطنه وظاهره، وهو أول دعوة الرسل عليهم الصلاة والسلام وآخرها فقال تعالى مخبراً عن نوح عليه السلام ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝ أَن لَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴾

---

(١) الصنعاني : هو السيد محمد بن إسماعيل بن صلاح الأمير الكحلاني الصنعاني ، ولد سنة ١٠٥٩هـ ، برز في العلوم الشرعية ، كان ينفر من التقليد ويميل إلى الاجتهاد ، كان موافقا لأراء الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، ويدعو إلى السلفية الخالية من الشرك ، من مؤلفاته إرشاد النقاد إلى تيسير الاجتهاد ، إسبال المطر لشرح نخبة الفكر ، تطهير الاعتقاد ، توضيح الأفكار شرح تنقيح الأنظار وغيرها كثير . انظر تطهير الاعتقادعن ادران الإلحاد .

(٢) تطهير الاعتقاد / ٣١ .

هود: ٢٥ – ٢٦ ، وقال عن هود عليه السلام ﴿ ۞ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ الأعراف : ٦٥.

فقد تكررت هذه الكلمة وهذه الدعوة على السنة جميع الأنبياء والرسل، ثم أمر الله تعالى محمداً ﷺ بها فقال ﴿ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝١١ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ الزمر : ١١-١٢، ولأهمية هذا النوع من التوحيد ولأنه لب دعوة الرسل، ولأن نزاع المشركين إنما كان في هذا النوع، لهذا كله كانت العناية به في القرآن الكريم فجميع الآيات القرآنية إما أمر به، أو بحق من حقوقه، أو نهي عن ضده، أو إقامة حجة عليه، أو بيان جزاء أهله في الدنيا والآخرة، أو بيان الفرق بينهم وبين المشركين[١].

ومن هنا يتضح زعم وكذب بعض أهل الأهواء وزعمهم بأن التوحيد الذي جاء به الرسل هو توحيد الربوبية فأهل الكلام التوحيد عندهم : هو القدرة على الاختراع والخلق[٢] فمعنى لا إله إلا الله لا خالق إلا الله، فتوحيد الألوهية عندهم هي القدرة على الاختراع والخلق.

---

(١) القواعد الحسان / ١٩٢ .

(٢) إن الأشاعرة تعتقد أن التوحيد الذي جاء به الرسل هو توحيد الربوبية لذلك يقولون : إن الله واحد في أفعاله لا شريك له وإن الله رب كل شيء وخالقه ، وقد فند شيخ الإسلام يرحمه الله كلامهم بقوله (وهذا معنى صحيح وهو حق ، وهو أجود ما اعتصموا به من الإسلام في اصولهم حيث اعترفوا فيها بأن الله خالق كل شيء ومربية ومدبرة) والخطأ الذي وقع فيه الأشاعرة هنا هو أنهم فهموا أن هذا هو التوحيد الذي دعت إليه الرسل ، وأنه المقصود بشهادة أن لا إله إلا الله ، ومن المعلوم أن هذا التوحيد قد اقر به المشركون ، ولم ينكره أحد من بني آدم ولكن غاية ما يقال : (إن المعتزلة وغيرهم جعلوا بعض الموجودات خلقا لغير الله ، كأفعال العباد ، ولكنهم يقرون بأن الله خالق العباد وخالق قدرتهم وإن قالوا : إنهم خالقوا أفعالهم) انظر التدمرية / ١٨٢ – ١٨٣ .

يقول الشيخ محمد بن عبدالوهاب يرحمه الله (وتوحيد الألوهية هو الذي وقع فيه النزاع في قديم الدهر وحديثه، وهو توحيد الله بأفعال العباد كالدعاء، والرجاء والخوف، والخشية، والاستعانة، والمحبة، والإنابة، والنذر، والذبح، والرغبة والرهبة، والخشوع، والتذلل، والتعظيم) [1]

(١) الدرر السنية في الأجوبة النجدية ٢/ ٣٥ .

المبحث السادس

المبحث السادس

الإلحاد في توحيد الألوهية

إن حد وتفسير وأركان توحيد الألوهية هو أن يعلم العبد ويعترف على وجه العلم واليقين أن الله هو المألوه وحده المعبود على الحقيقة، وإن صفات الإلهية ومعانيها ليست موجودة بأحد من المخلوقات، ولا يستحقها إلا الله تعالى [1].

ولذا كان لتوحيد الألوهية بعض الأمور التي تناقضه من أهمها :

(١) الشرك في العبادة :

الشرك في اللغة : الشين والراء والكاف أصلان : أحدهما يدل على مقارنة وخلاف انفراد، والآخر يدل على امتداد واستقامه.

فالأول الشركة وهو أن يكون الشيء بين اثنين لا ينفرد به أحدهما، ويقال شاركت فلان في الشيء: إذا صرت شريكه، وأشركت فلانا: إذا جعلته شريكاً لك قال الله تعالى في قصة موسي ﴿ وَأَشْرِكْهُ فِيٓ أَمْرِى ﴾ طه : ٣٢ ، ويقال في الدعاء اللهم أشركنا في دعاء المؤمنين، أي اجعلنا لهم شركاء في ذلك، وشركت الرجل في الأمر أشركه.

وأما الأصل الآخر فالشرك: لقم الطريق وهو شراكه أيضاً، وشراك النعل مشبه بهذا، ومنه شرك الصائد سمي بذلك لامتداده.

فالشرك في اللغة يدور حول : عدم الانفراد، عدل شيء بشيء آخر والامتداد.

الشرك في الاصطلاح :

* الشرك : إسناد الأمر المختص بواحد إلى من ليس معه أمره[2].

---

(١) الحق الواضح المبين في شرح توحيد الأنبياء والمرسلين / ٥٧ .
(٢) التوقيف على مهمات التعاريف / ٤٢٨ .

* وعرفه شيخ الإسلام يرحمه الله بقوله (أن تعدل بالله تعالى مخلوقاته في بعض ما يستحقه وحده، فإنه لم يعدل أحد بالله شيئاً من المخلوقات في جميع الأمور فمن عبد غيره، أو توكل عليه فهو مشرك به)[1] .
* وعرفه الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ[2] بقوله (الشرك قد عرفه النبي ﷺ بتعريف جامع، كما في حديث ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال يا رسول أي الذنب أعظم؟ قال: (أن تجعل الله نداً وهو خلقك)[3] والند المثل والشبيه، فمن صرف شيئاً من العبادات لغير الله فقد أشرك به شركاً يبطل التوحيد وينافيه[4] .

فكل اعتقاد أو قول أو عمل ثبت أنه مامور به من الشارع، فصرفه لله وحده توحيد وإيمان وإخلاص، وصرفه لغيره شرك وكفر[5].

فلذا من صرف شيئاً من العبادة القولية كالدعاء والاستعاذة والاستعانة والاستجارة لغير الله فقد أشرك[6]، وإن لم يعتقد فيمن قصده تدبيراً، أو تأثيراً، أو

---

(١) الاستقامة ١/ ٣٤٤ .
(٢) الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب ، ولد في الدرعية سنة ١٢٢٥هـ ، ودرس في الأزهر مختلف العلوم وكان عالماً محققاً له رسائل ومؤلفات وشعر ، توفي بالرياض سنة ١٢٩٣هـ انظر علماء نجد ١/ ٦٣ ، مشاهير علماء نجد / ٩٢ .
(٣) سبق تخريجه .
(٤) الدرر السنية ٢/ ١٥٣ .
(٥) القول السديد / ٤٣ ، الحق الواضح المبين / ٥٩ .
(٦) بذلك يتضح خطأ من أخرج العمل عن مسمى الإيمان ، يقول شيخ الإسلام يرحمه الله (وإذا قام بالقلب التصديق به والمحبة لزم ضرورة أن يتحرك البدن بموجب ذلك من الأقوال الظاهرة والأعمال الظاهرة ، فما يظهر على البدن من الأقوال والأعمال هو موجب ما في القلب ولازمه، ودليله ومعلومه ، كما أن ما يقوم بالبدن من الأقوال والأعمال له أيضاً تأثير فيما في القلب ، فكل منهما يؤثر في الأخر ، لكن القلب هو الأصل والبدن فرع له ، والفرع يستمد من الأصل ، والأصل يثبت ويقوى بفرعه) الإيمان الأوسط – مجموع الفتاوى ٧/ ٥٣٧ – ٥٤١ .

خلقاً فمشركوا العرب الذين قاتلهم رسول الله ﷺ لم يكونوا يقولون عن معبوداتهم أنها تخلق، ترزق، وتدبر أمر من قصدها، بل كانوا يعلمون أن ذلك لله وحده كما حكاه عنهم في غير موضع من كتابه بل كانوا يدعونها، ويستغيثون بها مع إقرارهم بأن الله هو المدبر الخالق الرازق[1]، وكذلك من صرف شيئاً من العبادة الفعلية لغير الله كالذبح والنذر أو السجود، أو الركوع، أو الطواف فقد أشرك يقول شيخ الإسلام يرحمه الله (فالإله هو الذي يألهه القلب بكمال الحب والتعظيم والإجلال والإكرام، والخوف الرجاء ونحو ذلك)[2] ومن المعلوم أن الذبح والنذر والسجود والركوع والطواف ونحوها عبادات تجمع بين الخضوع والخوف والإجلال، والرجاء والمحبة والقرب، فإذا صرفت هذه العبادات لله وحده فهذا إيمان وتوحيد وإذا صرفت لغيره فهذا كفر وتنديد.

ومن هنا يظهر غلط مرجئه المتكلمين ومن تبعهم عندما زعموا أن شرك التقرب والنسك ليس شركاً بإطلاق، ما لم يتضمن عندهم الشرك في التوحيد العلمي الخبري، لأنهم حصروا التوحيد في الربوبية والأسماء والصفات ومن ثم فالشرك عندهم هو الشرك في هذا التوحيد[3]

(٢) الإعراض عن دين الله :

إن الإيمان لله عز وجل يعد خضوعاً واستجابة وقبولاً لدين الله تعالى، فإن الإعراض ينافي ذلك ويضاده.

---

(١) درء التعارض ١/ ٢٢٧ – ٢٢٨ ، الدر النضيد ١٦-١٩ ، تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد ٤٦ – ٤٧ .

(٢) العبودية / ٤٤ .

(٣) ضوابط التكفير عند أهل السنة والجماعة للقرني / ٩٩ – ١٧٥ .

الإعراض في اللغة : التولي والصدود والترك والمجانية[1].

الإعراض في الاصطلاح : هو الإعراض التام عن دين الله لا يتعلمه ولا يعمل به وهو التولي عن طاعة الرسول والامتناع عن الاتباع، والصدود عن قبول حكم الشريعة، فإذا كان جنس العمل الظاهر من أصل الإيمان، فإن تركه وعدم الالتزام به إعراض كلي عن هذا العمل ومن ثم فهو كفر مخرج عن الملة[2]

لكن يجب أن يعلم أن الإعراض ليس كله مما يخرج عن الملة، بل منه ما هو مخرج من الملة وهو الإعراض عن جنس العمل (الطاعة) والذي يعد شرطاً في صحة الإيمان، وهناك إعراض لا يخرج عن الملة، كأن يكون معه اصل الإيمان، لكنه يعرض عن فعل واجب من الواجبات الشرعية، ولهذا ندرك الفرق بين الإعراض الكلي عن جنس العمل الظاهر (الطاعة أو الاتباع) وبين الإعراض الجزئي عن بعض العمل، فالأول ينقض الإيمان وينفيه بالكلية، والآخر ينقص الإيمان لكن لا ينفيه[3] بالكلية[4].

فالإعراض عن دين الله وشرعه هو حقيقة النفاق يقول الله تعالى ﴿ **وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا** ﴾ النساء : ٦١ .

---

(١) لسان العرب ٧/ ١٨٢ ، ترتيب القاموس المحيط على طريقة المصباح المنير ٣/ ١٩٦ ، نزهة الأعين ١/ ٢١٦ ، المفردات ٤٠٦ ، ٤٠٨ ، ٨٣٨ .

(٢) الفتاوى ٧/ ٦٢١ ، مفتاح دار السعادة ١/ ٤٣ .

(٣) مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ٣/ ٣١٥ ، منهاج أهل الحق والاتباع / ٦٣ – ٦٤ .

(٤) يتضح بذلك منهج أهل السنة والجماعة الصحيح في أن العبد قد يجمع بين الإيمان والكفر في نفس الوقت .

يقول ابن القيم يرحمه الله عن هذه الآية (فجعل الإعراض بما جاء به الرسول ﷺ والالتفات إلى غيره هو حقيقة النفاق، كما أن حقيقة الإيمان هو تحكيمه وارتفاع الحرج عن الصدور بحكمه، والتسليم لما حكم به رضى واختياراً ومحبة، فهذا حقيقة الإيمان، وذلك الإعراض حقيقة النفاق)[1].

وأما وجه كون هذا الإعراض من نواقض الإيمان فذلك لجملة من الاعتبارات منها :

(١) إن الله تعالى نفى الإيمان عمن أعرض وتولى عن دين الله عز وجل، يقول الله تعالى ﴿ وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴾النور : ٤٧-٤٨. يقول ابن كثير[2] يرحمه الله في تفسير هذه الآيات (يخبر الله تعالى عن صفات المنافقين الذين يظهرون خلاف ما يبطنون، يقولون قولاً بألسنتهم : آمنا بالله وبالرسول واطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك، أي يخالفون أقوالهم بأعمالهم فيقولون مالا يفعلون، ولهذا قال تعالى "وما أولئك بالمؤمنين" وقوله تعالى "وإذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم" الآية أي إذا طلبوا إلى اتباع الهدى فيما أنزل الله على

(١) مختصر الصواعق المرسلة ٢/ ٣٥٣ .

(٢) ابن كثير أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي ، من تلاميذ الإمام ابن تيمية ، حافظ مؤرخ ، فقيه ، رحل في طلب العلم ، له تصانيف عديدة منها البداية والنهاية شرح صحيح البخاري ، تفسير القرآن الكريم توفي عام ٧٧٤هـ ، انظر طبقات المفسرين ١/ ١٢٠ ، الأعلام ١/ ٣٢٠ .

رسوله أعرضوا عنه واستكبروا في أنفسهم من اتباعه ..... وأياً كان فهو كفر محض والله عليم بكل منهم وما هو منطو عليه من الصفات)[1].

(٢) إذا كان الإيمان يتضمن طاعة وانقياداً وتسليماً وقبولاً، واستجابة وخضوعا لدين الله تعالى، فإن الإعراض يضاد ذلك وينافيه، فهو تولي وصدود وترك وامتناع وهو إعراض عن الهدى، وعدم إرادته والعمل به وبموجبه[2]، وقد تقرر عند أهل السنة: أن الإيمان ليس تصديقاً قلبياً فحسب بل لا بد فيه من الخضوع والانقياذ.

فإن المعرض عن دين الله تعالى لا يحب هذا الدين ولا يبغضه، ولا يصدق بالنبي ولا يكذبه، ولذا فهو معرض عن الطاعة والاتباع، بسبب خلو القلب من هذا الحب أو الإرادة ومن المعلوم أن هذا الحب أو الإرادة الصادقة لو كانت موجودة لظهر لازمها من الطاعة والانقياد ، يقول شيخ الإسلام يرحمه الله (محبة الله بل محبة الله ورسوله من أعظم واجبات الإيمان واكبر أصوله وأجل قواعده، بل هي أصل كل عمل من أعمال الإيمان والدين، كما أن التصديق به أصل كل قول من أقوال الإيمان والدين)[3].

(٣) ذكر الله تعالى أن الإعراض والتولي عن طاعة الله كفر فقال تعالى ﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴾ آل عمران : ٣٢

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٣/ ٢٨٨ ، تيسير الكريم المنان / ٥٧١ .

(٢) يتضح هنا خطأ المرجئة الذين يعتقدون أن العمل خارج عن مسمى الإيمان ، وبذلك يصبح الإنسان عندهم مؤمنا كامل الإيمان ولو لم يركع لله ركعه ولم يعمل في الإسلام خيراً قط ، وقد بلغ بهم الغلو إلى أن جعلوا الشهادتين شرطاً لإجراء أحكام الدنيا على المكلف فحسب مع كونها الركن الأول من أركان الإسلام ، فضاعت أركان الإسلام ، وأدى ذلك إلى رد نصوص القرآن والسنة مع استمراء الذنوب والمعاصي والآثام والتجرؤ على حق الله الخالص ، فصرفوا العبادات من الدعاء والاستعانه والاستغاثه وغيرها للأولياء والصالحين . انظر تناقض أهل الأهواء والبدع ١/ ٢٦٥ .

(٣) التحفة العراقية في أعمال القلوب / ٥٧ .

يقول ابن كثير يرحمه الله (فإن تولوا : أي تخالفوا عن أمره فإن الله لا يحب الكافرين، فدل على أن مخالفته في الطريقة كفر، والله لا يحب من اتصف بذلك، وإن ادعى وزعم في نفسه أنه محب لله ويتقرب إليه حتى يتابع الرسول النبي الأمي خاتم الرسل ورسول الله إلى جميع الثقلين)[1].

(٤) قرر الله في القرآن الكريم أن الإعراض عن دين الله تعالى من صفات المنافقين، وان التولي عن طاعته من النفاق، يقول تعالى ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴾ النساء : ٦١.

يقول شيخ الإسلام يرحمه الله (فبين سبحانه أن من تولى[2] عن طاعة الرسول، واعرض عن حكمه فهو من المنافقين، ليس بمؤمن وأن المؤمن هو الذي يقول سمعنا وأطعنا فالنفاق يثبت، ويزول الإيمان بمجرد الإعراض عن حكم الرسول ﷺ وإرادة التحكم إلى غيره)[3].

---

(١) تفسير القرآن العظيم ١/ ٣٣٨ ، تيسير الكريم الرحمن / ١٢٨ .

(٢) هنا يظهر زعم وكذب المرجئة الذين يقولون إن من سب الله أو قتل الرسول يجوز أن يكون مؤمنا في الباطن ولا يكون كافراً قط إلا إذا انتفى العلم الباطن من قلبه ، فهذا زعم باطل مردود حيث إن سب الله عز وجل يعد من أبشع وأشنع أنواع المكفرات القولية التي تناقض الإيمان وأصله ، يقول شيخ الإسلام يرحمه الله عن السب (فهو إهانة واستخفاف ، والانقياد للأمر إكرام وإعزاز ومحال أن يهين القلب من أنقاد له وخضع ، واستسلم أو يستخف به فإذا حصل في القلب استخفاف واستهانة ، امتنع أن يكون فيه انقياد أو استسلام ، فلا يكون فيه إيمان وهذا بعينة كفر إبليس ، فإنه يسمع أمر الله فلم يكذب رسولاً ولكن لم ينقد للأمر) ويقول أيضاً (والتحقيق أن ايمان القلب التام يستلزم العمل الظاهر بحبه لامحالة ، ويمتنع أن يقوم بالقلب إيمان تام بدون عمل ظاهر) انظر الصارم المسلول على شاتم الرسول ﷺ / ٥١٩ ، الإيمان لابن تيمية / ١٧٩ تناقض أهل الأهواء ١/ ٢٦٦ .

(٣) الصارم المسلول – ط / دار الكتب العلمية – بيروت / ٣٣ .

فإن كل من لم يقر بما جاء به الرسول فهو كافر، سواء اعتقد كذبه أو استكبر عن الإيمان به، أو أعرض عنه اتباعاً لما يهواه، أو أرتاب فيما جاء به، فكل مكذب بما جاء به فهو كافر، وقد يكون كافراً من لا يكذبه إذا لم يؤمن به[1].

يقول ابن القيم يرحمه الله (وأما كفر الإعراض فأن يعرض بسمعه وقلبه عن الرسول ﷺ، لا يصدقه ولا يكذبه، ولا يواليه ولا يعاديه ولا يصغي إلى ما جاء به البتة)[2].

فلذلك كان من نواقض الإسلام وتوحيد الألوهية،

(١) جعل الوسائط بين العبد والله عز وجل يدعوهم ويسألهم الشفاعة ويتوكل عليهم فهو معرض كافر بالإجماع.

(٢) عدم تكفير المشركين أو الشك في كفرهم أو تصحيح مذهبهم[3]، فلا يحكم بإسلام المرء حتى يكفر المشركين، فإن توقف في ذلك مع ظهور الأمر فيهم

---

(١) درء التعارض ١/ ٥٦ .

(٢) مدارج السالكين ١/ ٣٣٨ .

(٣) في الربع الأخير من القرن الرابع عشر الهجري في ظل النظام العالمي الجديد جهر اليهود والنصارى بالدعوة إلى التجمع الديني بينهم وبين المسلمين ، بعبارة أخرى التوحيد بين الموسوية والعيسوية والمحمدية باسم الدعوة إلى التقريب بين الأديان ثم باسم نبذ التعصب الديني ، ثم باسم الإخاء الديني ، وله فتح مركز بمصر وأخر بسيناء، ثم أخرجت للناس شعارات عدة منها وحدة الأديان ، توحيد للأديان الثلاثة الإبراهيمية ، الملة الإبراهيمية ، الوحدة الإبراهيمية وحدة الدين ، المؤمنون ، المؤمنون متحدون ، الناس متحدون ، الديانه العالمية ، التعايش بين الديانات ، العالمية وتوحيد الأديان ، ثم لحقها شعار أخر وهو وحدة الكتب السماوية ، ثم امتد هذا الشعار إلى فكرة طبع القرآن الكريم والتوراة والانجيل في غلاف واحد ثم دخلت هذه الدعوة في الحياة التعبدية العملية إذ دُعي إلى إقامة صلاة مشتركة بين الإسلاميين والكتابيين في إيطاليا بتاريخ ٢٧/ ١/ ١٩٨٦م ، ثم تكرر هذا الحدث مرة أخرى وقدم البابا نفسه إلى العالم بأنه القائد الروحي للأديان جميعاً وأنه حامل رسالة السلام العالمي للبشرية ، وفي عام ١٩٨٧م تأسست الجماعة العالمية للمؤمنين بالله باسم (المؤمنون متحدون) وعمل لهذه المؤسسة لوائح وأنظمة داخلية ركزت على إذابة الفوارق بين الإسلام واليهودية والنصرانية ، وقد بلغ التأثير بمسألة التقريب بين الأديان أن بعض من ينسبون إلى الإسلام ينادون بهذه العملية ويبذلون الغالي والنفيس من أحل تحقيق هذا الأمر . انظر تناقض أهل الأهواء ٢/ ٧٨٩ – ٨٢٨ .

أو شك في كفرهم مع تبينه، فهو مثلهم أما من صحح مذهبهم، واستحسن ما هم عليه من الكفر والطغيان، فهذا كافر بإجماع المسلمين، لأنه لم يعرف الإسلام على حقيقته، لان معناه الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والبراءة من الشرك وأهله.

(٣) اعتقاد أن غير هدي النبي ﷺ أكمل من هديه، أو أن حكم غيره أحسن من حكمه كالذي يفضل حكم الطواغيت على حكمه .

(٤) بغض شي مما جاء به الرسول ﷺ[١].

(٥) الاستهزاء بشيء من دين الرسول ﷺ، أو ثوابه، أو عقابه.

(٦) السحر ومنه الصرف والعطف فمن فعله أو رضي به كفر[٢].

(٧) مظاهرة المشركين [٣] ومعاونتهم على المسلمين.

---

(١) من ذلك ما يتفوه به كثير من الملحدين الذين تغذوا بألبان الإفرلج وخلعوا ربقة الإسلام من رقابهم من كراهيتهم لتعدد الزوجات ، فهم يحاربون تعدد الزوجات بشتى الوسائل ، وكون المرأة ليست بمنزلة الرجل وككرههم أن تكون دية المرأة نصف دية الرجل ، وأن شهادة أمرأتين بشهادة رجل واحد وغير ذلك . انظر التبيان شرح نواقض الإسلام / ٥٢ .

(٢) السحر في اللغة : يطلق على ما خفي ولطف مأخذه ورق ، ومنه قول العرب في الشيء إذا كان شديداً خفاؤه أخفى من السحر وفي الاصطلاح : عقد ورقى يتوصل بها الساحر إلى استخدام الشياطين لتضر المسحور ، قال الشنقيطي يرحمه الله اعلم أن السحر لا يمكن جمعه بحد جامع مانع، لكثرة الأنواع المختلفة الداخلية تحته ، ولا يتحقق قدر مشترك بينها يكون جامعاً لها مانعاً لغيرها ومن هنا اختلفت عبارات العلماء في حده اختلافاً متبايناً) ومن السحر الصرف والعطف : فالصرف : صرف الرجل عما يهواه كصرفه مثلاً عن محبة زوجته إلى بغضها .
والعطف : عمل سحري كالصرف ، ولكنه يعطف الرجل عما يهواه إلى محبته بطرق شيطانية انظر معجم المقاييس في اللغة / ٥٠٧ ، الكليات / ٤٩٤ ، ٥١٠ – ٥١١ .

(٣) إن مظاهرة المشركين ومعاونتهم على المسلمين فتنة عظيمة قد عمت فأعمت ، ورزية رمت فأصمت ، وفتنة دعت القلوب فأجابها كل قلب مفتون يحب المشركين ولا سيما في هذا الزمن الذي كثر فيه الجهل وتوفرت فيه أسباب الفتن .

(٨) اعتقاد أن بعض الناس يسعه الخروج عن شريعة محمد ﷺ كما وسع الخضر الخروج عن شريعة موسى عليه السلام فهو كافر.

فالإعراض عن دين الله عز وجل قد يكون بالقول والفعل وقد يكون بالفعل، فكل من تولى عن طاعة الله والرسول عليه الصلاة والسلام وأعرض عن حكمه وأمره فهو ليس بمؤمن وقد يكون الحكم بغير ما أنزل الله عز وجل[1] من أهم مظاهر الإعراض في الوقت الحاضر فلذا لا بد من الوقوف عليه بعض الشيء.

الحكم بغير ما أنزل الله عز وجل :

فرض الله عز وجل الحكم بشريعته وأوجب ذلك على عباده، وجعله الغاية من تنزيل الكتاب، فقال سبحانه وتعالى ﴿ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ البقرة: ٢١٣ وقال ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ ﴾ النساء : ١٠٥

(١) إن مسألة الحكم بغير ما أنزل الله أصبحت بين طرفي الإفراط والتفريط أو الغلو والإجحاف فطرف يكفر الحاكم والمحكومين بل يصل به الغلو إلى تكفير الأمة بأكملها ومن ثم استحلال مالها وأرضها ، وطرف يتساهل في المسألة فجعل منها لا داعي للكلام فيها حيث إن الكلام فيها في هذا العصر يعد رجعية وهمجية ، وأنه لا بد من تجديد الأحكام والقوانين حتى تتلائم وتتواكب مع العصور والأزمنة . انظر كتاب قضية تجديد الفكر الإسلامي لجمال البنا .

وبين الله سبحانه اختصاصه وتقرده بالحكم فقال ﴿ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ ﴾ الأنعام : ٥٧ وقال ﴿ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ﴾ يوسف : ٤٠، وجاءت الآيات القرآنية مؤكدة على أن الحكم بما أنزل الله من صفات المؤمنين، وأن التحاكم إلى غير ما أنزل الله هو حكم الطاغوت والجاهلية ومن صفات المنافقين فقال سبحانه وتعالى ﴿ وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓا۟ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓا۟ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ ۚ بَلْ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ النور : ٤٧-٥١، وتحقيق هذه الطاعة وإفراد الله تعالى بالحكم والانقياد لشرعه هو حقيقة الإسلام كما قال شيخ الإسلام يرحمه الله (فالإسلام يتضمن الاستسلام لله وحده، فمن استسلم له ولغيره كان مشركاً، ومن لم يستسلم له كان مستكبراً عن عبادته، والمشرك به المستكبر عن عبادته كافر، والاستسلام له وحده يتضمن عبادته وحده وطاعته وحده)[1]. وفي

(١) الفتاوى ٣/ ٩١ ، النبوات ٦٩ – ٧٠ .

المقابل فإن من أشرك مع الله في حكمه فهو كالمشرك في عبادته ولا فرق بينهما البتة بوجه من الوجوه، فهما واحد، وكلاهما مشرك بالله [1].

وقد سمى الله تعالى الحكم بغير شرعه طاغوتاً حيث قال تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴾ النساء : ٦٠، والطاغوت عام فكل ما عبد من دون الله ورضي بالعبادة من معبود أو متبوع، أو مطاع في غير طاعة الله ورسوله فهو طاغوت[2]

يقول ابن القيم يرحمه الله عند توضيحه لقوله تعالى ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾النساء : ٦٥، (أقسم سبحانه بنفسه المقدسة قسماً مؤكداً بالنفي قبله على عدم إيمان الخلق حتى يحكموا رسوله في كل ما شجر بينهم من الأصول والفروع، وأحكام الشرع وأحكام المعاد، ولم يثبت لهم الإيمان بمجرد هذا التحكيم حتى ينتفي عنهم الحرج – وهو ضيقة الصدر – وتنشرح صدورهم لحكمه كل الانشراح، وتقبله كل القبول، ولم يثبت لهم الإيمان بذلك أيضاً حتى ينضاف إليه مقابلة حكمه بالرضى والتسليم، وعدم المنازعة وانتفاء المعارضة والإعراض) [3].

---

(١) أضواء البيان ٧/ ١٦٢ .
(٢) إعلام الموقعين ١/ ٤٩ – ٥٠ .
(٣) التبيان في أقسام القرآن – لابن القيم / ٢٧٠ .

متى يكون الحكم بغير ما أنزل الله كفراً ناقلاً عن الملة :

إن طواغيت البشر قديماً وحديثاً قد نازعوا الله في حق الأمر والنهي والتشريع بغير سلطان من الله تعالى فأدعاه الأحبار[١] والرهبان[٢] لأنفسهم فاحلوا به الحرام وحرموا به الحلال، واستطالوا به على عبادة الله، وصاروا بذلك أرباباً من دون الله، ثم نازعهم بعض الملوك في هذا الحق حتى اقتسموا السلطة مع هؤلاء الأحبار والرهبان، ثم جاء العلمانيون[٣] فنزعوا الحق من هؤلاء وهؤلاء، ونقلوه إلى هيئة تمثل الأمة أو الشعب أطلق عليها اسم البرلمان[٤] أو مجلس النواب.

---

(١) الأحبار جمع حبر : والحبر هو الحسن والبهاء ، ثم توسع المعنى فأصبح يطلق على الذي يكتب بالحبر حبر ، وعلى العالم والمراد بها هنا علماء اليهود ، انظر معجم مقاييس اللغة / ٢٩٢ الكليات / ٤٠٨ .

(٢) الرهبان : جمع راهب ، والراء والهاء والباء أصلان : أحدهما يدل على خوف ، والأخر على دقة وخفة والترهب هو التعبد ، والمراد بالرهبان هنا هم عباد وعلماء النصارى . انظر معجم مقاييس اللغة / ٤٢٦ ، الكليات / ٤٧٨ .

(٣) العلمانيون : هم الذين ينتسبون لمذهب العلمانية وترجمتها الصحيحة اللادينية أو الدنيوية ، وهي دعوة إلى إقامة الحياة على العلم الوضعي والعقل ومراعاة المصلحة بعيداً عن الدين ، وهي اصطلاح لاصلة له بالعلم ، ومن أهم معتقداتهم : أنهم ينكرون وجود الله أصلا ، وبعضهم يؤمنون بوجود الله لكنهم يعتقدون بعدم وجود إية علاقة بين الله وبين حياة الإنسان ، وأن الحياة تقوم على أساس العلم المطلق وتحت سلطان العقل والتجريب ، وإقامة حاجز سميك بين عالمي الروح والمادة ونشر الإباحية والفوضى الأخلاقية وتهديم كيان الأسرة ، والطعن في حقيقة الإسلام والقرآن والنبوة وغير ذلك من المعتقدات الباطلة . انظر القرن العشرين لمحمد قطب المستقبل لهذا الدين – سيد قطب ، العلمانية لسفر الحوالي ، الموسوعة الميسرة ٢/ ٦٨٩ – ٦٩٦.

(٤) البرلمان : اصطلاح واستعمل في اللغتين الفرنسية والإنجليزية في القرن الثالث عشر الميلادي للإشارة إلى اجتماع للمناقشة ، والكلمة مشتقة من الفعل الفرنسي Parler بمعنى يتكلم ، كما أطلق على المكان الذي كان ينعقد فيه الاجتماع ، وأطلق كلمة برلمان في اللغة الإنجليزية على الهيئة التشريعية العليا التي تتكون من مجلس العموم ، ثم انتقلت التسمية ونظام هذا الحكم إلى مناطق كثيرة من العالم ، ووظيفة البرلمان هي تشريع وإقرار القوانين ومراقبة السلطة التنفيذية فالبرلمان هيئة ينتخبها الشعب ليمارس الوظيفة التشريعة نيابة عنه ، بينما نجد في الإسلام أن السلطة التشريعية حق خالص لله جل وعلا . انظر الموسوعة الميسرة ٢/ ٩٩٦ .

فالحاكم يصير كافراً خارجاً عن الملة إذا اعتقد أن حكم غير الله أحسن من حكم الله، كالذي يفضل حكم الطواغيت على حكم الله عز وجل، فهذا (كافر) بإجماع أهل العلم، ومن هؤلاء الكفار الذين يفضلون حكم الطواغيت الوضعية على حكم رسول الله ﷺ، فهؤلاء كفار، لتفضيلهم أحكام أناس مثلهم – بل قد يكونون دونهم – على حكم رسول رب العالمين الذي بعثه الله هدى للعالمين وليخرج الناس من الظلمات إلى النور[1].

فلذا فإن الحكم بغير ما أنزل الله عز وجل قد يكون كفراً[2] أكبر وقد يكون كفراً أصغر لا يخرج عن الملة، وذلك بحسب حال الحاكم فإنه إن اعتقد أن الحكم بما أنزل الله غير واجب، وأنه مخير فيه أو استهان بحكم الله أو اعتقد أن غيره من القوانين والنظم الوضعية أحسن منه وأنه لا يصلح لهذا الزمان أو أراد بالحكم تغير ما أنزل الله استرضاء الكفار والمنافقين فهذا كفر أكبر، وإن اعتقد وجوب الحكم بما أنزل الله وعلمه في هذه الواقعة وعدل عنه مع اعترافه بأنه مستحق للعقوبة فهذا عاصٍ ويسمى كافراً كفراً أصغر، وإن جهل حكم الله فيه مع بذل جهده واستفراغ وسعه في معرفة الحكم وأخطأه فهذا مخطئ له أجر اجتهاده وخطؤه مغفور[3] وهذا في الحكم في القضية الخاصة، وأما الحكم في القضايا العامة فإنه يختلف، قال شيخ الإسلام ابن تيمية يرحمه الله (فإن الحاكم إذا كان ديناً لكنه حكم بغير علم كان من أهل النار وإن كان عالماً ولكنه حكم بخلاف الحق الذي يعلمه كان من أهل النار وإذا حكم بلا عدل ولا علم أولى أن يكون من أهل النار وهذا إذا حكم في قضية لشخص وأما إذا حكم حكماً عام في دين المسلمين فجعل الحق باطلاً والباطل حقاً والسنة بدعة والبدعة سنة والمعروف منكراً والمنكر معروفاً ونهي عما أمر الله به ورسوله وأمر بما نهى الله عنه ورسوله فهذا لون أخر يحكم فيه رب العالمين وإله

(١) التبيان شرح نواقض الإسلام / ٤٧ ، كتاب التوحيد – للشيخ الفوزان / ٤٥ – ٤٨ .
(٢) فتح المجيد / ٤٦٧ – ٤٦٨ .
(٣) شرح العقيدة الطحاوية ٣٦٣ – ٣٦٤ .

المرسلين مالك يوم الدين الذي له الحمد في الأولى والآخرة ﴿ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ القصص : ٨٨ ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾الفتح : ٢٨[1] فمن استحل أن يحكم الناس بما يراه هو عدلاً من غير اتباع لما أنزل الله فهو كافر[2].

(١) الفتاوى ٣٥ / ٣٨٨ .
(٢) الشريعة الإلهية للقوانين الجاهلية للأشقر / ١٧٩ – ١٨٢ .

المبحث السابع

المبحث السابع

التعاريف الخاطئة لتوحيد الألوهية

من التعاريف الخاطئة المنتشرة بين الناس في تعريف الألوهية :

(١) الإقرار بأنه – أي الله – خلق كل شيء وأنه ليس للعالم صانعان متكافئان في الصفات والأفعال، وهذا التوحيد هو المعروف عند كثير من أهل الكلام وطائفة من الصوفية.

(٢) تعريف توحيد الألوهية بتوحيد الربوبية عند كثير من اهل الكلام فيزعمون أن دليل التمانع والمقصود به قوله تعالى ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ الأنبياء : ٢٢، لاعتقادهم أن توحيد الربوبية الذي قرروه هو توحيد الإلهية الذي بينه القرآن الكريم، ودعت إليه الرسل عليهم الصلاة والسلام، فيقولون : إنه لو كان للعالم صانعان فعند اختلافهم مثل أن يريد أحدهما تحريك جسم والآخر تسكينه، أو يريد أحدهما أحياءه والآخر إماتته فإما أن يحصل مرادهما، أو مراد أحدهما، أو لا يحصل مراد واحد منهما، والأول ممتنع لأنه يستلزم الجمع بين الضدين، والثالث ممتنع لأنه يلزم خلو الجسم عن الحركة والسكون، وهو ممتنع، ويستلزم ايضاً عجز كل منهما، والعاجز لا يكون إلهاً، وإذا حصل مراد أحدهما دون الآخر كان هذا الإله القادر، والآخر عاجزاً لا يصلح للإلهية[1].

(١) مدارج السالكين ٣/ ٤٤٩ – ٤٤٥ ، منهاج السنة ٢/ ١٨٠ ، شرح العقيدة الطحاوية ١/ ٢٩ – ٤٤ ، القول المفيد على كتاب التوحيد / ١٥ .

وليس الأمر كذلك بل التوحيد الذي دعت إليه الرسل، ونزلت به الكتب هو توحيد الألوهية المتضمن توحيد الربوبية وهو عبادة الله وحده لا شريك له فإن المشركين من العرب كانوا يقرون بتوحيد الربوبية وأن خالق السماوات والأرض واحد كما اخبر تعالى عنهم بقوله ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾ لقمان : ٢٥، فلذا فإن دليل التمانع الذي يستدل به أهل الكلام ليس مقبولاً عند أهل السنة والجماعة، بل الدليل الأولى والأحرى عندهم هو الاستدلال بقوله تعالى﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ ﴾ المؤمنون : ٩١، فالمتأمل لهذا البرهان الباهر، بهذا اللفظ الوجيز الظاهر يدرك بأن الإله الحق لا بد أن يكون خالقاً فاعلاً، يوصل إلى عابده النفع، ويدفع عنه الضر، فلو كان معه سبحانه إله آخر يشركه في ملكه، لكان له خلق وفعل، وحينئذ فلا يرضى تلك الشركة، بل إن قدر على قهر ذلك الشريك وتفرده بالملك والإلهية دونه فعل، وإن لم يقدر على ذلك انفرد بخلقه وذهب بذلك الخلق، كما ينفرد ملوك الدنيا بعضهم عن بعض بممالكه إذا لم يقدر المنفرد منهم على قهر الآخر والعلو عليه فلا بد من أحد ثلاثة أمور:

(١) إما أن يذهب كل إله بخلقه وسلطانه.

(٢) وإما أن يعلو بعضهم على بعض[١].

(٣) وإما أن يكونوا تحت قهر ملك واحد يتصرف فيهم كيف يشاء ولا يتصرفون فيه بل يكون وحده هو الإله، وهم العبيد المربون المقهورون من كل وجه.

---

(١) مدارج السالكين ٣/ ٤٤٩ – ٤٤٥ ، شرح العقيدة الطحاوية ١/ ٢٩ – ٤٤ .

فلذا فإن كل من عرف توحيد الألوهية بالخلق أو القدرة على الخلق، أو القدم، أو الحكم أو الحاكميه فهي تعاريف باطلة مجانبة للحق وللصواب[1].

ومن هنا يتضح خطأ تعريف الأشاعرة للتوحيد حيث إنهم يعرفونه بقولهم: إثبات الوحدة في الذات والصفات والأفعال، فوحدانية الذات تنفي تركب الذات وتنفي تعددها، ووحدانية الصفات تنفي التعدد في صفات الله عز وجل من جنس واحد، وتنفي مشابهة صفات الخلق لصفاته، ووحدانية الأفعال تنفي أن يكون لغير الله فعل من الأفعال على وجه الإيجاد[2].

وهذا التعريف قد أطبق عليه متقدمو الأشاعرة ومتأخروهم، وظاهر انه لم يشمل توحيد الألوهية وما شمله من أنواع فيه إجمال في بعضه.

(١) منهاج السنة ٢/ ١٨٠ ، شرح العقيدة الطحاوية ١/ ٢٩ – ٤٤ .
(٢) تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد ٥٩ – ٦٠ .

الفصل الخامس

الفصل الخامس

توحيد الأسماء والصفات

وفيه سبعة مباحث:

- **المبحث الأول:** تعريف الاسم والصفة .
- **المبحث الثاني:** الأدلة على توحيد الأسماء والصفات .
- **المبحث الثالث:** قواعد عامة في الصفات .
- **المبحث الرابع:** أنواع الصفات .
- **المبحث الخامس:** موقف الناس من الأسماء والصفات .
- **المبحث السادس:** الإلحاد في الأسماء والصفات .
- **المبحث السابع:** قواعد المنهج السلفي .

القسم الثالث

القسم الثالث
توحيد الأسماء
والصفات

المبحث الأول

القسم الثالث
الأسماء والصفات
الفصل الخامس
توحيد الأسماء والصفات وفيه سبعة مباحث :
المبحث الأول
تعريف الاسم والصفة

الأسماء والصفات :

إن القسم الثالث من اقسام التوحيد هو توحيد الأسماء والصفات، فلا بد من معرفة الفرق بين الأسماء والصفات وما المراد بهما:

فالاسم : هو ما دل على معنى في نفسه[١]، وأسماء الأشياء هي الألفاظ الدالة عليها[٢]، فالاسم هو ما أنبا عن المسمى[٣].

أما الصفة : هي الاسم الدال على بعض أحوال الذات[٤] وهي ما وقع الوصف مشتقاً منها، وهو دال عليها وذلك مثل العلم والقدرة ونحوه[٥]، فالصفة : الإمارة اللازمة للشيء، والنعت : وصفك الشيء بما فيه من حسن.

---

(١) التعريفات للجرجاني / ٢٤ .
(٢) الفتاوى ٦/ ١٩٥ .
(٣) الكليات للكفوي / ٨٣ .
(٤) التعريفات / ١٣٣ ، معجم مقاييس اللغة ٥/ ٤٤٨ .
(٥) المقصود بالوصف هنا الاسم ، فالعلم صفة ، والعالم وصف دال عليها والقدرة صفة ، والقادر وصف دال عليها . انظر الكليات / ٥٤٦ .

الفرق بين الاسم والصفة :

المراد بأسماء الله كل ما دل على ذات الله مع صفات الكمال القائمة به مثل القادر، العليم، الحكيم، السميع، البصير، فإن هذه الأسماء دلت على ذات الله وعلى ما قام بها من العلم والحكمة والسمع والبصر، فالاسم يدل على أمرين والصفة تدل على أمر واحد، ويقال الاسم متضمن للصفة والصفة مستلزمة للاسم[1].

ولمعرفة ما يميز الاسم عن الصفة والصفة عن الاسم أمور منها :

أولا: أن الأسماء يشتق منها صفات، أما الصفات فلا يشتق منها أسماء، فنشتق من أسماء الله الرحيم والقادر والعظيم صفات الرحمة والقدرة والعظمة لكن لا نشتق من صفات الإرادة والمجيء والمكر اسم المريد والجائي والماكر. فأسماؤه سبحانه وتعالى أوصاف كما قال ابن القيم في النونية :

أسماؤه أوصاف مدح كلها مشتقة قد حملت لمعان[2].

ثانياً: إن الاسم لا يشتق من أفعال الله، فلا نشتق من كونه يحب ويكره ويغضب اسم المحب والكاره[3] والغاضب، أما صفته فتشتق من أفعاله، فنثبت له صفة المحبة والكره والغضب ونحوها من تلك الأفعال، ولذلك من قواعد أهل السنة والجماعة في الأسماء والصفات قاعدة: (باب الصفات أوسع من باب الأسماء)[4].

---

(١) فتاوى اللجنة الدائمة – الدويش ٣/ ١١٦ .

(٢) شرح القصيدة النونية ٢/ ١٢٥ .

(٣) مدارج السالكين – تحقيق الفقي ٣/ ٤٢٥ ، منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات – الشنقيطي / ٢٦ .

(٤) الفتاوى ٦/ ٣٧ ، ٥١٥ ، بدائع الفوائد ١/ ١٦٢ ، القواعد المثلى / ٣٠ .

ثالثاً: إن أسماء الله عز وجل وصفاته تشترك في الاستعاذة بها والحلف بها[1] ولكن تختلف في التعبد والدعاء، فيتعبد الله بأسمائه، فنقول عبد الكريم وعبد الرحمن، وعبد العزيز، لكن لا يتعبد بصفاته فلا نقول عبد الكرم وعبد الرحمة وعبد العزة، كما أنه يدعى الله بأسمائه، فنقول: يا رحيم ارحمنا، ويا كريم، اكرمنا، ويا لطيف الطف بنا، لكن لا ندعو صفاته فنقول: يا رحمة الله ! ارحمينا، أو يا كرم الله ! أو يا لطف الله ! ذلك أن الصفة ليست هي الموصوف، فالرحمة ليست هي الله، بل هي صفة لله وكذلك العزة وغيرها، فهذه صفات الله، وليست هي الله ، ولا يجوز التعبد إلا لله، ولا يجوز دعاء إلا الله، لقوله تعالى ﴿ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا ﴾ النور : ٥٥، وقوله ﴿ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾[2] غافر : ٦٠ فلذا يجب أن نفرق بين دعاء الصفة كأن يقول القائل: يا رحمة الله ارحمينا وبين دعاء الله بصفة من صفاته، كأن يقول: اللهم ارحمنا برحمتك فهذا لا باس به لان القائل سأل الله عز وجل ولم يدعو ويسأل الصفة فقط.

(١) الفتاوى ٦/ ١٤٣ شرح السنة للبغوي ١/ ١٨٥ ، ٢٢٩ ، القواعد المثلى / ٣٨ .
(٢) فتاوى الشيخ ابن عثيمين ١/ ٢٦ .

المبحث الثاني

المبحث الثاني

الأدلة على توحيد الأسماء والصفات

أن توحيد الأسماء والصفات وهو إفراد الله – سبحانه وتعالى – بما سمى الله به نفسه، ووصف به نفسه في كتابة أو على لسان رسوله عليه الصلاة والسلام وذلك بإثبات ما أثبته من غير تحريف[١] ولا تعطيل[٢] ومن غير تكييف[٣]، ولا تمثيل[٤]،[٥] فلابد من الإيمان بما سمى به نفسه ووصف به نفسه على وجه

---

(١) التحريف في اللغة : تفعيل من الحرف بمعنى الطرف ومنه قوله تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ ﴾ أي على طرف من الدين ، وشرعاً : تغيير معاني الكتاب والسنة إلى معان أخرى لا يدلان عليها وهو قسمان : تحريف لفظي وهو تبديل اللفظ بلفظ أخر ، كقول بني إسرائيل بدل حطة حنطة ، وتحريف معنوي كالقول بأن معنى الاستواء في قوله تعالى : ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴾ أي استولى انظر المفردات ص/ ١١٤ ، شرح العقيدة الواسطية / ١٣ ، المدخل لدراسة العقيدة / ٣٤ – ٣٥ .

(٢) التعطيل في اللغة : هو الخلو والفراغ ومنه قولهم جيد معطلة أي خالية من الحلي ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَبِئۡرٖ مُّعَطَّلَةٖ ﴾ أي هجرها أهلها ، وشرعاً نفي دلالة نصوص الكتاب والسنة عن المراد بهما . انظر التوقيف على مهمات التعاريف / ٥١٧ ، شرح العقيدة الواسطية / ١٣ ، المدخل لدراسة العقيدة / ٣٣ .

(٣) التكييف في اللغة : تفعيل من الفعل كيف يكيف تكييفاً إذا حكى الكيفية ، والكيفية هي كنه الشيء وحقيقته ، وشرعاً : هو حكاية كنه وحقيقة ما لا يعلمه إلا الله من المعاني ، وذلك كأن يحكي حقيقة الذات الالهية أو حقيقة صفاتها أو حقيقة ما هي ، وهذا لا يمكن للبشر لأنه مما استأثر الله تعالى بعلمه . انظر المفردات / ٤٤٤ – ٤٤٥ ، قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر / ٣١ ، شرح العقيدة الواسطية / ١٤ .

(٤) التمثيل في اللغة : تفعيل من المثل وهو الند والنظير ، وشرعاً : هو مساواة غير الله بالله ذاتا وصفاتا أو العكس ، وهو نوعان : قياس كلي ، وهو قياس الذات على الذات ، كأن يقال ذات الله كذات المخلوق أو العكس ، وقياس جزئي كقياس بعض صفات الخالق على المخلوق أو العكس انظر التوقيف على مهمات التعارف / ٦٣٦ ، قطف الثمر / ٣١ ، شرح العقيدة الواسطية / ١٤ .

(٥) من الأولى استخدام كلمة التمثيل بدلاً من التشبية مصداقاً لقوله تعالى : ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴾ أما مصطلح التشبية لم يأت في القرآن والسنة .

الحقيقة[1] لا المجاز[2]، ولكن من غير تكييف ولا تمثيل، ولا تحريف ولا تعطيل على ما جاء به القرآن الكريم والسنة الصحيحة، فالقرآن الكريم ينضح بآيات لا حصر لها بأسماء الله الحسنى وصفاته العلا، ومنها على سبيل المثال لا الحصر قوله تعالى ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ ﴾المائدة : ٦٤، وكقوله ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ الشورى:١١، وكقوله ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ طه : ٥

---

(١) إن أهل الأهواء والبدع يقسمون الكلام إلى حقيقة ومجاز ، فالحقيقة عندهم هي اللفظ المستعمل فيما وضع له ، والمجاز هو اللفظ المستعمل في غير ما وضع له لعلاقة مع قرينة ، فهم يصرفون اللفظ عن ظاهرة من غير دليل صحيح فأدى ذلك إلى هدم نصوص الشريعة والتلاعب بها واتخاذها غرضاً لهم ولتحقيق رغباتهم وأهوائهم قاموا بهذا التقسيم حتى يصلوا إلى نفي صفات الكمال عن الله عز وجل وإلا فالأئمة رحمهم الله والسلف الصالح والقرون الثلاثة المفضلة لم يتكلموا بهذا الاصطلاح بالمعنى الذي يقصده المبتدعة وأول من عرف أنه تكلم بلفظ المجاز المعتزلة ونحوهم من المتكلمين ، يقول شيخ الإسلام يرحمه الله (فهذا التقسيم هو اصطلاح حادث بعد انقضاء القرون الثلاثة لم يتكلم به أحد من الصحابة ولا التابعين لهم بإحسان ولا أحد من الأئمة المشهورين في العلم كمالك والثوري والأوزاعي وأبي حنيفة والشافعي ، بل ولا تكلم به أئمة اللغة والنحو كالخليل وسيبوية وأبي عمرو بن العلاء ونحوهم) وقد فند شيخ الإسلام هذا القول ورد على القائلين بالمجاز ، وله في ذلك رسالة مستقلة وأيده تلميذه ابن القيم وبين أن تقسيم الألفاظ إلى حقيقة ومجاز ليس تقسيما شرعياً ولا عقلياً ولا لغوياً وسماه طاغوتا وأبطلة من خمسين وجها ، الأحكام لابن حزم / ٤١٣ – ٤١٤ ، تناقض أهل الأهواء ١/ ٢٩٢ ، درء التعارض – ط / دار الكنوز ٥/ ٣٩١ – ٣٩٢ ، الفتاوى ١٢/ ٢٧٧ .

(٢) إن العلماء قد انقسموا بصدد قضية المجاز إلى طرفين ووسط :

(١) فريق قال بوجود المجاز في اللغة والقرآن معاً كأبي حسن الأمدي ، وجار الله الزمخشري والفخر الرازي ، وابن حجر ، والشوكاني ، وابن جني وشيخه أبي علي الفارسي .

(٢) فريق انكر وجود المجاز في القرآن الكريم ولغة العرب بالكلية ، وممن أنكره أبو إسحاق الإسفراتيني وشيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم .

(٣) الفريق الوسط ذهب إلى أن المجاز موجود في اللغة ، إلا أن وجوده في القرآن مردود ، وممن قال بذلك محمد بن خوير منداد البصري المالكي ، وداود بن علي الأصبهاني ، ومنذر بن سعيد البلوطي ، ومحمد الأمين الشنقيطي . انظر مقدمة أساس البلاغة – للزمخشري / ٢٢ ، مختصر الصواعق المرسلة ٢/ ١ – ٣٣١ ، رسالة منع جواز المجاز / ٧ – ٨ ، تناقض أهل الأهواء ١/ ٢٩٣ – ٢٩٤ .

وكقوله ﴿ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴾ طه : ٥٢، وكقوله ﴿ ۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ الأنعام : ٥٩ وكقوله ﴿ ۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ هود : ٦ . وأما الأدلة من السنة النبوية على توحيد الأسماء والصفات فهي عديدة ومنها على سبيل المثال قول الرسول عليه الصلاة والسلام (اللهم لك الحمد، أنت نور السماوات والأرض ومن فيهن) [١] وكقوله (إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام يخفض القسط ويرفعه، يرفع إليه عمل الليل قبل النهار، وعمل النهار قبل الليل حجابه النور، لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهي إليه بصره من خلقه " [٢] وكقوله (الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات)[٣] وكقوله في دعاء الاستخارة (اللهم أني استخيرك بعلمك واستقدرك بقدرتك)[٤] . وكقول الله تعالى في الحديث القدسي (العظمة أزاري والكبرياء ردائي) [٥].

ولقد دلَّ العقل السليم على وصف الله عز وجل بصفات الكمال كما قال سبحانه وتعالى ﴿ وله المثل الأعلى ﴾ ومعناه أن كل كمال وجودي ممكن الوجود لا

---

(١) البخاري في التهجد – باب التهجد بالليل ، وفي الدعوات – باب الدعاء إذا انتبه بالليل ٣/ ٢ ومسلم في صلاة المسافرين – باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه ١/ ٥٣٢ – ٥٣٣ .
(٢) مسلم في الإيمان – باب في قوله عليه الصلاة السلام : ان الله لا ينام ١/ ٦٦١ – ٦٢٢ .
(٣) البخاري في التوحيد – باب وكان الله سميعاً بصيراً ٨/ ١٦٧ .
(٤) البخاري في الدعوات – باب الدعاء عند الاستخارة ٧/ ١٦٢ .
(٥) مسلم في البر والصلة – باب تحريم الكبر ٤/ ٢٠٢٣ .

نقص فيه من جميع الوجوه ثبت للمخلوق، فإن الخالق سبحانه أولى به، وكل نقص ثبت للمخلوق فإن الخالق منزة عنه ومن أمثلته أن يقال مثلاً : إن السمع صفة كمال وجودية والمخلوق متصف بها فالخالق من باب أولى يجب أن تثبت له، وإن العمى مثلاً نقص في المخلوق فالخالق أولى أن يتنزه عنه، فالقرآن الكريم وضح لنا أن الله عز وجل يتصف بالصفات الكاملة على موازين العقل الصحيح ويسمى بقياس الأولى.

والمراد بالكمال هنا: هو الصفة من حيث هي صفة لا يلحظ فيها إضافتها للخالق والمخلوق وذلك لان لوازم[1] الصفة من حيث هي تلزم كل من يتصف بها لا فرق في ذلك بين الخالق والمخلوق من هذه الجهة العامة.

والوجودي أخرج العدمي فإن الصفات العدمية المحضة الخالصة للنفي لا كمال فيها[2]، لأن العدم يوصف به الموجود والمعدوم، وليس فيه مدح ولا ثناء إذ

---

(١) لوازم : جمع لازم وهي التبعية وعدم المفارقة ، يقال لزم فلان بيته إذا لم يفارقة ولم يوجد في غيره وفي الاصطلاح : ما يمنع انفكاكه عن الشيء ، أو كون الحكم مقضياً لحكم أخر بأن يكون إذا وجد المقتضي وجد المقتضى وقت وجوده ، فالمراد بالتلازم : هو عدم الانفكاك . انظر شرح الكواكب المنير ٤/ ٢٠٤ ، الكليات / ٧٩٥ – ٧٩٦ ، كشاف اصطلاح الفنون / ١٣٠٤ .

(٢) بذلك يتضح بطلان مذهب غلاة الفلاسفة والقرامطة والباطنية والخارجون عن دين الإسلام فهم يقولون : لا يوصف الله بالنفي ولا الإثبات ويسلبون عنه النقيضين ، فيقولون : لا موجود ولا معدوم ،ولا حي ولا ميت ، ولا عالم ولا جاهل ، لأنهم يزعمون أنهم إذا وصفوه بالإثبات شبهوة بالموجودات ، وإذا وصفوه بالنفي شبهوه بالمعدومات ، فسلبوا النقيضين ، فوقعوا في شر ما فروا منه ، فإنهم شبهوه بالممتنعات إذ سلب النقيضين كليهما من الممتنعات ، يقول شيخ الإسلام يرحمه الله (حقيقة قول الفلاسفة في الصفات : إن الرسل كذبت فيما أخبرت به عن الله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر لأجل ما رأوه من مصلحة الجمهور في الدنيا) انظر المقالات ١/ ١٤٦ – ١٤٧ ، الفتاوى ٣/ ٧ – ١٦٦ ، منهاج السنة ٢/ ١٠٩ ، تناقص أهل الأهواء ١/ ٣٨٣ .

المدح والثناء لا يكون إلا بالأمور الوجودية وإنما الذي استعمل في حقه تعالى هو العدم المتضمن ثبوت ضده كنفي النسة والنوم، كقوله تعالى ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ ﴾ البقرة : ٢٥٥

وكلمة لا نقص فيه أي : من جميع الوجوه فإن كان كمالاً من وجه ونقصاً من وجه لم يتصف به البارئ جل وعلا، وذلك كالسنة والنوم فإنها من جهة هي كمال في المخلوق، ومن جهة تدل على عدم كمال حياته، فلذا لا يوصف بها البارئ جل شأنه، وإنما كان الخالق أولى بالكمال لانه واهبه فإن عُري عنه كان أنقص من مخلوقه وهو ممتنع[1] فعلاً، ولأنه لو كان عارياً عن الكمال لما أوجده لان فاقد الشيء لا يعطيه غيره وهو أولى به.

وكذلك الفطرة السوية تدل على اتصاف الله عز وجل بالأسماء الحسنى والصفات العلا، فنجد العبد عند الضرورة لا يلجا إلا إلى الله ليقينه بأن الله وحده هو القادر على كشف ضره وهذا ما نوه عنه القرآن الكريم في وصف المشركين حيث كانوا مع شركهم يقرون بالفطرة أن الله عز وجل يكشف الغم والكرب فقال تعالى ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾ العنكبوت : ٦٥ ، فتوحيد الأسماء والصفات دل عليه القرآن الكريم والسنة والنبوية والعقل السليم والفطرة.

(١) منهج ودراسات لأيات الاسماء والصفات ، القواعد المثلى في صفات الله واسمائه الحسنى المدخل لدراسة العقيدة الإسلامية ٤٨ – ٥٠ .

المبحث الثالث

المبحث الثالث

قواعد عامة في الصفات

القاعدة الأولى :

إثبات ما أثبته الله لنفسه في كتابه، أو ما أثبته له رسوله ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل[1].

القاعدة الثانية :

نفي ما نفاه الله عن نفسه في كتابه، أو نفاه عنه رسوله ﷺ[2] مع اعتقاد ثبوت كمال ضده لله تعالى[3]، كنفي الموت عنه سبحانه يتضمن كمال حياته، ونفي الظلم يتضمن كمال عدله .

القاعدة الثالثة :

صفات الله عز وجل توقيفية، فلا يثبت منها إلا ما أثبته الله لنفسه، أو ما أثبته له رسوله ﷺ، ولا ينفى عن الله عز وجل إلا ما نفاه عن نفسه، أو ما نفاه عنه رسوله ﷺ لأنه لا أحد أعلم بالله من الله تعالى، ولا مخلوق أعلم بخالقه من رسوله الله ﷺ[4].

القاعدة الرابعة :

التوقف في الألفاظ المجملة التي لم يرد إثباتها ولا نفيها، أما معناها فيستفصل عنه، فإن أريد به باطل ينزه الله عنه رُد ، وإن أريد به حق لا يمنع عن الله قبل، مع

---

(١) عقيدة السلف الصالح للصابوني / تحقيق البدر ٢٦ – ٢٧ ، الفتاوى ٣/ ٣ ، ٤ ، ١٨٢ ٥/ ٢٦ ، ٦/ ٣٨ ، ٥١٥ .

(٢) يتضح خطأ أهل التأويل الذين ينفون بعض الصفات عن الله عز وجل كالأشاعرة والماتريدية .

(٣) العقيدة التدمرية / ٥٨ ، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ٣/ ١٣٩ ، صفات الله عز وجل الواردة في الكتاب والسنة – السقاف / ١٩ – ٢٥ .

(٤) الفتاوى ٥/ ٢٦ ، ٢٩٩ ، ٦/ ٣٦ ، التدمرية / ٦٥ ، الصفدية / مكتبة ابن تيمية ١/ ٩٨٧ – ٤٤٧ .

بيان ما يدل على المعنى الصواب من الألفاظ الشرعية، والدعوة إلى استعماله مكان هذا اللفظ المجمل الحادث. مثال لفظة (الجهة) يتوقف السلف الصالح في إثباتها ونفيها وقالوا (نسأل قائلها: ماذا يعني بالجهة؟ فإن قال: أعني أنه في مكان يحويه قلنا: هذا معنى باطل ينزه الله عنه ورددناه ، وإن قال: أعنى جهة العلو المطلق، قلنا: هذا حق لا يمتنع على الله وقبلنا المعنى، وقلنا له، لكن الأولى والأحرى أن تقول: هو في السماء، أو في العلو، كما وردت به الأدلة الصحيحة، وأما لفظة (الجهة) فهي مجملة حادثة الأولى تركها حتى لا نقع في الالتباس والتمويه .

القاعدة الخامسة :

كل صفة ثبتت بالنقل الصحيح، توافق العقل الصريح[1] ، وكل من قال بخلاف ذلك فهو كاذب آثم، فإن الذي عليه أهل السنة والجماعة أن العقل الصريح دائماً موافق للنقل الصحيح لا يخالف قط، لكن قد تقصر عقول الناس عن معرفة تفصيل ما جاء به الرسول ﷺ، فالرسل صلوات الله وسلامه عليهم تخبر بمحيرات العقول ولا تخبر بمحالات العقول، فعند توهم التعارض يقدمون الشرع لأن العقل مصدق للشرع في كل ما أخبره، والشرع لم يصدق العقل في كل ما أخبره[2].

القاعدة السادسة :

قطع الطمع عن إدراك حقيقة الكيفية[3]، لقوله تعالى ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴾ طه : ١١ .

---

(١) مختصر الصواعقد المرسلة ١/ ١٤١ ، ٢٥٣ .

(٢) درء التعارض – جامعة الإمام ٥/ ٢٩٧ ، الفتاوى ١٧/ ٤٤٤ – ٤٤٧ ، تناقض أهل الأهواء ١/ ١٥٢ .

(٣) منهج ودراسات لأيات الأسماء والصفات ٢٥ – ٢٦ .

القاعدة السابعة:

صفات الله عز وجل تثبت على وجه التفصيل، وتنفى على وجه الإجمال[1] فالإثبات المفصل، كإثبات السمع والبصر وسائر الصفات، والنفي المجمل كنفي المثلية في قوله تعالى ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ الشورى : ١١.

القاعدة الثامنة:

كل اسم ثبت لله عز وجل، فهو متضمن لصفة وليس العكس[2]، مثال اسم الله الرحمن متضمن صفة الرحمة، والكريم متضمن صفة الكرم، واللطيف متضمن صفة اللطف ..... وهكذا، ولكن صفاته : الإرادة، والإتيان، والاستواء لا تنشق منها أسماء فنقول: المريد، الآتي والمستوي ..... وهكذا.

القاعدة التاسعة:

صفات الله كلها صفات كمال، لا نقص فيها بوجه من الوجوه[3].

القاعدة العاشرة:

صفات الله عز وجل ذاتية وفعلية، والصفات الفعلية متعلقة بأفعاله، وأفعاله لا منتهى لها، قال تعالى ﴿ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴾ إبراهيم : ٢٧ [4]

---

(١) الفتاوى ٥/ ٢٠٦ ، ٦/ ٣٧ ، ٥١٥ ، مختصر الصواعق المرسلة ١/ ٢٣٢ ، بدائع الفوائد ١/ ١٦٨ .

(٢) بدائع الفوائد ١/ ١٦٢ ، القواعد المثلى / ٣٠ ، أسماء الله الحسنى في ضوء الكتاب والسنة – القحطاني ٣٣ – ٣٦ .

(٣) منهج ودراسات لأيات الأسماء والصفات / ٢٦ ، شرح أسماء الله الحسنى – القحطاني ٢٢ – ٢٣ .

(٤) الفتاوى ٥/ ٢٠٦ ، مختصر الصواعق المرسلة ١/ ٢٣٢ ، بدائع الفوائد ١/ ١٦٨ ، القواعد المثلى / ٣٠ ، ٣٨ .

القاعدة الحادية عشرة :

دلالة الكتاب والسنة على ثبوت الصفة : إما التصريح بها، أو تضمن الاسم لها، أو التصريح بفعل أو وصف دال عليها.

* **مثال الأول :** الرحمة، والعزة، والقوة، والوجه، واليدين ونحو ذلك.
* **مثال الثاني :** البصير متضمن صفة البصر والسميع متضمن صفة السمع، والقادر متضمن صفة القدرة ونحو ذلك.
* **مثال الثالث :** ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ طه : ٥، دال ذلك على الاستواء، ﴿ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴾ السجدة : ٢٢ دال على الانتقام ونحو ذلك.

القاعدة الثانية عشرة :

صفات الله عز وجل يستعاذ بها ويحلف بها[1]، ومنه قوله ﷺ (أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك)[2] وفرق بعضهم بين الحلف بالصفة الفعلية والصفة الذاتية، وقالوا لا يجوز الحلف بصفات الفعل.

القاعدة الثالثة عشرة :

الكلام في الصفات كالكلام في الذات[3]، فكما ذاته حقيقية لا تشبه الذوات، فهي متصفة بصفات حقيقية لا تشبه الصفات، وكما أن إثبات الذات إثبات وجود لا إثبات كيفية، كذلك إثبات الصفات.

---

(١) شرح السنة للبغوي ١/ ١٨٥ – ١٨٧ الفتاوى ٦/ ١٤٣ ، ٢٢٩ .
(٢) البخاري في الإيمان والنذور – باب الحلف بعزة الله وصفاته وكلماته ١ / ٤٨٦ .
(٣) الكلام على الصفات للخطيب البغدادي / ٢٠ الحجة في بيان المحجة – الأصبهاني ١/ ١٧٤ التدمرية / ٤٣ ـ الفتاوى ٥/ ٣٣٠ ، ٦/ ٣٥٥ .

القاعدة الرابعة عشرة :

القول في بعض الصفات كالقول في البعض الآخر[1] فمن أقر بصفات الله كالسمع، والبصر، والإرادة يلزمه أن يقر بمحبة الله، ورضاه وغضبه وكراهيته[2] يقول شيخ الإسلام يرحمه الله (ومن فرق بين صفة وصف مع تساويهما في أسباب الحقيقة والمجاز، كان متناقضاً في قوله، متهافتاً في مذهبه، مشابهاً لمن آمن ببعض الكتاب وكفر ببعض) [3] .

القاعدة الخامسة عشرة :

ما أضيف إلى الله مما هو غير بائن عنه، فهو صفة له غير مخلوقة، وكل شيء أضيف إلى الله بائن عنه، فهو مخلوق، فليس كل ما أضيف إلى الله يستلزم أن يكون صفة له.

* **مثال الأول :** سمع الله، بصر الله، ورضاه وسخطه.
* **ومثال الثاني :** بيت الله وناقة الله، ورسول الله، فالبيت والناقة والرسول ليست أوصافاً لله وإنما الإضافة من باب التشريف.

القاعدة السادسة عشرة :

صفات الله عز وجل وسائر مسائل الاعتقاد تثبت بما ثبت عن رسول الله ﷺ وإن كان حديثا واحداً وإن كان آحادا[4] ، فأهل السنة والجماعة يراعون قواعد الاستدلال ويجمعون بين أطراف الأدلة بأن يرجعوا إلى القرآن كله وإلى السنة كلها[5] .

---

(١) التدمرية / ٣١ ، الفتاوى ٥/ ٢١٢ ، ٩/ ٢٩٠ ، الجواب الصحيح ٣/ ١٤٥ .

(٢) هنا يتضح خطأ المذهب الأشعري الذي يُدرس في أقطار الدنيا اليوم على أنه المذهب الحق ، مع أنهم فقط يثبتون سبع صفات وينكرون سواها من المعاني ويؤولونها . انظر منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات ٥ – ١٠ .

(٣) التدمرية / ٣١ ، الفتاوى ٥/ ٢١٢ ، ٩/ ٢٩٠ .

(٤) الآحاد : جمع أحد بمعنى الواحد : وخبر الواحد لغة ما رواه شخص واحد : واصطلاحاً هو ما لم يتوفر فيه شروط المتواتر . انظر من أطيب المنح في علم المصطلح / ٩ .

(٥) الأسماء والصفات للبيهقي ٥١٥ – ٥١٦ ، التمهيد لابن عبد البر ٧/ ١٣٨ ، مختصر الصواعق المرسلة ٢/ ٦٩٥ – ٣٦٠ ، تناقض أهل الأهواء ١/ ١٤٦.

المبحث الرابع

المبحث الرابع

أنواع الصفات

إن مذهب أهل السنة والجماعة من الأسماء والصفات مذهب ثابت ثبات الجبال لا يتغير ولا يتبدل ولا يختلف في وقت دون وقت، حيث إنهم اعتمدوا على كلام الله وكلام الرسول عليه الصلاة والسلام، ومن تمسك بها فلن يضل أبداً، فأهل السنة والجماعة من أصولهم التي يدينون بها إثبات ما ورد في كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ من أسماء الله وصفاته، لا يفرقون بين الأسماء والصفات، ولا بين بعض صفاته وبعض، بل قولهم في الجميع واحد، لا ينفون ولا يؤلون ولا يقسمون الصفات إلى معنوية[1] وسلبية[2] ولا يكيفون أو يشبهون منها بصفات المخلوقين، يقول شيخ

---

(١) المراد بالصفات المعنوية هي الآتية : القدرة ، والإرادة والعلم والحياة والسمع والبصر والكلام والمراد بصفة المعنى عند من يثبتونها من الأشاعره وغيرهم : هي ما دلت على معنى وجودي قائم بالذات ، يقول الإمام الشنقيطي يرحمه الله (والتحقيق إن عدد الصفات السبع المعنوية التي هي كونه تعالى قادراً ، ومريداً ، وعالماً ، وحياً ، وسميعاً وبصيراً ، ومتكلماً ، لا وجه له لأنها في الحقيقة إنما هي كيفية الاتصاف بالمعاني السبع التي ذكرنا ومن عدها من المتكلمين عدوها بناء على ثبوت مايسمونه الحال المعنوية التي يزعمون أنها واسطة ثبوتية لا معدومة ولا موجودة والتحقيق إن هذه خرافة وخيال ، وإن العقل الصحيح لا يجعل بين الشيء ونقيضه واسطة البتة فكل ما ليس بموجود فهو معدوم قطعاً وكل ما ليس بمعدوم فهو موجود قطعاً ، ولا واسطة البتة كما هو معروف عند العقلاء) انظر منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات / ٩ – ١٠ .

(٢) الصفات السلبية عند المتكلمين خمس صفات وهي القدم والبقاء والمخالفة للخلق والوحدانية والغنى المطلق الذي يسمونه القيام بالنفس ، والمراد بصفة السلب : أنها تدل على سلب ما لا يليق بالله عن الله من غير أن تدل على معنى وجودي قائم بالذات بخلاف أهل السنة والجماعة فأن صفة السلب عندهم ينفون صفة النقص عن الله عز وجل مع إثبات ضدها فنفي الموت والظلم يتضمن إثبات الحياة الدائمة والعدل المطلق . انظر الفتاوى ٦/ ٢١٧ – ٢٢٣ ، العقيدة النونية للهراس ٢/ ١٠٩ ، القواعد المثلى ٣١ – ٣٤ ، منهج ودراسات لأيات الأسماء والصفات / ٨ .

الإسلام يرحمه الله (ومذهب سلف الأمة وأئمتها أن يوصف الله بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، يثبتون لله ما أثبته لنفسه من الصفات، وينفون عنه مماثلة المخلوقات، ينزهونه عن النقص والتعطيل ومن التشبيه والتمثيل، إثباتاً بلا تشبيه وتنزيه بلا تعطيل "ليس كمثله شيء" رد على الممثلة "وهو السميع البصير" رد على المعطلة) [1]، ولكن بعد ظهور أهل البدع والأهواء وتقسيمهم الصفات، وخاض المتكلمون في صفات الله عز وجل، وأولوها وعطلوها، وقسموها إلى أقسام ما أنزل الله بها من سلطان، كالصفات النفسية والمعنوية وغير ذلك اضطر علماء أهل السنة لهذا التقسيم واصطلحوا عليه[2].

يمكن تقسيم صفات الله عز وجل إلى ثلاثة أقسام:

أولاً : من حيث إثباتها ونفيها

ثانياً : من حيث تعلقها بذات الله وأفعاله

ثالثاً : من حيث ثبوتها وأدلتها

وكل قسم من هذه الأقسام ينقسم إلى نوعين :

أولاً : من حيث إثباتها ونفيها :

أ- صفات ثبوتية :

وهي ما أثبتة الله تعالى لنفسه، أو أثبته له رسوله ﷺ كالاستواء، والنزول والمجيء والوجه، واليدين .... ونحو ذلك وكلها صفات مدح وكمال.

---

(١) منهاج السنة – ط / جامعة الإمام ٢/ ١١١ ، تناقض أهل الأهواء ١/ ٤٠٣ .

(٢) الفتاوى المصرية لابن تيمية – تحقيق محمد ومصطفى عطا ٦/ ٧٤٥ ، الصواعق المرسلة ٢/ ٤١٨ .

ب- صفات سلبية.

وهي ما نفاه الله عن نفسه، أو ما نفاه عنه رسوله ﷺ، وكلها صفات نقص كالموت، والسنة والنوم، والظلم والعجز .... وغالباً تأتي في الكتاب أو السنة مسبوقة بأداة نفي، مثل (لا) و (ما) و (ليس) وهذه تنفى عن الله عز وجل، ويثبت ضدها من الكمال، فنفي الموت يثبت الحياة الدائمة، والظلم يثبت العدل الكامل وهكذا [1].

ثانياً : من حيث تعلقها بذات الله وأفعاله

أ- صفات ذاتية.

وهي التي لم يزال الله متصفاً بها كالعلم، والقدرة، والحياة، والسمع والبصر والوجه، واليدين .... ونحو ذلك.

ب- صفات فعلية.

وهي الصفات المتعلقة بمشيئة الله وقدرته، إن شاء فعلها وإن شاء لم يفعلها كالمجيء، والنزول، والغضب، والفرح، والضحك .... ونحو ذلك، وتسمى الصفات الاختيارية المشيئية. وأفعاله سبحانه وتعالى نوعان :

١- لازمة : كالاستواء والنزول والإتيان .... ونحو ذلك .
٢- متعدية : كالخلق والإعطاء ..... ونحو ذلك.

وأفعاله سبحانه وتعالى لا منتهى لها، "ويفعل الله ما يشاء" وبالتالي صفات الله الفعلية لا حصر لها. والصفات الفعلية من حيث قيامها بذات الله تسمى صفات

---

(١) رسالة إلى أهل الثغر – للأشعري – تحقيق الجندي / ١٨٥ ، النبوات – ط / دار الكتب العلمية ٢٠١ ، منهاج السنة ط/ جامعة الإمام ١/ ١٥٧ ، ٥١٨ ، درء التعارض ط/ دار الكنوز ٨/ ٩٨ – ٩٩ الصفدية ٢/ ٥٤ – ٥٥ .

ذات، ومن حيث تعلقها بما ينشا عنها من الأقوال والأفعال تسمى أفعال، ومن أمثلة ذلك صفة الكلام، فكلام الله عز وجل باعتبار أصله ونوعه صفة ذات وباعتبار آحاد الكلام وإفراده صفة فعل[1].

ثالثاً : من حيث ثبوتها وأدلتها :

أ - صفات خبريه :

وهي الصفات التي لا سبيل إلى إثباتها إلا السمع والخبر عن الله أو عن رسوله ﷺ وتسمى (صفات سمعيه أو نقليه)، وقد تكون ذاتية كالوجه واليدين والسمع والبصر، وقد تكون فعليه كالفرح والضحك والتعجب[2].

ب - صفات سمعية عقلية :

وهي الصفات التي يشترك في إثباتها الدليل السمعي (النقلى)[3] والدليل العقلي، وقد تكون ذاتية كالحياة، والعلم، والقدرة، وقد تكون فعليه كالخلق والإعطاء[4].

---

(١) شرح إضاءة الدجنة – للمغربي المالكي ٠/ ٣٦ ، الصواعق المرسلة ٢/ ٤٦٠ – ٤٦٧ .
(٢) الإرشاد للجويني – تحقيق اسعد غنيم / ١٣٨ .
(٣) الفتاوى ٦/ ٢١٧ – ٢٣٣ ، شرح القصيدة النونية ٢/ ١٠٩ ، القواعد المثلى / ٣١ – ٣٤ .
(٤) تأويلات أهل السنة للماتريدي / ٤٣٥ – ٤٣٦ ، التوحيد للماتريدي ط / دار الجامعات المصرية / ٤٣٥ .

المبحث الخامس

المبحث الخامس

موقف الناس من الأسماء والصفات

إن مبحث الأسماء والصفات قد شغل حيزا كبيرا من كتب أهل السنة والجماعة، حيث تعددت المدارس فيه وتشعبت الآراء والمعتقدات، ولم يكن الأمر كذلك في أبان عهد النبوة وعهد الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم، ولكن بعد ذلك قد تداخلت المعتقدات، وأفرزت اتجاهات عدة في أسماء الله وصفاته[1]، وضحها شيخ الإسلام يرحمه الله بقوله (وجماع الأمر أن الأقسام المختلفة في آيات الصفات وأحاديثها ستة أقسام، كل قسم عليه طائفة من أهل القبلة، قسمان يقولان : تجري على ظواهرها، وقسمان يقولان : هي على خلاف ظاهرها، وقسمان يسكتون، أما الأولون فقسمان :

أحدهما : من يجريها على ظاهرها ، ويجعل ظاهرها من جنس صفات المخلوقين فهؤلاء المشبهة[2] ومذهبهم باطل أنكره السلف.

الثاني : من يجريها على ظاهرها اللائق بجلال الله كما يجري ظاهر اسم العليم والقدير، والرب، والإله، والموجود، والذات ونحو ذلك، على ظاهرها اللائق بجلال الله، فإن ظواهر هذه الصفات في حق المخلوق إما جوهر[3]

---

(١) التحف في مذهب السلف – الشوكاني / ٦ .

(٢) المشبهة : هم الذين يشبهون صفات الله عز وجل بصفات المخلوقين كقول بعضهم : لله سمع كسمعي ، وبصر كبصري ، ويمثلونه بالمحدثات ، ويقيسون صفات الله تعالى على ما ألفوه وشاهدوه من صفات المخلوقين ، وبعضهم يزعم أن صورة الله كصورة الأدمي ، وهو مركب من اليد والرجل والعين ولا حول ولا قوة إلا بالله . انظر المقالات ١/ ٦٦ – ١٠٤ ، التنبية والرد / ٢٩ – ٤٩ ، الفرق بين الفرق / ١٧٠ – ٢٠١ ، التبصير / ١١٩ – ١٤٠ .

(٣) الجوهر : هو مالا مادة له ، ويطلق على كل متحيز . الكليات / ٣٣٠ – ٣٤٥ .

محدث أو عرض[1] قائم به كالعلم والقدرة والكلام والمشيئة والرحمة والغضب ونحو ذلك في حق العبد أعراض، والوجه والعين في حقه أجسام[2]، فإذا كان الله موصوفاً عند عامة أهل الإثبات بأن له علماً وقدرة وكلاماً ومشيئة، وإن لم يكن ذلك عرضاً، يجوز عليه ما يجوز على المخلوقين، جاز أن يكون وجه الله ويداه صفات ليست أجساماً، يجوز عليها ما يجوز على صفات المخلوقين.

وأما القسمان اللذان ينفيان ظاهرها أعني الذين يقولون : ليس لها في الباطن مدلول هو صفة الله تعالى قط، وإن الله لا صفة له ثبوتية بل صفاته إما سلبية وإما إضافية وإما مركبة منها، أو يثبتون بعض الصفات السبع أو الثماني أو الخمس عشرة، أو يثبتون الأحوال دون الصفات ويقرون من الصفات الخبرية بما في القرآن دون الحديث على ما قد عرف من مذاهب المتكلمين، فهؤلاء قسمان : قسم يتأولونها ويعينون المراد مثل قولهم : استوى بمعنى استولى، أو بمعنى علو المكانة والقدر، أو بمعنى ظهور نوره للعرش، أو بمعنى انتهاء الخلق إليه، إلى غير ذلك من معاني المتكلمين، وقسم يقولون : الله اعلم بما أراد بها، لكنا نعلم أنه لم يرد إثبات صفة خارجة عما علمناه.

وأما القسمان الواقفان [3] : فقوم يقولون : يجوز أن يكون ظاهرها المراد اللائق بجلال الله، ويجوز أن لا يكون المراد صفة الله ونحو ذلك، وهذه طريقة كثير

---

(١) العرض : بفتحتين عبارة عن معنى زائد على الذات أي ذات الجوهر . الكليات / ٦٣٤ .

(٢) الجسم عند المتكلمين مركب من أجزاء متناهية لا تتجزأ بالعقل ولا بالوهم وتسمى تلك الأجزاء جواهر فردة تتألف منها الأجسام المماثلة لا تتمايز إلا بالأعراض ، والجسم عند الاشعري هو الجوهر المنقسم ، والجوهر الذي لا ينقسم يسمى فرد وجزء لا يتجزأ فليس للجوهر عنده قسم أخر أما المعتزلة فالمقسم في جهة يسمى خط ، وفي جهتين يسمى سطح ، وفي ثلاثة جهات يسمى جسم . انظر الكليات / ٢٣٤ – ٣٤٥ .

(٣) الواقفة كفرقة مستقلة لا توجد إلا في الرافضة الغالية الذين يزعمون أن الله عز وجل وكل الأمور إلى محمد ﷺ ، وأنه أقدره على خلق الدنيا فخلقها ودبرها ، وإن الله سبحانه وتعالى لم يخلق من ذلك شيئاً والمراد بالواقفة في قول شيخ الإسلام يرحمه الله (هم الذين يتوقفون عند ظاهر النصوص ولا يثبتون صفاتاً لله عز وجل) انظر المقالات ١/ ١١ ، الفرق بين الفرق / ١٩٠ – ١٩١ .

من الفقهاء وغيرهم، وقوم يمسكون عن هذا كله ولا يزيدون على تلاوة القرآن وقراءة الحديث معرضين بقلوبهم وألسنتهم عن هذه التقديرات، فهذه الأقسام الستة لا يمكن أن يخرج الرجل عن قسم منها)[1] ومن خلال قول شيخ الإسلام يرحمه الله يتضح موقف الناس حيال نصوص الأسماء والصفات وهو كالأتي : التمثيل، والنفي، والتعطيل، والتحريف، والتوقف والسكوت والتفويض[2].

أولاً التمثيل :

إن التمثيل نوعان :

١- تمثيل المخلوق بالخالق :

معناه إثبات شيء للمخلوق مما يختص به الخالق من الأفعال والحقوق والصفات .

٢- تمثيل الخالق بالمخلوق :

معناه أن يثبت لله في ذاته أو صفاته مثل ما يثبت للمخلوق من ذلك.

---

(١) الفتاوى ٥/ ١١٣ – ١١٧ .

(٢) التفويض لغة : هو الرد ، وجعل الأمر إلى الغير ، قال تعالى ((أفوض أمري إلى الله)) فاطر : ٤٤ أي أسلم أمري إلى الله وأجعله إليه وأتكل عليه ، وأرد الأمر إليه ، ومن معاينة التساوي ، الاختلاط ، المجاورة ، التفرق .
اصطلاحاً : هو التوقف في معاني الصفات والاسماء . انظر المفردات ٣٨٧ – ٣٨٨ ، التوقيف على مهمات التعاريف / ٥٦٧ – ٥٦٨ ، الكليات / ٦٩١ ، العقيدة النظامية في الأركان الإسلامية / ٣٢ – ٤٣ ، درء التعارض – ط / دار الكنوز ١/ ٢٠٥ .

ومن الصنف الأول : السبئية [١] وغيرها من فرق الشيعة [٢] الذين شبهوا علياً رضي الله عنه بذات الله، وزعموا أن الرب إنسان من نور على صورة الإنسان في أعضائه وأنه يفنى كله إلا وجهه، وأن المعبود ذو أعضاء على صور حروف الهجاء، وأن الأئمة آلهة، وهذه الفرق من المشبهة قال عنهم البغدادي [٣] إنهم خرجوا عن الإسلام [٤] وإن انتسبوا إليه في الظاهر .

ومن الذين شبهوا المخلوق بالخالق فرقة الكرامية [٥] الذين يقولون بحلول الحوادث على الله عز وجل.

---

(١) السبئية : نسبة إلى عبد الله بن سبأ غالوا في حق علي حيث قالوا له : أنت أنت قال ومن أنا ؟ قالوا الخالق الباري ، فاستتابهم فلم يرجعوا فأوقد لهم وأحرقهم وقال مرتجزاً :
لما رأيت الأمر أمراً منكراً أججت ناري ودعوت قنبراً ، يعتقدون أن عليا لم يمت وعندما جاءهم نعي على رضي الله عنه قالوا : لو اتيتمونا بدماغه في سبعين قارورة لم نصدق بموته ، يفسرون قوله تعالى : ((هل ينظرون إلا أن يأتيهم في ظلل من الغمام)) المائدة : ٩٢ ، بأن علياً هو الذي يأتي في الظل ، والرعد صوته والبرق تبسمة . انظر الملل والنحل ١/ ١٥٢ – ١٥٣ ، المقالات ١/ ٨٦ الفرق بين الفرق / ١٦ ، الملل والنحل الواردة في كتاب الأنساب – للسمعاني / ٤٠ .

(٢) الشيعة : هم الذين شايعوا عليا رضي الله عنه ، وقدموه على سائر الصحابة ، ثم ظهرت السبئية المنتسبون إلى عبد الله بن سبأ ، فادعوا إمامة علي بالنص ، وقالوا بالغيبة والرجعة ثم الإمامة في ذريته على اختلاف بينهم ، ثم صار التشيع ستاراً للفرق الباطنية الملحدة ، وهم نحو خمس عشرة فرقة بل تزيد . انظر المقالات ١/ ٦٥ ، الملل والنحل ١/ ١٤٦ ، الفرق بين الفرق / ٢٩ اعتقادات فرق المسلمين والمشركين / ٥٩ – ٨٣ ، ذكر مذاهب الفرق / ٧٢ – ٨٨ .

(٣) البغدادي : أبو منصور عبد القاهر البغدادي الشافعي الأشعري من أكبر تلاميذ أبي إسحاق الاسفرائيني له تصانيف في النظر والعقليات ، منها أصول الدين ، الفرق بين الفرق وغيرها توفي سنة ٤٢٩هـ انظر تبين كذب المفتري / ٢٥٤ – ٢٥٤ ، طبقات الشافعية ٥/ ١٣٦ – ١٤٨ السير / ٩١ – ٩٢ .

(٤) الفرق بين الفرق / ١٧٥ .

(٥) الكرامية : أصحاب محمد بن كرام السجستاني ، يزعمون أن الإيمان هو الإقرار والتصديق باللسان دون القلب ، وأن الكفر هو الجحود والإنكار له باللسان ، وأن الله محل للحوادث ، وأنه لا يحدث في العالم جسم ولا عرض إلا بعد حدوث أعراض كثيرة في ذات معبودهم ، انظر المقالات ١/ ٢٢٣ ، الفرق بين الفرق / ١٦١ – ١٦٣ ، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين / ٨٧ – ٨٩ ، التبصير في الدين / ١١١ – ١١٧ ، البرهان / ٣٥ – ٣٦ .

الصنف الثاني من الممثلة :

الذين مثلوا صفات الخالق بالمخلوق كبعض الشيعة والمعتزلة الذين شبهوا كلام الله عز وجل بكلام خلقه، والروافض[1] الذين قالوا بأن الله تعالى لا يعلم الشيء حتى يكون، فأوجبوا حدوث علمه كما يجب حدوث علم العالم من البشر ، وقول كلا الفرقتين : أي من شبه الخالق بالمخلوق، أو المخلوق بالخالق باطل بالنقل والعقل اللذين قد دلا دلالة واضحة على مباينة الخالق للمخلوق في جميع الأفعال والأقوال والأسماء والصفات، فصفات الخالق تليق به، وصفات المخلوق تليق به قال تعالى ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ الشورى : ١١، وأما العقل فكيف يماثل الناقص الكامل وهذا مستحيل فالعقل يوافق النقل، فكل موجود في خارج الذهن لا بد أن يكون متصفاً بصفة، وهذه الصفة إما أن تكون صفة كمال أو صفة نقص، وصفة النقص ممتنعة في حق الإله المعبود واللائق به الكمال، ومن جهة أخرى فإن المشاهدة والحس تدل على ثبوت صفات كمالية للمخلوق والله خالق المخلوق وصفاته فواهب الكمال أولى بالكمال، ومن ثم فلا يشبه الخالق المخلوق أو الكامل الناقص[2].

وبذلك يتضح براءة أهل السنة والجماعة من تلقيبهم بالمشبهة وخاصة الحنابلة، فهذا الاتهام من باب الكذب والافتراء، يقول شيخ الإسلام يرحمه الله

---

(١) الرافضة : من فرق الشيعة سميت الرافضة لرفضهم أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، وقبل زيد بن علي رضي الله عنهما ، وأجمعت الرافضة على الإمامة ، والعصمة ، والرجعة ، قالوا بتفضيل علي رضي الله عنه على سائر الصحابة ، وأنه الإمام بعد رسول الله ﷺ وغير ذلك من الخرافات والأباطيل . انظر مقالات الإسلاميين ١/ ٩٠ – ١٣٤ ، التنبية والرد / ٢٩ – ٤٦ ، التبصير في الدين / ٢٧ – ٤٢ .

(٢) الفتاوى ٣/ ١٨٥ .

(وأما الحنبلية المحضة فليس فيهم من ذلك ما في غيرهم) [1] وقال (وفي الحنبلية أيضاً مبتدعة وأن كانت البدعة في غيرهم أكثر وبدعهم غالباً في زيادة الإثبات في حق الله، وفي زيادة الإنكار على مخالفيهم بالتكفير) [1].

فهنا يشهد عليهم شيخ الإسلام بقوة الإثبات لا التشبيه، وشتان بين الأمرين !! فيظهر كذب وافتراء أهل الأهواء من نسبة التشبيه إلى الحنابلة .

ثانياً : التعطيل :

إن التعطيل عند أهل الأهواء والبدع ينقسم إلى قسمين :

١- تعطيل كلي محض : وهو ما عليه نفاة الصفات من الفلاسفة والقرامطة [2] والجهمية ويسمون بأهل التخييل، يقول شيخ الإسلام يرحمه الله (وهذا الأصل الباطل الذي أصله نفاة الصفات الجهمية المحضة من المعتزلة وغيرهم وهو الذي فارقهم به جميع المثبتة للصفات) [3] .

---

(١) الفتاوى ٢٠/ ١٨٦ .

(٢) القرامطة : نسبتهم إلى رجل من سواد الكوفة يقال له قرمط بكسر القاف وسكون الراء وكسر الميم وبعدها طاء مهملة ، لهم مذهب مذموم ، كانوا قد ظهروا في سنة ٢٨١هـ في – خلافة المعتصم بالله وطالت أيامهم وعظمت شوكتهم وأخافوا السبيل واستولوا على بلاد كثيرة وأخبارهم مستقصاه في التواريخ ، يزعمون أن النبي ﷺ نص على علي بن أبي طالب ، وزعموا أن محمد بن إسماعيل حي إلى اليوم ولم يمت ولا يموت حتى يملك الأرض وأنه هو المهدي الذي يظهر في أخر الزمان . انظر المقالات ١/ ١٠٠ – ١٠١ ، الفرق بين الفرق / ١٦-١٧ البرهان / ٨٠ – ٨١ .

(٣) الفتاوى ١٧/ ١٤٨ – ١٤٩ .

٢- تعطيل جزئي : وهو ما تعلق بنوع معين من الصفات وإن كان الأصل لديهم الإثبات جملة، كالكلابية [١] والاشعرية [٢] والماتريدية[٣] ، يقول شيخ الإسلام يرحمه الله (والجهمية والمعتزلة مشتركون في نفي الصفات وابن كلاب [٤] ومن تبعه كالأشعري [٥] .... ومن تبعهم أثبتوا

---

(١) الكلابية : فرقة تنسب إلى أبي محمد بن عبد الله بن سعيد بن كلاب (بضم الكاف وتشديد اللام) القطان المتوفي سنة ٢٤١هـ ، له أراء كلامية عرفت عنه منها : أنه ليس لله كلام مسموع وأن جبريل عليه السلام لم يسمع من الله شيئاً مما أداه إلى رسله وإنما يعرف ذلك منه بمعنى أخر ، وأنه ليس له كلمات ولا في القرآن سور ولا آيات ولا لغة من اللغات بل هو شيء وأحد يعبر عن ذلك ،وغير ذلك من الترهات . انظر اصول الدين / ٨٩-١٢٣ ، الفصل ٤/ ٢٠٨ ، البرهان / ٣٦ – ٣٨ .

(٢) الاشعرية : هم المنتسبون إلى أبي الحسن الاشعري في مذهبه الثاني ، بعد رجوعه عن الاعتزال وعامتهم يثبتون سبع صفات فقط وينفون عن الله علو الذات ، ويقولون : إن الإيمان هو التصديق كما هو ظاهر من كتبهم التي من أشهرها الإرشاد للجويني ، والمحصول للرازي والمواقف للإيجي ، وهم يوافقون أهل السنة في بعض الأصول . انظر الملل والنحل ١/ ٩٤ – ١٠٣ ذكر مذاهب الفرق / ١٣٢ – ١٣٦ ، مذاهب الإسلاميين / ١/ ٤٨٧ – ٤٧٨ .

(٣) الماتريدية : نسبة إلى أبي منصور الماتريدي ، وهم فرقة مصدرهم في تلقي الإلهيات والنبوات العقل ولم يثبتوا إلا ثمان صفات ، رأوا أن العقل دل عليها دون غيرها ، وقد نفوا جميع الصفات الخبرية والاختيارية ، ويرون أن الإيمان هو التصديق ، وبعضهم يضم إليه الإقرار باللسان ، ونفوا زيادة الإيمان ونقصانه وحرموا الاستثناء فيه ، ويرون أن المعاصي لا أثر لها على أصل الإيمان . انظر الفرق بين الفرق / ١٥١ – ١٦١ ، التبصير في الدين ٩٧ – ١٩٩ ، البرهان ٣٤ – ٤٩ ، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ٩٣ – ٩٥ ، الماتريدية دراسة وتقويماً – للحربي – ٤٤ ، ٤٤٧ ، ٤٥٣ ، ٤٥٤ .

(٤) ابن كلاب : عبد الله بن سعيد بن كلاب القطان البصري ، أحد المتكلمين في أيام المأمون ، قيل إنه سمي ابن كلاب لأنه كان يخطف الذي يناظره ، قيل إنه كان نصرانياً من أهل البصرة وزعم الإسلام ويرجح الذهبي وابن تيمية عدم صدق هذا القول ، حيث إنه كان شديداً على المعتزلة يرد بدعهم ويدحض حججهم فاتهموه بذلك حتى يشككوا فيه وفي أقواله ، كان يقول : إنه ليس لله كلام مسموع وإن جبريل عليه السلام لم يسمع من الله شيئاً مما أداه إلى رسله ، وأن الذي انزل على الرسل حكاية كلام الله ، له مؤلفات منها الصفات ، خلق الأفعال ، الرد على المعتزلة ، توفي سنة ٢٤١هـ . انظر لسان الميزان ٣/ ٢٩٠ – ٣٩١ عقائد الثلاث والسبعين فرقة ١/ ٢٧٩، البرهان ٣٦ – ٣٧ الفتاوى ١٢/ ١٦٥ ، موقف ابن تيمية من الأشاعرة – للمحمود – ١/ ٤٣٨ – ٤٥٢ .

(٥) الأشعري : ابو الحسن الأشعري أبو على بن إسماعيل بن إسحاق الأشعري ، كان إماماً متكلماً تبحر في كلام الاعتزال أول حياته وبرع فيه ثم تركه وذمه وصنف في الرد عليه ، قضي فترة على مذهب الكلابية بعد رجوعه عن الاعتزال ، ويقال إنه في أخر حياته ترك الكلام وذمة ورجع إلى مذهب السلف الصالح ، واعلن تمسكة به وتخليه عما قبله ، من أخر مؤلفاته على =

الصفات لكن لم يثبتوا الصفات الاختيارية)[1] فلذلك مراتب التعطيل كالآتي :

١ - نفي النقيضين :

وهو مذهب غلاة الفلاسفة والقرامطة والباطنية [2] الخارجون عن الدين الإسلامي حيث يقولون : لا يوصف بالنفي ولا الإثبات ويسلبون عنه النقيضين فيقولون : لا موجود ولا معدوم [3] ولا حي ولا ميت ولا عالم ولا جاهل، لأنهم يزعمون أنهم إذا وصفوه بالإثبات شبهوه بالموجودات، وإذا وصفوه بالنفي شبهوه بالمعدومات، فوقعوا في شر ما فروا منه، فإنهم شبهوه بالممتنعات إذ سلب النقيضين كليهما من الممتنعات يقول شيخ الإسلام يرحمه الله (حقيقة قول الفلاسفة في الصفات إن الرسل كذبت فيما أخبرت به عن الله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الأخر لأجل ما رأوه من مصلحة الجمهور في الدنيا)[4] .

= مذهب السلف : الإبانة عن أصول الديانه ، يقول عنه شيخ الإسلام (كانت خبرته بالكلام خبرة مفصلة ، وخبرته بالسنة خبرة مجملة فلذلك وافق المعتزلة في بعض أصولهم التي التزموا لأجلهم خلاف السنة ، واعتقد أنه يمكن الجمع بين تلك الأصول وبين الانتصار لأهل السنة كما فعل في مسألة الرؤية والكلام والصفات الخبرية وغير ذلك) انظر السير ١٥/ ٨٥ ، تاريخ بغداد ١١/ ٣٤٧ ، الفتاوى ١٢/ ٢٠٥ .

(١) الفتاوى ١٣/ ١٣١ .

(٢) الباطنية / إحدى الفرق المنتسبة إلى الإسلام ، أسسها ميمون بن ديصان القداح ومحمد بن الحسن الملقب بدندان ، ظهرت في زمن المأمون ، سموا بذلك لأنهم يدعون أن لظواهر القرآن والأحاديث بواطن تجري من الظواهر مجرى اللب من القشرة ، وقد تأولوا أصول الدين على الشرك وإلى رفع الشريعة وحقيقة مذهبهم أنهم دهرية زنادقة قائلون بقدم العالم ، منكرون للرسل والشرائع . انظر التنبيه والرد / ٢٩ – ٤٦ ، الفرق بين الفرق ٢١٣ – ٢٣٣ ، التبصير في الدين ١٤٠ – ١٥٠ .

(٣) المقالات ١/ ١٤٦ – ١٤٧ .

(٤) الفتاوى ٣/ ٧ ، ١٨ ، ١٣ ، ١٦٥ ، ١٦٦ ، منهاج السنة ط جامعة الإمام ٢/ ١٠٩ .

٢. نفي الأسماء والصفات :

باعتباره الوجود المطلق بشرط الإطلاق وهو مذهب الجهمية المحضة والفلاسفة الدهرية وهم الغلاة، فوصفوه بالسلوب أي يجعلون الصفات الثبوتية لله عز وجل من قبيل السلوب والإضافات دون صفات الإثبات، وجعلوه الوجود المطلق بشرط الإطلاق فجعلوا العلم عين العالم، يقول الإمام أحمد يرحمه الله عند كلامه عن جهم بن صفوان[١] (وزعم أن من وصف الله بشيء مما يوصف به نفسه في كتابه، أو حدث عنه رسوله كان كافراً، وكان من المشبهة فأضل بكلامه بشراً كثيراً ..... ووضع دين الجهمية فإذا ساهم الناس عن قول الله "ليس كمثله شيء" يقولون : ليس كمثله شيء من الأشياء وهو تحت الأرضين السبع كما هو على العرش[٢]، ولا يخلو منه مكان ولا يكون في مكان دون مكان ولم يتكلم[٣] ولا يتكلم ولا ينظر إليه في الدنيا ولا في الآخرة، ولا يوصف ولا يعرف بصفة ولا بفعل ولا له غاية ولا منتهى)[٤].

---

(١) الجهم بن صفوان : هو أبو محرز الراسبي رأس الضلالة ورأس الجهمية الكاتب ، المتكلم ، نشأ بالكوفة وكان رجلاً فصيحاً ولم يكن له نفاذ في العلم ، فاتصل ببعض الزنادقة فبلغوا ، به إلى أن أنكر صفات الله ، لأن الله فيما زعموا له لا ينبغي أن يوصف بصفات يوصف بها خلقه ثم ذهب إلى أن الإنسان مجبور على أفعاله ، وقد قتله سلم بن الأحوز سنة ١٢٨هـ انظرالسير ٦/ ٢٦ ، الأعلام ٢/ ١٤١ .

(٢) إن من أصول الجهمية : إنكار كون الله في السماء ، مع نفي صفة العلو لله سبحانه وتعالى والقول بالحلول والاتحاد ، انظر المقالات ١/ ٢١٣ – ٢١٤ ، التبصير في الدين ١٠٧ – ١٠٩ اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ٨٩ – ٩٣ – البرهان ٣٤ ، الاستغاثة في الرد على البكري ١/ ٢٤٥ ، ٢٧٦ ، شفاء العليل ١/ ١٩ ، بيان مخالفة الكوثري ٤٣ – ٤٦ .

(٣) إن الجهمية تنفي صفة الكلام عن الله عز وجل وكذلك تنفي الرؤية لله عز وجل فالتوحيد عندهم هو إنكار جميع الأسماء والصفات ويجعلونها من باب المجاز ، ففي النهاية يصفونه بالعدم . انظر الرد على الجهمية لابن منده ، ١٣ ، الاستغاثه في الرد على البكري ١/ ٢٤٥ – ٢٧٦ – ذكر مذاهب الفرق ٢٣٦ – ١٣٩ .

(٤) الرد على الجهمية ١٠٤ – ٤٠٥ ، الفتاوى ٦/ ٣٥ .

والسبب في قولهم هذا: أنهم يزعمون أنهم إذا سموا الله عز وجل بهذه الأسماء فهي مما يسمي به غيره، والله منزه عن مشابهة غيره، والصحيح أن الاتفاق في الاسم العام بين الخالق والمخلوق لا يقتضي المماثلة عند الإضافة والتخصيص يقول شيخ الإسلام يرحمه الله(قد علم بصريح العقل أن هذا لا يكون إلا في الذهن لا فيما خرج عنه من الموجودات .....فقولهم يستلزم غاية التعطيل وغاية التمثيل، فإنهم يمثلون بالممتنعات والمعدومات والجمادات ويعطلون الأسماء والصفات تعطيلا يستلزم نفي الذات)[1].

٣. إثبات أسماء معطلة من الصفات :

وهو مذهب المعتزلة والمقتصدين من الفلاسفة الذين اثبتوا لله الأسماء دون ما تتضمنه من الصفات، ومنهم من جعل العليم و القدير و السميع والبصير كالأعلام المحضة من المترادفات، ومنهم من قال: عليم بلا علم، قدير بلا قدرة سميع بصير بلا سمع وبصر فأثبتوا الاسم دون ما تضمنه من الصفات، فالمعتزلة يثبتون الأسماء الحسنى ولكنهم يفرغونها من معانيها، فيجعلونها أعلاماً محضة لذات الباري جل وعلا بمنزلة الأسماء المترادفة[2] يقول الإمام الطحاوي[3] مبيناً مذهبهم الباطل (فإنهم بنوا أصل دينهم على الجسم و العرض الذي هو الموصوف والصفة عندهم، و احتجوا بالصفات التي هي الأعراض على حدوث الموصوف الذي هو الجسم وتكلموا بالتوحيد على هذا الأصل، فنفوا عن الله كل صفة تشبيها بالصفات الموجودة في الموصوفات التي هي

(١) الفتاوى ٣/ ٧ – ٨ .
(٢) الفتاوى ٣/ ٨ ، الأصول الخمسة ١٢٩ .
(٣) الإمام الطحاوي : أبو جعفر أحمد بن سلامة بن سلمة بن عبد الملك الأزدي الطحاوي الحنفي الحافظ الكبير ، محدث الديار المصرية وفقيهها زاد شيوخة الثلاثمائة ، أثنى عليه غير واحد من أهل العلم ووصفوه بأنه ثقة ، ثبت ، فقيه ، عاقل ، حافظ دين الله ، قال ابن كثير : هو أحد الحفاظ الجهابذة له مؤلفات منها : معاني الآثار ، مشكل الآثار ، اختلاف العلماء ، توفي سنة ٢٢١هـ انظر الأنساب ٩/ ٥٣ ، السير ١٥/ ٢٧ ، الأعلام ١/ ٢٠٦ .

الأجسام)[1] فخالفوا بقولهم بداهة العقول، فالعقول لا تقبل وجود ذات عالمه بغير علم وذات سامعة بغير قدرة .

التعطيل الجزئي :

ويقصد به أنهم في الأصل يثبتون الصفات في الجملة ولكنهم ينفون بعضها يقول شيخ الإسلام يرحمه الله (وابن كلاب ومن تبعه كالأشعري .....ومن تبعهم اثبتوا الصفات لكن لم يثبتوا الصفات الاختيارية)[2]. فالكلابية و الأشاعرة و الماتريدية حرفوا النصوص عن معانيها، فلذلك هم قد عطلوا وزادوا على ذلك فالتحريف هو تعطيل وزيادة فالمحرف نفى المعنى الصحيح للنص أولاً ثم استبدله بمعنى جزئي فصار كل محرف معطلاً ولا عكس [3].

فرق التحريف :

أولاً : الكلابية :

يثبتون الأسماء والصفات ويعتقدون بما دلت عليه ولكنهم لا يفرقون بين صفات الذات وصفات الفعل فيزعمون أن الصفات كلها أزلية، فالكلابية تنفي الصفات الفعلية عن الله تعالى وتؤولها بزعم أنها لا تليق بالله تعالى لإشعارها بالأعراض التي لا تقوم إلا بالجسم، ومع هذا يثبتون له تعالى الصفات الذاتية اللازمة له، ويقولون :إن أسماء الله وصفاته لا يقال هي غيره، ولا يقال : علمه هو هو كما قال بعض المعتزلة ، وبذلك خالفوا أهل السنة والجماعة ، حيث إنهم أثبتوا بعض الصفات ونفوا بعضها وكان يلزمها الإثبات للجميع أو النفي للجميع [4].

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية مؤسسة الرسالة ٢/ ٤٠٣ .
(٢) الفتاوى ١٣/ ٢٣١ .
(٣) الفتاوى ٥/ ٢٦ .
(٤) المقالات ١/ ٣٥٠ – ٣٥١ ، ٢/ ٢٢٥ ، در التعارض ط دار الكنوز ٢/ ٧٧ – ٨٥ .

ثانياً: الأشاعرة:

ذهب الأشاعرة إلى تقسيم الصفات الإلهية إلى صفات نفسية راجعه إلى الذات أي إلى وجود الله تعالى ذاته ، وعلى صفات سلبية واختاروا له خمسة أقسام: وحدانية الله تعالى، والبقاء ، والقدم ، ومخالفته عز وجل للحوادث وقيامه عز وجل بنفسه وسموها سلبية لأن كل صفة منها تسلب في إثباتها ما يضادها أو كل مالا يليق بالله تعالى ، ويقسمون الصفات كذلك إلى سبعة أقسام يسمونها صفات المعاني وهي الحياة والعلم والقدرة والإرادة والكلام والسمع والبصر ، وهذه الصفات يثبتونها لله تعالى صفات ذاتية لا تنفك عن الذات ، يؤمنون بها كما يليق بالله تعالى ويسمونها أحياناً الصفات الذاتية الوجدانية ، [1] فالأشاعرة ينفون الصفات الخبرية الفعلية التي تكون بمشيئته وقدرته مثل كونه يتكلم بمشيئته عندما يشاء بكلام معين ، إذ أنهم قالوا : إن ما يقوم بقدرته ومشيئته لا يكون إلا مخلوقاً حادثاً منفصلاً عنه، فلو اتصف الرب به لقامت به الحوادث، ولو قامت به لم يخل عنها، وعلى ذلك فيجب أن نقول: إن الله يتكلم بكلام قديم لازم للذات أزلاً وأبداً ليس شيء منه متعلق بمشيئته تعالى واختياره، وكذلك سائر الصفات الاختيارية مثل كونه تعالى يحب ويرضي ويسمع ويرى. [2]

ثالثاً: الماتريدية:

إن الماتريدية تقول بوجوب إثبات أسماء الله تعالى وإن إثباتها لا يستلزم التشبيه، يقول الماتريدي [3] (الأصل عندنا إن لله أسماء ذاتية يسمى بها قوله

---

(١) الفتاوى ١٦/ ٣٥٩، ٤٧١.

(٢) منهاج السنة ط/ جامعة الإمام/ ٢/ ١٠٨.

(٣) الماتريدي: هو أبو منصور محمد بن محمد بن محمود الماتريدي، أصله من ماترید من أعمال سمرقند، كان رأس المدرسة الماتريدية التي سميت باسمه، متكلم أصولي له مصنفات منها: التوحيد، تأويلات أهل السنة وغيرها، توفي سنة ٣٣٣هـ. انظر مفتاح دار السعادة ٢/ ٨٦، كشف الظنون ١/ ٢٦٢، الفوائد البهية ١٩٥، الأعلام: ٧/ ٢٤٢، معجم المؤلفين: ١١/ ٣٠٠.

(الرحمن) ثم الدليل على ما قلنا مجيء الرسل والكتب السماوية بها، ولو كان في التسمية بما جاءت به الرسل تشبيه لكانوا سبب نقض التوحيد)[1] ولكنهم لم يفرقوا بين باب الإخبار عن الله تعالى وباب التسمية ، فأدخلوا في أسماء الله تعالى ما ليس من أسماءه كالصانع والقديم والذات والشيء ونحو ذلك، [2] وهذا ما نوه به الماتريدي في تفسيره لقوله تعالى "هو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة" الحشر ٢٢ (بأن لفظ هو من أسماء الله تعالى)، والصحيح أنه يجب التفريق بين باب التسمية وباب الإخبار، إذ أن باب الإخبار أوسع من باب الأسماء والصفات، فما يطلق عليه تعالى في باب الأسماء والصفات توقيفي، وما يطلق عليه في باب الأخبار لا يجب أن يكون توقيفياً، [3] وهم يثبتون الاسم على حقيقته إن دل على ما أثبتوه من الصفات، وإن خالف صرفوه عن حقيقته بالتأويل، وذلك لاعتقادهم أن مادل عليه الاسم من المعاني والحقائق قد يعارض الدليل العقلي [4] مثال موقفهم من اسم الأعلى والظاهر، فالأعلى عندهم هو أعلى من يمسه حاجة أو يلحقه آفة، والظاهر هو الغالب الذي لا يغلبه شيء.

---

(١) التوحيد ط: دار المشرق / ٤٢ – ٦٥.

(٢) التوحيد: ٤٢-٦٥.

(٣) الجواب الصحيح، ط/ المدني: ٣/ ٢٠٣، الفتاوى: ٦/ ١٤٢-١٤٣، ٨/ ٩٤، بدائع الفوائد: ١/ ١٦١-١٦٢.

(٤) إن فرق الماتردية يعتبرون العقل مصدرًا من مصادر معرفة العقيدة، وقد سرت هذه العقلانية المفرطة بينهم حتى أن مشايخ الماتريدية يصرحون بقولهم: لو أن الله لم يرسل الرسل لكفى حجة الله عليهم بعقولهم، وهذا ما يقره رئيسهم الأول الماتريدي الذي جعل العقل مناط معرفة الدين أصلاً وفرعًا فقال (والعقل سبيل معرفة حجة الرسل) (والعقل سبيل إدارك معنى أوامر الله) (والعقل إنما هو لإدراك العواقب) (والعقل سبيل شكر المنعم) انظر تأويلات أهل السنة ط/ دار الكتب: ١/ ٤٤٤ – ٤٩٩، ٥٤٤؛ ٣/ ١٨٣، نثر اللآلي على نظم الأمالي: ٢٠٤.

ومن تحريفهم في باب الأسماء والصفات أنهم يقولون: إن الاسم هو المسمى، وإن الصفات لا هي هو ولا غيره ، والسلف الصالح كانوا يكرهون الكلام في هذه المسألة ومنهم الإمام أحمد يرحمه الله فقال (هذا كلام محدث ولا يقول إن الاسم غير المسمى، ولا هو ولكن يقول: إن الاسم للمسمى إتباعا لقوله تعالى :﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ﴾ الأعراف:١/ ١٨٠.[١]

وأما موقف الماتريدية من الصفات فقد أثبتوا ثمان صفات وهي : القدرة – العلم- الحياة – الإرادة – السمع – البصر- الكلام – التكوين [٢] لأن العقل قد دل عليها دون غيرها، وأما الصفات الخبرية السمعية الأخرى فقد نفوها لزعمهم أن العقل لا يدل عليها وإن إثباتها على حقيقتها يستلزم التشبيه والتجسيم مع معارضة النصوص للعقل يقول الماتريدي: (وفي حمل هذه الآيات على ظواهرها إثبات المناقضة بين الكتاب والدلائل المعقولة، وهي كلها حجج الله تعالى، ومن تناقضت حججه فهو سفيه جاهل).[٣]

رابعاً: التفويض:

إن المفوضة هم الذين يفوضون معاني النصوص الشرعية، فإذا عارض قواعدهم وعقائدهم نص شرعي ولم يقدروا على رده فوضوا معناه إلى الله تعالى وقالوا: إن معناه لا يعلمه إلا الله مع اعتقاد أن ما يفهم من ظاهر النص غير مراد فعطلوا النصوص التي تخالف أصولهم عن المعاني التي جاءت لأجلها وزعموا أنه لا

---

(١) مقدمة في عقيدة الإمام أحمد للتميمي: ٢/ ٢٧٠.

(٢) منهاج السنة، ط/ جامعه الإمام: ٢/ ٥٥٤، الفتاوى: ١٧/ ١٥٨-١٦١ ، درء التعارض، ط/ دار الكنوز: ١/ ٢٨٢.

(٣) التوحيد، ط/ دار الجامعات المصرية: ٧٤-٧٥.

يفهم من ظاهر هذه النصوص شيء، بل هي عندهم بمنزلة حروف الهجاء التي يقرؤها القارئ دون أن تدل على معنى معين، والقارئ لها بمنزلة من يقرأ كلاماً أعجمياً لا يفهم معناه، أو كلاماً عربياً لا يفهم منه شيئاً، [1] لذا يظهر أن التأويل والتحريف هما شيء واحد في المآل ، فالمؤولة والمفوضة متفقون على إنكار ونفي معاني النصوص عن ظاهرها، إلا أن المؤولة اجتهدوا في صرفها إلى معان أخر، وأما المفوضة فاكتفوا بنفي إرادة الظاهر دون أن يشغلوا أنفسهم ويتعبوا أذهانهم بالبحث عن معان أخرى، وهذا ما نوه عنه شيخ الإسلام يرحمه الله بقوله (وأما مخالفة هؤلاء لنصوص الكتاب والسنة وما استفاض عن سلف الأمة، فهذا أظهر وأشهر من أن يخفي على العالم، ولهذا أسسوا دينهم على أن باب التوحيد والصفات لا يتبع فيه ما دل عليه الكتاب والسنة والإجماع، وإنما يتبع مارأوه بقياس عقولهم ، وأما نصوص الكتاب والسنة ، فإما أن يتأولوها ، وإما أن يفوضوها ، وإما أن يقولوا مقصود الرسول أن يخيل إلى الجمهور اعتقادا ينتفعون به في الدنيا وإن كان كذباً وباطلاً، كما يقول ذلك من يقوله من المتفلسفة وأتباعهم، وحقيقة قولهم إن الرسل كذبت فيما أخبرت به عن الله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، لأجل ما رأوه من مصلحة الجمهور في الدنيا) [2] وبذلك يتضح براءة أهل السنة من التفويض والتأويل، [3] فنجوا من تحريفات المؤولة وتشبيهات المشبهة

(١) الفتاوى: ٥/٤٦، منهاج السنة ط/ جامعة الإمام: ٢/١٠٩.

(٢) درء التعارض ط/ دار الكنوز: ١/٢٠٥.

(٣) قال بعض العلماء إن كلا من مذهبي التفويض والتأويل حق، منهم ابن حجر، العز بن عبدالسلام، الجويني، البيهقي، القرطبي، الغزالي، الخطابي، الرازي، وأقوالهم مجانبة للصواب ولا يؤخذ بها فإن التأويل الحق هو الذي يوافق الكتاب والسنة، وأما التفويض فشر محض، يقول شيخ الإسلام يرحمه الله (إن قول أهل التفويض الذين يزعمون أنهم متبعون للسنة والسلف من شر أقوال أهل البدع والإلحاد) انظر العقيدة النظامية في الأركان الإسلامية: ٣٢-٣٤، درء التعارض، ط/ دار الكنوز: ١/٢٠٥، تفسير روح المعاني: ١٥/١٦، ٢٣، ٢٤.

وأما من اعتمد على وجوب الوقف على قوله تعالى ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ آل عمران:٧، من المفوضة والمؤولة فيزعمون أن القرآن يشتمل على ما لا يعلم لمجرد التعبد بتلاوة الحروف، فيصبح المؤولة والمفوضة متفقين على نفي ما دلت عليه النصوص من المعاني، بل قد يكون منهج التفويض أخطر من منهج التأويل، يقول شيخ الإسلام يرحمه الله (وإن قول أهل التفويض الذين يزعمون أنهم متبعون للسنة والسلف من شر أقوال أهل البدع والإلحاد) [١] فالوقف أو التفويض منهج باطل لا يقبله النقل ولا العقل حيث إن الله عز وجل أمرنا بالتدبر والتفكر والاعتبار بالنصوص الشرعية، [٢] وبهذا يعلم بطلان مذهب المفوضة الذين يفوضون علم معاني نصوص الوحي ويدعون أن هذا مذهب السلف، والسلف بريئون من هذا المذهب.[٣]

مذهب أهل السنة والجماعة في الأسماء والصفات:

إن موقف السلف الصالح في مسألة الأسماء والصفات موقف ثابت ثبات الجبال لا يتغير ولا يتبدل ولا يختلف في وقت دون وقت، حيث إنهم اعتمدوا على كلام الله وكلام رسوله عليه الصلاة والسلام، ومن تمسك بهما فلن يضل أبداً فأهل السنة والجماعة من أصولهم التي يدينون بها إثبات ما ورد في كتاب الله وفي سنة رسول الله ﷺ من أسماء الله وصفاته لا يفرقون بين أسماء الله وصفاته، ولا بين بعض صفاته وبعض، بل قولهم في الجميع واحد، لا ينفون ولا يؤولون شيئاً منها، ولا يكيفون أو يشبهون منها بصفات المخلوقين، يقول شيخ الإسلام يرحمه الله (مذهب سلف الأمة وأئمتها أن يوصف الله بما وصف به نفسه وبما وصفه

(١) درء التعارض، ط/ دار الكنوز: ١/ ٢٠٥.
(٢) الفتاوى: ٤/ ٧٠، ٥/ ١٥٧-١٥٨، ١٣/ ١٤٤، ٢٧٨، ٢٧٩، ٢٨٠، ٢٨١، ١٧/ ٢٨٣-٢٨٦، ١٧/ ٣٩٦.
(٣) القواعد المثلى: ٧٧.

رسوله ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل، يثبتون لله ما أثبته لنفسه من الصفات، وينفون عنه مماثلة المخلوقات، يثبتون له صفات الكمال وينفون عنه ضروب الأمثال، ينزهونه عن النقص والتعطيل، وعن التشبيه والتمثيل، إثباتاً بلا تشبيه وتنزيه بلا تعطيل ، "ليس كمثله شيء" رد على الممثلة "وهو السميع البصير" رد على المعطلة) [1] ويقول ابن القيم يرحمه الله (نصف الله بما يصف به نفسه وبما وصفه به رسوله من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تشبيه ولا تمثيل، بل طريقتنا إثبات حقائق الأسماء والصفات، ونفى مشابهة المخلوقات، فلا نعطل ولا نؤول ولا نمثل ولا نجهل). [2]

فأهل السنة والجمعة لم يصفوا الله إلا بما وصف به نفسه، ولم يجحدوا صفاته ولم يشبهوها بصفات خلقه، ولم يعدلوا بها عما أنزلت عليه لفظاً ولا معنى بل أثبتوا له الأسماء والصفات ونفوا عنه مشابهة المخلوقات، فكانوا وسطاً في الفرق كما أن أهل الإسلام وسط في الملل، توقد مصابيح معارفهم من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور، فنسأل الله أن يهدينا لنوره ويسهل لنا السبيل إلى مرضاته. [3]

(١) منهاج السنة: ط/ جامعة الإمام: ٢/ ١١١، منهج الدراسات لآيات الأسماء والصفات: ٣٠-٤٠
(٢) الصواعق المرسلة: ٢/ ٤٢٦، التحف في مذاهب السلف: ٣-٢٦، الحق الواضح المبين للسعدي: ١٢.
(٣) بدائع الفوائد: ١/ ١٦٩-١٧٠.

المبحث السادس

المبحث السادس

الإلحاد في الأسماء والصفات

إن حقيقة الإلحاد في الأسماء والصفات هو الميل بها عن الاستقامة إما إثبات المشاركة [١] فيها لأحد من الخلق، كإلحاد المشركين الذين اشتقوا لآلهتهم من صفات الله مالا يصلح إلا لله كتسميتهم اللات من الإله ، والعزى من العزيز ، ومناة من المنان، وكل مشرك تعلق بمخلوق اشتق لمعبوده من خصائص الربوبية والإلهية ما برر له عبادته ، وأعظم الخلق إلحاداً طائفة الاتحادية [٢] الذين يقولون : إن الرب عين المربوب ، فكل اسم ممدوح أو مذموم يطلق على الله عندهم تعالى الله عن قولهم علوا كبيراً، وإما أن يكون الإلحاد بنفي صفات [٣] الله وإثبات أسماء لا حقيقة لها كما فعل الجهيمية ومن تفرع عنهم، وإما بجحدها وإنكارها رأساً فهو إنكار لوجود الله كما فعل زنادقة [٤] الفلاسفة فهؤلاء الملحدون قد انحرفوا عن الصراط المستقيم ويموا

---

(١) المشاركة بين الخالق والمخلوق وهو تمثيل بينهما فقد يكون التشبيه تشبيه الخالق بالمخلوق أو المخلوق بالخالق.

(٢) الاتحادية: هم الذين يقولون باتحاد الذات الإلهية بالذات الإنسانية دون حلول فيها، وهو يتسع ليشمل من هم أقل درجة من الأنبياء والأولياء، أما الحلولية فيزعمون أن الله يحل في أجسام بعض الخاصة كالأنبياء والأولياء مما يكسبهم بعض الصفات الإلهية. انظر المواقف للنفري: ٥، الرسالة القشيرية: ط/ حسان: ١/ ٢٢٥-٢٦٨، التعرف لمذاهب التصوف: ١٢٧-١٥٦.

(٣) النفي وإثبات أسماء لا حقيقة لها هو التعطيل والتحريف والتأويل.

(٤) الزنادقة: الزندقة لفظ أعجمي معرب أخذ من كلام الفرس وعُرِّب، وفي البداية كانت تطلق الزندقة على من يؤمن بكتاب المجوس، ثم توسعوا في استعمالها على كل إنسان يتشكك في الدين، أو يجحد شيئًا مما ورد فيه، و استخدم اللفظ في الإسلام بمعان متعددة، فبعضهم يطلقه على الثنوية المجوس، والبعض يطلقه على الدهرية أو من لا يؤمن بالله واليوم الآخر، والفقهاء يطلقونه على المنافق الذي يبطن الكفر ويظهر الإسلام ، من أهم عقائد الزنادقة، القول بالحلول وتأليه البشر وتشبيه الله بخلقه، وإنكار النبوة، أو ادعائها، والقول بالتناسخ وإنكار القيامة والجنة والنار، وجحد الواجبات، وقد كانت لهم آثار سيئة على الأمة الإسلامية فأشعلوا نار الفتن والثورات. انظر الموسوعة الميسرة: ٢/ ١٠٧٥-١٠٧٦.

طريق الجحيم. (١)

بقـــول الله تعـــالى:﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ الأعراف : ١٨٠ .

والإلحاد في الأسماء والصفات هو العدول بها وبحقائقها ومعانيها عن الحق الثابت لها وهو مأخوذ من الميل كما تدل عليه مادته ل ح د ، فمنه اللحد وهو الشق في جانب القبر الذي قد مال عن الوسط، ومنه الملحد في الدين المائل عن الحق إلى الباطل، فالملحد المائل عن الحق المدخل فيه ماليس منه، ومنه الملتحد وهو مفتعل من ذلك، وقوله تعالى:﴿ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴾ الكهف:٢٧، أي من تعدل إليه وتهرب إليه وتلتجئ إليه وتبتهل إليه فتميل إليه عن غيره: تقول العرب: التحد فلان إلى فلان إذا عدل إليه (٢) فإذا عرف هذا فالإلحاد في الأسماء والصفات أنواع:

أحدها: أن تسمى الأصنام بها كتسميتهم اللات من الإله، والعزى من العزيز، وتسميتهم الصنم إلهاً، فكل من جعل مخلوقاً من المخلوقات متصفاً بصفة الألوهية أو الربوبية فهو ملحد حيث إنه عدل بأسماء الله إلى الآلهة الباطلة. (٣)

---

(١) توضيح الكافية الشافية/ للسعدي: ١٣٢، مجلة البحوث العلمية العدد: ٢٠/ ١٥٠.

(٢) بدائع الفوائد: ١/ ١٥٩-١٦١، ١٧٠، مدارج السالكين، ط/ الكتاب العربي: ٣/ ٤٢٦-٤٣٥ توضيح الكافية الشافية: ١٣٢.

(٣) القواعد المثلى: ٤٩-٥٠، شرح أسماء الله الحسنى – القحطاني: ٢٧-٢٨.

الثاني : تسمية الله بما لا يليق بجلاله وعظمته كتسمية النصارى له أبا، وتسمية الفلاسفة له موجباً [1] بذاته أو علة [2] فاعلة بالطبع وتسمية الصوفية له بلفظ هو فكل من سمى الله عز وجل باسم لا يليق به أو وصفه بصفة لا تليق به فهو ملحد في الأسماء والصفات وذلك لأن أسماء الله وصفاته توقيفية، فتسمية الله تعالى بما لم يسم به نفسه ميل عما يجب فيها، كما أن هذه الأسماء التي سموها بها باطلة ينزه الله تعالى عنها.

ثالثها: وصفه بما يتعالى عنه ويتقدس من النقائص كقول أخبث اليهود: إنه فقير: وقولهم: إنه استراح بعد أن خلق خلقه، وقولهم ﴿ **يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟** ﴾ المائدة ٦٤، وأمثال ذلك مما هو إلحاد في أسمائه وصفاته فهم قد قاموا بالتشبيه وزادوا على ذلك بأنهم وصفوه بصفات النقص عند المخلوقين فالتشبيه معنى باطل لا يمكن أن تدل عليه النصوص، بل هي دالة على بطلانه فجعلها دالة عليه ميل بها عما يجب فيها فما بالك بالجمع بين التشبيه ووصف الخالق بالنقائص؟؟

رابعها : تعطيل الأسماء عن معانيها وجحد حقائقها كقول من يقول من

---

(١) الموجب بالذات: ما يجب صدور الفعل عنه بأن يكون علة تامة له من غير قصد وإرادة ، كوجوب صدور الإشراق عن الشمس والإحراق عن النار. انظر التوقيف على مهمات التعاريف : ٦٨٥، الكليات: ٨٦٧.

(٢) العلة لغة : أمر حل بالمحل فيتغير به المحل، ومنه سمي المرض علة لأنه بحلوله يتغير حال المريض من القوة إلى الضعف، والعلة عند الصوفيين: المعرف للحكم، أو المؤثر الأول بذاته بإذن الله، والعلة عند الأصوليين: تنبيه الحق لعبده بسبب وبغير سبب، والعلة عند المتكلمين، ما يتوقف عليه ذلك الشيء وهي قسمان: الأولى: ما تقوم به الماهية من أجزائها وتسمى علة الماهية، الثاني: ما يتوقف عليه اتصاف الماهية المتقدمةبأجزائها بالوجوب الخارجي وتسمى علة الوجوب. انظر التوقيف على مهمات التعاريف: ٥٢٢-٥٢٣، الكليات: ٥٩٩-٦٥٦.

الجهمية وأتباعهم: إنها ألفاظ مجردة [1] لا تتضمن صفات ولا معاني فيطلقون عليه اسم السميع، والبصير، والحي، والرحيم، والمكلم، والمريد، والقادر ويقولون: لا حياة له ولا سمع ولا بصر ولا كلام ولا إرادة تقوم به، وهذا من أعظم الإلحاد فيها عقلاً وشرعاً وفطرة ولغة وهو يقابل إلحاد المشركين فإن أولئك أعطوا أسماءه وصفاته لآلهتهم، وهؤلاء سلبوه صفات كماله وجحدوها وعطلوها فكلاهما ملحد في أسمائه وصفاته فالجهمية وفروخهم كالعقلانيون [2] والحداثيون [3] متفاوتون في هذا الإلحاد فمنهم المتوسط والغالي [4] والمنكوب وكل من جحد شيئاً مما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله عليه الصلاة والسلام فقد

---

(١) إن من يقول هذا القول هم المفوضة.

(٢) العقلانيون: ينتسبون إلى مذهب العقلانية وهو مذهب فكري يزعم أنه يمكن الوصول إلى معرفة طبيعة الكون والوجود عن طريق الاستدلال العقلي بدون الاستناد إلى الوحي الإلهي أو التجربة البشرية وكذلك يرى إخضاع كل شئ في الوجود للعقل لإثباته أو نفيه أو تحديد خصائصه، والعقلانية مذهب قديم جديد في نفس الوقت برز في الفلسفة اليونانية على يد سقراط وأرسطو، وبرز في الفلسفة المعاصرة على يد فلاسفة أمثال ديكارت وليبتز وسبينوزا وغيرهم، ومن الفرق التي اعتمدت على العقل فرقة المعتزلة، وفي الوقت الحاضر يوجد من ينادي بتلك الأفكار و منها أن الاستدلال العقلي هو الطريق الوحيد للوصول إلى معرفة طبيعة الكون والوجود، وأنه لا مجال للإيمان بالمعجزات أو خوارق العادات، وأن العقائد الدينية ينبغي أن تختبر بمعيار العقل. انظر الموسوعة الميسرة : ٢/ ٨٠٧-٨٠٨، العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب ٥-٦، العصرانية في حياتنا الاجتماعية ٩-١٥. قضية تحديد الفقه لجمال البنا .

(٣) الحداثيون: هم الذين ينسبون إلى مذهب الحداثة ويزعمون أنها حركة لتجديد وتطوير الشعر، وهي في الحقيقة كما عرفها زعماؤهم تعني إحداث تغيير وتجديد في المفاهيم السائدة والمتراكمة عبر الأجيال نتيجة تغير اجتماعي أو فكري أحدثه اختلاف الزمن، فيعرفها أحد زعمائها الدكتور محمد مصطفى هدارة فيقول (إنها مذهب أدبي، بل نظرية فكرية تستهدف الحركة الإبداعية وحدها بل تدعوا إلى التمرد على الواقع بجميع جوانبه السياسية والاجتماعية والاقتصادية) . انظر تقويم الحداثة للنحوي: ٢٥-٢٩، الحداثة مناقشة هادئة للعريف: ٩-٢٠، الحداثة سرطان العصر للمطعني : ٣-٧.

(٤) بلغت الوقاحة والجرأة ببعض الحداثيين أنهم يصفون الله عز وجل بصفات يخجل الملحد أن يصف بها الله فما بالك بمن يزعم الإسلام، فيقولون عنه سبحانه وتعالى: أنه يجامع ويباشر ويولد له، وأنه يخطئ ويصيب و يشبهونه بالأخطبوط، ولا يستحون أن يصفوا الله عز وجل بأنه تبيعه اليهود، فيقول أحدهم وهو عبدالوهاب البياتي شاعر عراقي ساقط (الله في مدينتي تبيعه اليهود الله في مدينتي مشرد طريد، أراده الغزاة أن يكون لهم أجيرًا شاعرًا قوادًا، يخدع في قيثاره المذهب العباد، ولكنه أصيب بالجنون) فهل يوجد أكثر من هذا؟ انظر الحداثة مناقشة هادئة: ١٥٠-١٦٨.

ألحد في ذلك فليستقل أو ليستكثر.

خامسها: تشبيه صفاته بصفات خلقه تعالى عما يقولون المشبهون علواً كبيراً، فهذا الإلحاد في مقابله إلحاد المعطلة فإن أولئك نفوا صفة الكمال وجحدوها وهؤلاء شبهوه بصفات خلقه فجمعهم الإلحاد وتفرقت بهم الطرق، فجحدوا صفاته العليا وشبهوه بصفات خلقه، وعدلوا بها عما أنزلت عليه لفظاً ومعنى.

ومن خلال العرض السابق يتضح أن الإلحاد في أسماء الله الحسنى وصفاته العليا لا تخرج عن التمثيل والنفي والتعطيل والتحريف والتوقف والسكوت والتفويض.

فكل من مثل المخلوق بالخالق أو الخالق بالمخلوق فهو ملحد في الأسماء والصفات، وكل من عطل الأسماء والصفات جميعها أو جزء منها فهو ملحد في الأسماء والصفات، وكل من حرف وأول الأسماء والصفات فهو ملحد فيهما وكل من فوض في الأسماء والصفات فهو ملحد بهما وبذلك يظهر مدى براعة شيخ الإسلام يرحمه الله عندما وضح الأقسام الممكنة في آيات الصفات وأحاديثها في ستة أقسام فقال يرحمه الله (وجماع الأمر أن الأقسام الممكنة في آيات الصفات وأحاديثها ستة أقسام كل قسم عليه طائفة من أهل القبلة ، قسمان يقولان: تجري على ظواهرها، وقسمان يقولان: هي على خلاف ظواهرها، وقسمان يسكتون). [1]

والتحريف هو مذهب أهل السنة والجماعة الخالي من أي نوع من أنواع الإلحاد فسلموا وسلموا.

---

(١) الفتاوى: ٥/ ١١٣-١١٧.

المبحث السابع

المبحث السابع

إبراز مسميات وقواعد النهج السلفي

إن أهل السنة والجماعة هم السلف الصالح والفرقة الناجية من الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان من العلماء والمجتهدين السائرين على منهج الكتاب والسنة ومن تبعهم في ذلك إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها [1] فهم الحق وأهله، [2] فلذا كان منهجهم منهجاً فريداً في أصوله وسماته وتلقيه وثباته ولعل من أهم خصائصهم التي لا تعد ولا تحصى ما يأتي:

١- تقديم الشرع على العقل، مع أن العقل الصحيح لا يعارض النص الصحيح بل هو موافق له .

٢- رفض التأويل الكلامي، فلم يتلوثوا بشيء من أوضار [3] الفرق الضالة وأدناسها، وأثبتوا لله حقائق الأسماء والصفات ، ونفوا عنه مماثلة المخلوقات، فكان مذهبهم مذهباً بين مذهبين وهدى بين ضلالتين. [4]

٣- طلب العلم بالمطالب الإلهية عن طريق الكتاب والسنة وكلام سلف الأمة.

٤- الدخول في الدين كله، والإيمان بالكتاب كله، فيؤمنون بجميع النصوص الواردة في القرآن والسنة.

٥- الاتباع وترك الابتداع، والاجتماع ونبذ الفرقة والاختلاف في الدين. [5]

---

(١) الفتاوى: ٣/ ٣٥٦، منهاج السنة ط/ جامعة الإمام: ٢/ ٢٢١.
(٢) تنبيه أولي الأبصار إلى كمال الدين وما في البدع من أخطار٢٢٢.
(٣) الوضر: الدرن والدنس والجمع أوضار. انظر الصحاح: ٢/ ٨٤٦، ترتيب القاموس: ٤/ ٥٦٢.
(٤) نظريات شيخ الإسلام والاجتماع: ٣٢-٣٧، مجمل أصول أهل السنة والجماعة في العقيدة: ٢٩-٣١.
(٥) الصواعق المرسلة: ٢/ ٤٢٦-٤٢٨.

٦- الاقتداء والاهتداء بأئمة الهدى والعدول، ومجانبة من خالف سبيلهم.

٧- التوسط : فهم في الاعتقاد وسط بين فرق الغلو وفرق التفريط وهم في الأعمال والسلوك وسط بين المُفرطين والمفرطين.

٨- الحرص على جمع كلمة المسلمين، وإبعاد كل أسباب النزاع بينهم، فلذا لا يتميزون على الأمة في أصول الدين باسم سوى السنة والجماعة [١] ولا يوالون ، ولا يعادون، على رابطة سوى الإسلام والسنة، [٢] والدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد، وإحياء السنة والقضاء على البدع والمحدثات.

٩- الإنصاف والعدل، فهم يراعون حق الله تعالى، لا حق النفس أو الطائفة.

١٠- التوافق في الأحكام والتشابه في المواقف رغم تباعد الأقطار والأزمان.

١١- الإحسان والرحمة مع حسن الخلق.

١٢- النصيحة لله ولكتابه ولرسوله عليه الصلاة والسلام، ولأئمة المسلمين وعامتهم.

١٣- الاهتمام بأمور المسلمين ونصرتهم وأداء حقوقهم وكفٌ الأذى عنهم، وهناك خصائص عديدة ومديدة لا يستطيع الباحث الإيفاء بها.

---

(١) الشريعة ٧٣، جامع البيان، والعلم وفضله لابن عبدالبر: ٢/ ١١٦، الكواشف الجلية: ٤٩٦-٥٠٤.

(٢) إن الغاية من نظرية الخلط بين الأديان والجمع بين الفرق، غاية معروفة للعيان هي كسر حاجز الولاء والبراء بين المسلم والكافر، وبين السني والبدعي، وهو ما يسمى في التركيب المولد باسم الحاجز النفسي فيكسر تحت شعارات مضللة: التسامح، تأليف القلوب، نبذ الشذوذ و التطرف التعصب، الإنسانية ونحوها من الألفاظ ذات البريق والتي حقيقتها مؤامرات تخريبية تجتمع لغاية القضاء على المسلم المتميز وعلى الإسلام، ومن ثم تنشأ الأمية الدينية حتى ينفرط العقد وتتمزق الأمة ويسقط المسلم بلا ثمن في أيدي الأكلة وتحت لواء حزبياتهم ومعتقداتهم، فلذا فإن كل من ينادي بعملية التقريب بين السنة والبدعة هو مخالف لمنهج السلف الصالح. انظر مذاهب معاصرة: ٥٨٩، معجم المناهي اللفظية: ٣٧٠-٣٧١، كواشف زيوف: ٢٤٩، اليهودية والماسونية للدوسري: ٦٣.

منهج الاستدلال عند أهل السنة والجماعة:

إن المنهج الحق هو منهج أهل السنة والجماعة لكونه يقوم على أسس وقواعد متينة ومن تلك الأسس والقواعد:

الأساس الأول: تحكيم الكتاب والسنة الصحيحة:

إن منهج أهل السنة والجماعة يقوم على تحكيم الكتاب والسنة الصحيحة في كل قضية من قضايا العقيدة، والاعتصام بهما، وحصر التلقي في أحكام الدين فيهما، وأن لا يردا ولا يعارضا بشيء من التأويل أو القياس أو الرأي أو العقل،[1] متمسكين بقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴾ النساء: ٥٩، فالرد إلى الله أي إلى كتابه، والرد إلى الرسول عليه الصلاة والسلام مادام حيًا، فإذا مات فإلى سنته، فمن لم ير هذا اختل إيمانه لقوله تعالى: ﴿ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ ﴾ النساء ٥٩، لذا فإن السلف لا ينفكون عن قول الرسول عليه الصلاة والسلام (فإن خير الحديث كتاب الله وخير الهدى هدى محمد عليه الصلاة والسلام وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة)[2] فهم رضوان الله عليهم يتبعون ولا يبتدعون، فكانوا من الناجين من الضلالات والخرافات لاعتمادهم على مصادر الوحي اليقيني لا على الهوى.[3]

---

(١) الفتاوى: ٣/ ١٥٧، ٣٤٦، ١٣/ ٢٩، ٦/ ٦٢، ١٣٥، ١٣٦، ١٦/ ٤٦٣-٤٧٥.

(٢) الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية: ١/ ٢١٧، شرح أصول اعتقاد أهل السنة: ١/ ٧٣، الجامع لأحكام القرآن: ٥/ ٤٤٩-٤٥١.

(٣) إن أهل السنة والجماعة يعتمدون على القرآن والسنة والإجماع المبني عليهما في أمور العقيدة بخلاف أهل البدع الذين يعتمدون على الرأي، العقل، والأوهام، والظنون، والذوق، وإيحاء الشياطين، وآراء الرجال والفلسفات والروايات الضعيفة، وما لا أصل له كدعوة الكشف والعلم اللدني، والتلقي من مصادر وهمية مجهولة، والتلقي عن الأمم الضالة. انظر تناقض أهل الأهواء والبدع: ١/ ٥٧/ ١٤٥.

الأساس الثاني : وجوب الرجوع عند الاختلاف والتنازع إلى الكتاب والسنة :

إن أهل السنة والجماعة يراعون قواعد الاستدلال فيوفقون بين المتشابه [1] والمحكم، والوعد والوعيد، والنفي والإثبات، والعام الخاص، والناسخ والمنسوخ، والمتواتر والآحاد، فالسلف يجمعون بين أطراف الأدلة بأن يرجعون إلى القرآن كله وإلى السنة كلها قبل تقرير أي حكم أو مسألة، [2] لذا نراهم سالمين من الوقوع في الخطأ والزلل بخلاف باقي الفرق الذين يأخذون ببعض النصوص ويتركون البعض الآخر. [3]

الأساس الثالث: الاعتماد على تفسير النصوص بالمأثور:

إن أهل السنة والجماعة يعتمدون في تفسير القرآن والسنة بالمأثور من أقوال الرسول عليه الصلاة والسلام وأقوال الصحابة رضي الله عنهم أجمعين، لأنهم عاشروا التنزيل وفهموه، وعنهم أخذ التابعون بإحسان، فهم يسيرون على هذا النهج القويم ويبتعدون عن الضلال المبين لعلمهم أن محمد ﷺ تركهم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، والمحجة البيضاء تتضح بتفسير

---

(١) المتشابه في اللغة: يرجع إلى الشبه لأن كلاً من الشيئين أشبه أحدهما الآخر حتى صار لا يمكن التمييز بينهما، وفي الاصطلاح له عدة معان:
١- إن آيات القرآن يشبه بعضها بعض في الإتقان والصدق والبلاغة والفصاحة ونحو ذلك فيكون قرين للإحكام العام، فالقرآن محكم بمعنى أنه متقن كله فصيح كله بليغ كله.
٢- ما لا يعلمه إلا الله، كالغيب وكنه الذات الإلهية.
٣- ما لا يعلمه بعض الناس وهو التشابه النسبي ، ومنه رد الإمام أحمد على الجهمية فيما اشتبه عليها. انظر الصواعق المرسلة: ٢/ ٤٢٢، ٣/ ٩٢٠، درء تعارض العقل ط/ دار الكنوز: ١/ ١٥-١٦، المدخل لدراسة العقيدة الإسلامية: ٣٨-٣٩.

(٢) الأسماء والصفات للبيهقي: ٥١٥-٥١٦، التمهيد لابن عبدالبر: ٧/ ١٣٨، مختصر الصواعق المرسلة: ٢/ ٣٥٩-٣٦٠.

(٣) الحجة في بيان المحجة: ٢/ ٧١، الإيمان لابن تيمية: ٢١٠-٢١٨.

القرآن بالقرآن والسنة وأقوال الصحابة والتابعين لهم بإحسان كما شهد لهم الله عز وجل فقال تعالى:﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ﴾ التوبة: ١٠٠، فلذلك عضّ السلف بالنواجذ على أقوالهم يقول شيخ الإسلام يرحمه الله (مذهب أهل السنة والجماعة مذهب قديم معروف... فإنه مذهب الصحابة الذين تلقوه عن نبيهم ﷺ ومن خالف ذلك كان مبتدعاً عند أهل السنة والجماعة). (١)

الأساس الرابع: عدم استخدام قياس الشاهد على الغائب:

إن أهل السنة والجماعة يؤمنون بالغيب ويستسلمون له حتى يتمثل فيهم التقي والهدى الذي وصف الله به عباده المؤمنين بقوله: ﴿ الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ البقرة: ١-٣.

فالغيب (٢) من خصائصه لا يعلمه إلا الله فهو له سبحانه وتعالى فلذا كان البحث عنه عند غيره نوع من أنواع العبث وتضيع للوقت، ومدعيه لا شك في كذبه، (٣) واعتقاد علم الغيب لغير الله كفر مخرج عن الملة قال تعالى:﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا

(١) منهاج السنة ط/ بولاق: ١/ ٢٥٦.

(٢) لا يعني ذلك أن قضايا العقيدة كلها غيبية أو غيب لا تدركه الحواس والعقول، حيث إن الغيب أنواع: مقيد ونسبي ومطلق، فالمقيد: هو ما أذن الله كونًا وقدرًا بكشفه سواءً لعموم الناس أو لبعضهم، أما الغيب النسبي: هو ما كان غيبًا بالنسبة لبعض الناس دون غيرهم، وأما المطلق: هو ما لا يسع أحد العلم به لا نقطاع أسباب العلم به وهو لله سبحانه وتعالى. انظر المدخل لدراسة العقيدة: ٥٥.

(٣) من هنا يعلم كذب الكهنة والعرافين والرمالين وغيرهم ممن يدعي بعض من المغيبات وأما ما يقع موافقا للقدر من أخبارهم فهو ما استرق من السمع من السماء، لا لأنهم يعلمون الغيب.

﴿ يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ﴾ الأنعام: ٥٩، يقول الشاطبي [١] يرحمه الله (إن الله جعل للعقول في إدراكها حداً تنتهي إليه لا تتعداه لم يجعل لها سبيلاً إلى الإدراك في كل مطلوب). [٢]

الأساس الخامس : مجانبة السلف للمصطلحات البدعية :

إن السلف الصالح يرحمهم الله يتورعون عن استخدام الألفاظ المحدثة لكونها من مقالات الفلاسفة والمبتدعين، ولأنها ألفاظ مجملة مبتدعة تحتمل معاني متعددة ويكون فيها اشتباه والتباس، كما قال ابن القيم يرحمه الله عنها (فبما فيها من الحق يقبل من لم يحط بها علماً ما فيها من الباطل ونصوص الأنبياء، وهذا منشأ ضلال من ضل من الأمم قبلنا وهو منشأ البدع كلها، فإن البدعة لو كانت باطلاً محضاً لما قبلت، ولبادر كل أحد إلى ردها وإنكارها، ولو كانت حقاً محضاً لم تكن بدعة وكانت موافقة للسنة ولكنها تشتمل على حق وباطل ويلتبس فيها الحق بالباطل كما قال تعالى: ﴿ وَلَا تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَـٰطِلِ وَتَكْتُمُوا۟ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ البقرة : ٤٢، فنهى عن لبس الحق بالباطل وكتمانه ولبسه به خلطه به حتى يلتبس أحدهما بالآخر) [٣] فلذا كان منهج أهل السنة والجماعة ترك استخدام الألفاظ المجملة [٤]

---

(١) الشاطبي: إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي، أصولي، حافظ من أئمة المالكية، من مصنفاته: الموافقات في أصول الفقه، الاعتصام، توفى سنة ٧٩٠هـ. انظر الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب: ٤٦، الأعلام: ١/ ٥٧، معجم المؤلفين: ١/ ١٨٨.

(٢) الاعتصام: ٢/ ٣١٨، المدخل إلى مذهب الإمام أحمد: ١٩.

(٣) الصواعق المرسلة: ٣/ ٩٢٥-٩٢٧.

(٤) إن ما جاء على ألسنة بعض السلف من استخدام المصطلحات البدعية فإن ذلك كان لضرورة الرد على الخصم بنفس الأسلوب، وهذا خاص في الرد فقط، يقول شيخ الإسلام يرحمه الله (وإن لم يكن مخاطبتهم إلا بلغتهم، فبيان ضلالهم ودفع صيالهم عن الإسلام بلغتهم أولى من الإمساك عن ذلك لأجل مجرد اللفظ كما لو جاء جيش كفار ولا يمكن دفع شرهم عن المسلمين إلا بلبس ثيابهم، فدفعهم بلبس ثيابهم خير من ترك الكفار يجولون في خلال الديار خوفا من التشبه بهم في ثيابهم) درء تعارض العقل ط/ دار الكتب: ١/ ٢٣١-٢٣٢، الفتاوى: ٣/ ٣٠٦.

مع مجانبة الجدال والخصومات لأهل البدع، وقد جاء على ألسنة أهل السنة أقوال عديدة في التحذير من مجالسة أهل الهواء والبدع ومناقشتهم، ومنها على سبيل المثال قول الإمام أحمد يرحمه الله (فالله الله معشر المسلمين ألا يحملن أحداً منكم حسن ظنه بنفسه وما عهد من معرفته بصحة مذهبه، على المخاطرة بدينه في مجالسة أهل الأهواء فيقول: أداخله لأناظره أو لاستخرج منه مذهبه، فإنهم أشد فتنة من الدجال، وكلامهم الصق من الجرب وأحرق منه للقلوب من اللهب، ولقد رأيت جماعة من الناس كانوا يلعنونهم ويسبونهم، فجالسوهم على سبيل الإنكار والرد عليهم، فما زالت بهم المباسطة وخفي المكر، ودقيق الكفر، حتى صبوا إليهم). [1]

الأساس السادس : عدم اعتقاد التعارض بين النقل والعقل :

إن الذي عليه أهل السنة والجماعة أن العقل الصريح دائماً موافق للنقل الصحيح لا يخالفه قط، لكن قد تقصر عقول الناس عن معرفة تفصيل ما جاء به الرسول ﷺ ، فالرسل صلوات الله وسلامه عليهم تخبر بمحيرات العقول [2] ولا تخبر بمحالات العقول، فعند توهم التعارض يقدمون الشرع، لأن العقل مصدق للشرع في كل ما أخبر به، والشرع لم يصدق العقل في كل ما أخبر به ، فإن الشرع ثابت كما قال شيخ الإسلام يرحمه الله (فإن الشرع المنزل من عند الله ثابت في نفسه سواء علمنا بعقولنا أم لم نعلمه بعقولنا، فإن العقل إذا علم ما هو عليه الشرع في نفسه صار عالماً... ولو لم يعلمه لكان جاهلاً ناقصاً) [3] فلذلك يعلم أهل السنة والجماعة أن القول بمعارضة العقل للنقل هو قول محدث مبتدع لم يكن معروفاً في

(١) المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد: ٢/ ٣٩٨-٤١٤.
(٢) درء تعارض العقل ط/ جامعة الإمام: ٥/ ٢٩٧، الفتاوى: ١٧/ ٤٤٣-٤٤٤.
(٣) درء تعارض العقل ط/ دار الكنوز: ١/ ٨٨-٨٩، ٥/ ٢٢٤-٢٤٥.

القرون المفضلة، إنما حدث في أواخر عصر التابعين حيث ابتدعه علماء الكلام الذين تأثروا بالفلاسفة الذين لا يؤمنون بما جاءت به الرسل أصلاً.

الأساس السابع : رفضهم التأويل المذموم :

إن أهل السنة والجماعة يرفضون التأويل المذموم [1] الذي هو في حقيقته صرف اللفظ عن ظاهره الراجح إلى احتماله المرجوح، حيث إن القاعدة عندهم في الكلام دلالته على مراد المتكلم، فعندهم مراد المتكلم إنما يكون في نفسه ولا يعرف إلا بالألفاظ الدالة عليه والأصل في كلامه وألفاظه أن يكون دالاً على ما في نفسه من المعاني، وليس لهم طريق لمعرفة مراده غير كلامه وألفاظه، ولهذا إذا أراد المتكلم بيان ما في نفسه وكان المخاطب يمكنه إدراك مراده بإحساسه أو عقله بأن تكون المعاني المراد بيانها مشهودة عند المخاطب أو معقولة له، لم يحتج المخاطب إلا إلى معرفة لغة المتكلم ألفاظها وتراكيبها، [2] فلذا كان الأخذ بالقرآن والسنة مع تأويل النصوص وصرفها عن الحقيقة بتأويلات فاسدة ليس من منهج السلف، بل إنه منهج أهل البدع والكلام الذين وضعوا لأنفسهم منهجاً يسيرون عليه، وهو في الحقيقة تحريف للنصوص عن ظاهرها وتحملها ما لم تُحَمل، وذلك من القواعد الأساسية عندهم.

وكل نص أوهم التشبيها أوِّله أو فوِّض ورم تنزيها[3]

(١) الصواعق المنزلة على الطائفة الجهمية والمعطلة: ١/ ٧٧-٩٣، التأويل خطورته وآثاره، الأشقر.
(٢) الفتاوى: ٥/ ٣٤٦-٣٤٧، الصواعق المرسلة: ١/ ٢٠٢.
(٣) جوهرة التوحيد: ٩١.

ولذا نجد أن أهل السنة والجماعة لا يقعون في الأخطاء بعكس أهل البدع والأهواء، يقول ابن رجب [1] يرحمه الله (فأما الدخول على ذلك في كلام المتكلمين أو الفلاسفة فشر محض وقل من دخل في شيء من ذلك إلا وتلطخ في بعض أوضارهم) [2] فالتحذير من أهل الكلام يشمل أيضاً التحذير من طريقهم وهو أخذهم بالتأويل والتحريف.

الأساس الثامن : عناية السلف بالأسانيد وثقة الرجال وعدالتهم :

إن أهل السنة والجماعة يعتبرون أن الحجة لا تقوم إلا بالسنة الصحيحة الثابتة عن النبي ﷺ بنقل العدول[3] ولذلك اعتنى أئمة أهل السنة والجماعة بالحديث النبوي لحد لا يستطيع أن يصف الإنسان ما قاموا به من جهد عظيم،

---

(١) ابن رجب: الحافظ عبدالرحمن أحمد بن رجب، وسمي رجبًا لأنه ولد فيه، ولقبه زين الدين الحافظ العمدة، المحدث، الزاهد، القدوة، ولد سنة ٧٠٦هـ وقيل ٧٣٦هـ له عدة مؤلفات منها: أحكام الخواتم وما يتعلق بها، اختيار الأولى في شرح اختصار الملأ الأعلى، استنشاق نسيم الأنس من نفحات رياض القدس، جامع العلوم والحكم، توفى سنة ٧٩٥هـ. انظر الدرر الكامنة: ٤/ ٤٢٨-٤٢٩ شذرات الذهب: ٣٤٠، الأعلام: ٣/ ٢٩٥، معجم المؤلفين: ٥/ ١١٨.

(٢) فضل علم السلف على الخلف لابن رجب: ٣٢-٣٣.

(٣) الرواية عن أهل البدع: اختلف العلماء في ذلك إلى أقوال بحسب نوع البدعة يقول ابن حجر يرحمه الله (أما البدعة فالموصوف بها إما أن يكون ممن يُكفر بها ويفسق، فالمكفر بها لا بد أن يكون ذلك التكفير متفقًا عليه من قواعد جميع الأمة كما في غلاة الروافض من دعوى بعضهم حلول الإلهية في علي أو غيره، أو الإيمان برجوعه إلى الدنيا قبل يوم القيامة أو غير ذلك، وليس في الصحيح من حديث هؤلاء شيء البتة، والمفسق بها كبدع الخوارج والروافض الذين لا يغلون ذلك الغلو، وغير هؤلاء من الطوائف المخالفين لأهل السنة خلافًا ظاهرًا، لكنه مستند إلى تأويل ظاهر سائغ فقد اختلف أهل السنة في قبول حديث من هذا سبيله إذا كان معروفًا بالتحرز من الكذب، مشهورًا بالسلامة من خوارم المروءة موصوفًا بالديانة والعبادة، فقيل: يرد مطلقًا، وقيل: يقبل مطلقًا، والثالث: التفصيل بين أن يكون داعية أو غير داعية، فيقبل غير الداعية ويرد حديث الداعية، والرأي الثالث هو أرجح الأقوال وهو ما ذهب إليه أكثر السلف. انظر مقدمة فتح الباري: ١٣٥، الكفاية في علم الرواية للخطيب: ١٩٤، علوم الحديث لابن الصلاح: ١٠٣-١٠٤، الاقتراح لابن دقيق العيد: ٥٨-٥٩، الموعظة للذهبي: ٨٥-٨٦.

ومنها على وجه المثال لا الحصر:

١- الحرص على تبليغ سنة الرسول عليه الصلاة والسلام في الآفاق.

٢- الاهتمام بطلبة السنة وتقديرهم.

٣- التثبيت في قبول السنة حتى أن بعض الصحابة رضي الله عنهم لم يقبل من السنة إلا ما قام عليها شاهد عدل.

٤- حرص علماء الأمة في سائر عصورهم على جمع السنة والتثبت في قبولها.

٥- التثبت في أحوال نقلة الحديث ومعرفة أحوالهم.

٦- تدوين علم الجرح والتعديل.

٧- التأليف والجمع لعلل الحديث والكلام عليها.

٨- التأليف لتمييز الحديث المقبول من المردود.

٩- تدوين تراجم الرواة وبحث ما يتعلق بهم من جهات الأسماء مختلفها والكنى والمقدم والمؤخر والأقران. [١]

فلذا فإن السنة النبوية التي بين أيدينا في جوامعها قد بلغت على أيدي علماء الأمة من الإتقان والحفظ والعناية ما يدل على أنها باقية كما هي، كما سمعت من رسول الله ﷺ، فكان اهتمام السلف بالأسانيد من أعظم الأسباب لحفظها وعدم التشكيك فيها يقول الإمام مالك يرحمه الله (إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم) [٢] فلذا فإن أهل السنة والجماعة يتميزون بشدة الانتقاء والتحري والانتقاد للرجال وحالهم وهذا معناه التحقيق من حال الراوي والكشف الدقيق عمن يؤخذ عنه الحديث.

---

(١) اختصار علوم الحديث: ٩٥-١٠١، التمهيد لابن عبدالبر: ١/ ٦٨، الانتقاء: ١٦-١٧، الإيمان لابن تيمية: ٣٦٩.

(٢) رواه الرامهرمزي في المحدث الفاضل عن مالك وابن المبارك وغيرهما: ٤٠٣ ، ٤١٦، وابن عبدالبر في الانتقاء: ١٦.

الخاتمة

الخاتمة

إن أهم النتائج التي توصلت إليها فهي كما يلي :

* إن علم التوحيد من أشرف العلوم إذ شرف العلم بشرف المعلوم.
* إن غاية علم التوحيد تحقيق الدين الذي ارتضاه الله عز وجل للخلق.
* إن علم التوحيد يستمد من الكتاب والسنة والإجماع المبني عليهما.
* إن علم التوحيد له عدة أسماء منها الفقه الكبر، الإيمان، السنة، الشريعة العقيدة، أصول الدين.
* إن من الأسماء الخاطئة لعلم التوحيد علم الملل والنحل، علم الكلام، علم الفرق، علم الغيبيات، علم العقائد، علم الإلهيات، علم التصور الإسلامي علم الفكر الإسلامي.
* إن التوحيد ينقسم إلى ثلاثة أقسام : توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية وتوحيد الأسماء والصفات وهو تقسيم قد اتفق عليه أهل السنة والجماعة.
* إن بعض أهل البدع يخلطون بين توحيد الربوبية والألوهية كالاتحادية والجهمية والفلاسفة وغيرهم.
* إن الأدلة على توحيد الربوبية هي الكتاب والسنة، الحس، العقل، الفطرة.
* توحيد الربوبية مفطور عليه جميع الخلائق.
* توحيد الربوبية يستلزم توحيد الألوهية.
* وجود علاقة وثيقة بين أقسام التوحيد الثلاثة.

* إن من أنواع الإلحاد في توحيد الربوبية : الشرك في توحيد الربوبية، القول بقدم العالم.
* إن توحيد الألوهية هو التوحيد الذي جاءت به الرسل، وبه تحصل السعادة في الدنيا والآخرة.
* من أسماء توحيد الألوهية : توحيد العبادة، توحيد الإرادة والطلب، توحيد القصد، توحيد العمل، توحيد الرسل، توحيد الأمر والنهي.
* توحيد الألوهية يتضمن توحيد الربوبية.
* إن من الإلحاد في توحيد الألوهية : الشرك في العبادة، الإعراض عن دين الله عز وجل، أو عن الأوامر والنواهي فلذلك كان السحر، والعطف، والاستهزاء بدين الله عز وجل، أو الاستهزاء بالرسول عليه الصلاة والسلام من نواقض الإيمان والتوحيد.
* إن توحيد الأسماء والصفات قد ضلت فيه طوائف عديدة كالجهمية والمعتزلة والفلاسفة وغيرهم.
* إن منهج أهل السنة والجماعة في إثبات الأسماء والصفات هو أفضل المناهج وأسلمها.
* لا يوجد مجاز في أسماء الله الحسنى وصفاته العليا.
* لابد للمسلم من الإلمام بقواعد الأسماء والصفات.
* وجوب إثبات الصفات الذاتية والفعلية لله عز وجل، إذ لا فرق بينهما.
* إن موقف الناس من الأسماء والصفات كالآتي : التمثيل - التعطيل - التحريف - التفويض - النفي - التأويل.
* الإلحاد في الأسماء والصفات يكون عن طريق التمثيل - التعطيل - النفي - التحريف - التأويل - التفويض.

فهرس الموضوعات

المقدمة ٥
خطة البحث ٦
الفصل الأول : التوحيد ومتعلقاته وفيه ثلاثة مباحث :..... ٨
المبحث الأول : تعريف التوحيد في اللغة والاصطلاح ١٢
المبحث الثاني : الأمور المتعلقة بعلم التوحيد وفيه أحد عشر مطلباً ١٨
المطلب الأول : فضل علم التوحيد ١٨
المطلب الثاني : أهمية علم التوحيد ١٩
المطلب الثالث : واضع علم التوحيد ١٩
المطلب الرابع : مصدر علم التوحيد ١٩
المطلب الخامس : موضوع علم التوحيد..... ٢٠
المطلب السادس : آداب طلب علم التوحيد ٢١
المطلب السابع : كيفية طلب علم التوحيد ٢١
المطلب الثامن : أدلة وجوب علم التوحيد ٢٢
المطلب التاسع : حكم تعلم علم التوحيد ٢٢
المطلب العاشر : أهداف العقيدة الإسلامية ٢٣
المطلب الحادي عشر : آثار وفوائد علم التوحيد ٢٤
المبحث الثالث : أسماء علم التوحيد ٢٧

الفصل الثاني : الدين مفطور عليه الخلائق وفيه أربعة مباحث..... ٤٣
المبحث الأول : التوحيد دين الفطرة..... ٤٥

المبحث الثاني : النظريات الخاطئة في علم التوحيد ٤٩
نظريات الاتجاه الإنساني..... ٤٩
المذهب الطبيعي ٤٩
المذهب الحيوي ٥١
المذهب الاجتماعي ٥٢
المذهب النفسي ٥٣
الرد على تلك النظريات..... ٥٥

المبحث الثالث : بداية الإنحراف عن التوحيد..... ٥٨
المبحث الرابع : منهج القرآن الكريم في تقرير التوحيد..... ٦١

الفصل الثالث : التوحيد وأنواعه وفيه سبعة مباحث : ٦٧
المبحث الأول : التوحيد الذي دعت إليه الرسل..... ٦٩
المبحث الثاني : تعريف الرب في اللغة والاصطلاح ٧٣
المبحث الثالث : الأدلة على توحيد الربوبية ٧٦
المبحث الرابع : توحيد الربوبية مفطور عليه الخلائق ٨٥
المبحث الخامس : توحيد الربوبية يستلزم توحيد الألوهية ٩٠
المبحث السادس : علاقة توحيد الربوبية بالأسماء والصفات ٩٤
المبحث السابع : الإلحاد في توحيد الربوبية..... ٩٧

الفصل الرابع : توحيد الألوهية وفيه سبعة مباحث..... ١٠٧
المبحث الأول : تعريف الألوهية في اللغة والاصطلاح..... ١٠٩
المبحث الثاني : أسماء توحيد الألوهية ١١٥
المبحث الثالث : الأدلة على توحيد الألوهية ١٢١

المبحث الرابع : علاقة توحيد الألوهية بتوحيد الربوبية والأسماء والصفات ١٣٩
المبحث الخامس : التوحيد الذي جاء به الرسل..... ١٤٣
المبحث السادس : الإلحاد في توحيد الألوهية ١٤٧
المبحث السابع : التعاريف الخاطئة لتوحيد الألوهية ١٦٣

الفصل الخامس : توحيد الأسماء والصفات وفيه سبعة مباحث : ١٦٧
المبحث الأول : تعريف الاسم والصفة والفرق بينهما..... ١٧١
المبحث الثاني : الأدلة على توحيد الأسماء والصفات ١٧٥
المبحث الثالث : قواعد عامة في الصفات..... ١٨١
المبحث الرابع : أنواع الصفات..... ١٨٨
المبحث الخامس : موقف الناس من الأسماء والصفات ١٩٣
المبحث السادس : الإلحاد في الأسماء والصفات ٢١١
المبحث السابع : قواعد المنهج السلفي ٢١٨

الخاتمة ٢٢٩
فهرس الموضوعات ٢٣١